تأملات في المسألة اليهودية

ترجمة ودراسة

د. حاتم الجوهري

جان بول

سارتر

تقديم

د. مصطفى النشار

جان بول سارتر

تأملات فى المسألة اليهودية

ترجمة ودراسة

د. حاتم الجوهرى

تقديم

د. مصطفى النشار

تأملات في المسألة اليهودية - جان بول سارتر

ترجمة ودراسة د. حاتم الجوهري

القاهرة – 2016

رقم الإيداع: 22503/ 2015

الترقيم الدولي: 1 – 171 – 751 – 977 - 978



روافد للنشر والتوزيع

القاهرة ج. م. ع

+2 01222235071

rwafead@gmail.com

www.rwafead.com

تصميم الغلاف: نور إسلام

تأملات فى المسألة اليهودية

مع دراسة نقدية بعنوان

"سارتر: بين الصهيونية وسلب الحق الوجودى للفلسطينيين"

هذه هى الترجمة الكاملة لكتاب "جان بول سارتر":

"Réflexions sur la Question Juive"
الصادر بالفرنسية عن دار نشر Éditions-Morihien

وتمت الترجمة عن النسخة الإنجليزية المعنونة:

" Anti-Semite and Jew"
عن دار نشر Schocken books, New York
بترجمة George j.becker

تقديم الكتاب

يعد جان بول سارتر من أهم فلاسفة القرن العشرين، وهو المؤسس الأشهر لأهم مذهب فلسفى فى هذا القرن؛ المذهب الوجودي، ذلك المذهب الذي انتشر انتشار النار فى الهشيم بين شباب العالم نتيجة لكتابات سارتر ومحاضراته ومحاوراته التي كانت تحظى بأعلى نسبة قراءة وأعلى نسبة مشاهدة بين فلاسفة العالم الذين عاصروه؛ فلقد غطت شهرة سارتر على كثيرين من فلاسفة العالم نتيجة لتلك الأفكار التحررية التي دعا إليها ونتيجة للحب الجارف وللعاطفة الجياشة التي حازت عليها فلسفته الداعية إلى الحرية الفردية، تلك الحرية التي فهمت من قبل بعض مريدي سارتر وفلسفته حول العالم بأنها حرية مطلقة، حرية لا تراعي إلا شعور صاحبها وذاتيته. وربما ظلت هذه هي فكرة البعض عن الوجودية إلى أن كتب سارتر كتابه الشهير: "الوجودية مذهب انساني"، الذى كان عبارة عن محاضرة مطولة حاول فيه أن يرد على الانتقادات التي عادة ما كانت توجه إلى الوجودية باعتبارها دعوة للحرية الفردية المطلقة، وقد جاء فى هذه المحاضرة المهمة توضيحات كثيرة للمذهب الوجودي؛ حيث أكد سارتر على أنه مذهب إنساني فى المقام الأول ومن ثم فإن حرية الفرد ينبغي ألا تتعارض وألا تنتقص من حرية الآخرين، وقد أكد فيها على أهمية مبدأ "أنت حر ما لم تضر"، ذلك المبدأ الذي يؤسس للبعد الاجتماعى للفلسفة الوجودية؛ إذ لا يشعر الفرد بحريته الحقيقية إلا فى ضوء مسئوليته الاجتماعية وحرصه على عدم المساس بحرية الآخرين!

وإذا كانت هذه أهمية سارتر وأهمية أفكاره ؛ فلنتساءل الآن: من هو سارتر؟! ولد سارتر فى باريس فى 21يونيه عام 1905 وعاش خمسة وسبعين عاما حيث توفى فى منتصف ابريل من عام 1980م. وقد ولد فى أسرة بورجوازية ميسورة الحال، حيث كان والده يعمل بالجيش وكانت والدته تنتمي لأسرة من المفكرين والمعلمين، ولكنه لم يتمكن من التعرف على والده لأنه توفى وهو لم يبلغ بعد عاما ونصف من العمر وتولى تربيته بعد ذلك جده وكان رجلا يمتلك شخصية قوية، وقد نالت الأسرة هجوما شنه عليها الابن المتمرد الذي هاجم والديه وجده والمجتمع الذي نشأ فيه، وقد أشار إلى بعض دوافعه لكره طفولته التي عاشها مع أسرته فى كتابه الشهير الذي

تضمن مذكراته: كتاب "الكلمات"، وخاصة بعد أن تزوجت والدته ذلك المهندس البحرى الذي كان يبغضه. وقد حمل سارتر على جده أيضا رغم أنه رعاه ووفر له التعليم داخل المنزل -نظرا لسوء حالة التعليم آنذاك فى المدارس النظامية- بسبب قسوته الأبوية على والدته! وبسبب أنه أهمل العناية بصحته وتغافل عن ذلك الورم الذي أصاب عين سارتر اليمنى، مما تسبب في فقده البصر بهذه العين وظل هذا العيب الخلقي لصيقا به طوال حياته!

وربما كانت الحادثة الأهم فى حياته بعد ذلك هى التحاقه بأفضل المدارس والجامعات الفرنسية وخاصة مدرسة المعلمين العليا التي كان القبول فيها يقتصر على الطلاب من أوائل خريجي الجامعات، وقد نجح سارتر فى الالتحاق بهذه المدرسة العليا، حيث تصادف أن سيمون دي بوفوار صديقته التي التقاها قبل هذا الاختبار مباشرة فى ربي1929م حازت على المركز الثاني وحاز هو على الأول، فازدادت صداقتهما وأصبحا حبيبين منذ ذلك الحين وحتى خمسين عاما تالية حتى وفاة سارتر. على كل حال فلقد تزاملا معا فى تدريس الفلسفة فى الجامعة هو فى كلية "لي هافر" وهي في مرسيليا. وقد ترك سارتر التدريس بعد ذلك. وحصل آنذاك على منحة دراسية من المعهد الفرنسي في برلين. وفى اثناء هذه الفترة فيما بين عامي 1933و1934م تعرف على الكثير من القضايا الفلسفية المعاصرة فى ألمانيا وخاصة فى مجال الفلسفة الوجودية والفلسفة الفينومينولوجية ممثلة في شخصيتي الفيلسوفين الكبيرين: ادموند هوسرل (1859- 1938م) ومارتن هيدجر (1889-1976م) إلى جانب الإلمام بتاريخ الفلسفة الغربية التقليدية وخاصة الفلسفة الفرنسية وبالذات فلسفة ديكارت.

ولعل من أهم أحداث حياته وأكثرها تأثيرا على فلسفته ومواقفه السياسية التحاقه بالخدمة العسكرية، رغم أنه لم يشعر بويلات الحرب فى بدايتها وسمح له وقته أن يعمل بالكتابة لمدة 12 ساعة يوميا خلال تسعة أشهر نتج عنها كتابة 2000 صفحة أخرج جزءا منها تحت عنوان "سنوات الحرب الزائفة". ولما انتهت الحرب الزائفة وتحولت إلى حرب حقيقية منذ الحادي والعشرين من يونيو 1940م، بدأ سارتر الجندي يعاني من شرور الحرب؛ حيث سجن فى بادو ثم انتقل إلى مخيم

للاعتقال في ألمانيا مع 2500 معتقلا، وقد أثرت هذه الفترة فيه بشكل كبير حين أخذ يتعايش مع آخرين ويتضامن معهم، حيث شارك سارتر أقرانه من المعتقلين أفراحهم وأحزانهم بقدر كبير من الحرية وبدون الإحساس بالقهر والخوف، فكان يقص عليهم القصص والنكات ويمارس معهم اللعب وخاصة فى رياضة الملاكمة والتمثيل المسرحي. والحقيقة أن هذه الفترة كانت تمثل نقطة تحول فى شخصية سارتر التي كانت فيما مضى أقرب لشخصية انعزالية فردانية وأصبحت بعدها شخصية اجتماعية تفضل الانخراط والعيش وسط الناس والمجتمع.

ولما أطلق سراحه عام 1941م أسس مع بعض أصدقائه مثل سيمون دى بوفوار حركة مقاومة شعبية تحت اسم "حركة الاشتراكية والحرية" وانضم إليها نحو خمسين عضوا مثلوا حينذاك حركة معارضة للتنديد بالاحتلال، ولكن لم يكتب لهذه الحركة النجاح والاستمرار فاضطر سارتر إلى حلها فى نهاية نفس العام بعد القبض على عضوين من أعضائها. وقد عاد سارتر بعد ذلك إلى ممارسة مهنة التدريس ولكنه درس هذه المرة الأدب. ولم يتخل عن ميوله المعارضة والمقاومة وقد بدا ذلك فى كتابة وإخراج مسرحيته الشهيرة "الذباب" وعانى من وراء ذلك بعض المضايقات. وعموما فقد كان أبرز إنجازاته فى هذا العام إخراج كتابه الفلسفي الأشهر "الوجود والعدم" وقد كتب سارتر بعد ذلك مسرحية "الآخرون" التي عرضت عام 1944م. ومن الأحداث المهمة ذات الصلة فى حياته أنه عمل فى تلك الأثناء كاتبا فى جريدة لشبكة المقاومة وكانت تدعى "قتال". ثم بعث فى يناير 1945م إلى الولايات المتحدة لكتابة مجموعة مقالات للجريدة الفرنسية الأشهر"لوفيجارو" وقد استقبل حينئذ استقبال الأبطال- أبطال المقاومة .

ولعل هذه العام عام 1945م هو العام الذي شهد بالفعل بداية سنوات المجد والشهرة والتألق لسارتر، حيث استقر بعد ذلك فى باريس وظل لسنوات عديدة يقود حركة الأدب فى فرنسا، كما تزعم الفلسفة الوجودية التي لاقت رواجا واسعا من خلال مجلته التي أنشأها تحت اسم "الأزمنة الحديثة". وكانت الندوة التي عقدها فى أكتوبر من نفس العام، تلك الندوة التي أرخ المؤرخون منها بسيادة الفلسفة الوجودية وأقروا بهيمنتها الثقافية، نظرا للإقبال الأسطورى من قبل الجماهير عليها لدرجة إغماء

الرجال والنساء من شدة الزحام على القاعة الضخمة واضطرار الكثيرين إلى مغادرة المكان، وهي الندوة التي تحدث فيها سارتر بتوسع عن مذهبه الوجودي ورد على الكثير من الانتقادات التي وجهت اليه، كما عبر فيها بوضوح عن النزعة الإنسانية للوجودية معتبرا أن الحرية التي تدافع عنها الوجودية هي أساس كل القيم الإنسانية الأخرى ومن ثم فهى التي تجعله قادرا على اتخاذ المواقف التي تليق بالإنسان دائما وتجعل من الإنسان إنسانا .

لقد تأرجح سارتر بين الميل للفكر الاشتراكى الجماعى وبين فردانيته الوجودية الميالة لليبرالية، وقد أخذ موقفا سياسيا معارضا للاتجاهين فى الحرب الهندوصينية، عندما هاجم الديجولية وانتقد الامبريالية الأمريكية. وربما دعا هذا سارتر إلى إنشاء حزب سياسي جديد يعبر عن الجدل بين الجماعية والفردية تحت اسم "الائتلاف الديموقراطى الثوري". وبالرغم من أن هذا الحزب نجح فى تنظيم بعض الفعاليات والأنشطة والمظاهرات، إلا أنه لم ينجح فى أن يكون حزبا فاعلا في الحياة السياسية الفرنسية مما اضطر مؤسسه للاستقالة منه فى أكتوبر 1949م. ومع ذلك لم يتوقف سارتر عن القيام بنشاط سياسي ملحوظ من خلال مقالاته وكتاباته؛ فقد دفعته حرب كوريا وقمع مظاهرة ضد "العسكر" للحزب الشيوعي الفرنسي، إلى أن يعلن أن الشيوعية هي الحل لمشاكل البروليتاريا. وأصبح سارتر منذ هذا التاريخ صديقا فعليا للحزب الشيوعي بين عامي 1952 و1956م، ومنذ هذا الوقت بدأ يشارك فى الحركة الشيوعية الدولية وترأس منظمة فرنسا الاتحاد السوفيتي ، كما أصبح عضوا بالمجلس العالمي للسلام . ولم يقل اهتمامه بالشيوعية إلا فى أحداث انتفاضة بودابست بالمجر عام 1956م.

وقد كان من المواقف المهمة لسارتر والتي نال معها إعجاب وحب المثقفين العرب، أنه اتخذ ومجلته "الأزمنة الحديثة" موقفا مساندا لثورة الشعب الجزائري لنيل الاستقلال، واحتجاجه على صنوف التعذيب لثوار الجزائر. كما كان معاديا لفكرة "جزائر فرنسية" وطالب بحرية الشعوب المستعمرة وحقها فى تقرير المصير، وفي عام 1960 أعلن مناصرته الصريحة لجبهة التحرير الجزائرية. وكم كان جميلا من سارتر اتساقا مع مواقفه النضالية السابقة أن يشارك بقوة فى أحداث مايو 1968م فى

فرنسا وأن يصعد إلى رأس المشهد السياسي عندما رأس مع برتراند رسل الفيلسوف الإنجليزي الشهير "محكمة رسل" وكانت محكمة معلنة عن جمعية عالمية للمثقفين والنشطاء والشهود المكلفون بالحكم على الحروب وإدانتها وبخاصة الحرب الأمريكية على فيتنام . وبالرغم من تدهور صحته فى عام 1971م استمر داعما لحركة اليسار الثورى وقرر أن يرأس تحرير الجريدة الثورية "قضية الشعب" ولما هددت الجريدة بالمصادرة بضغط من السلطات "البومبيدية" نزل بنفسه مع جمع من أصدقائه ليتولوا توزيعها وبيعها للناس، ويقال أنه فعل نفس الشيء مع جريدتين أخريتين مرتا بنفس الظروف. وقد أسس سارتر فى نهاية حياته جريدة جديدة بعنوان "التحرير" وذلك عام 1973م، وقد ظهرت الجريدة فى ربيع ذلك العام، ولكن مرضه فى العام التالي جعله يستقيل من رئاسة تحريرها فى 24 مايو.

لكن جاء موقف سارتر من القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي محيرا! فعلى الرغم من أنه كثيرا ما ندد بالأحوال المعيشية التي يحيا في ظلها الفلسطينيون؛ إلا أنه كان من المساندين لانشاء دولة إسرائيل على الأرض العربية الفلسطينية. والأمر الغريب أنه فى الوقت الذي رفض فيه جائزة نوبل عام 1964م بحجة أنه لا يستحق أي شخص أن يكرم وهو على قيد الحياة، نجده يقبل تكريم دولة "إسرائيل" عام 1976م، ويتلقى الدكتوراه الفخرية من جامعة أورشليم العبرية مدعيا أنه قبلها فقط لأسباب سياسية قائلا فى ذلك: "لخلق روابط بين الشعب الفلسطيني الذي أتبناه وإسرائيل صديقتي". حيث لم يكن قادرا آنذاك على التمييز بين أصحاب الحق وبين المغتصبين للأرض! لم يكن قادرا على التمييز بين حقوق شعب طرد وشرد من أرضه وبين مجموعة من المغتصبين لهذه الأرض وبمساندة من ما كان يطلق عليه "العالم الحر"!

على كل حال لقد ظلت صحة سارتر تتدهور منذ أن أصيب بأزمة قلبية عام 1971م إلى أن حدثت وفاته فى 15 ابريل عام 1980م فى مستشفى بروسيه بباريس، وقد هز نبأ وفاته العالم أجمع لما كان يمتلكه من شهرة وشعبية حسده عليها الكثير من فلاسفة ومثقفي عصره، وقد شيعه إلى مثواه الأخير أكثر من خمسين ألفا ملأوا شوارع باريس ليعطوه التكريم المناسب لشخصه.

لقد مات سارتر مخلفا وراءه مواقفا بها الكثير من الجدل، وربما يكون ما كتبه فى هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ أحد الأمثلة الصارخة على هذا الجدل والتناقض؛ فلقد كتب سارتر هذا الكتاب: "تأملات فى المسألة اليهودية" الذى ترجم للإنجليزية تحت عنوان لا يخلو من دلالة وهو: "المعادي للسامي واليهودي"؛ فهو كتبه فى الأساس للدفاع عن اليهود معتبرا أن العالم كثيرا ما وقف موقفا عدائيا منهم لدرجة أن أصبحوا هم رمز الاضطهاد فى العالم!! ومن ثم بنى موقفه من حركتهم الصهيونية العنصرية الاستعمارية على ذلك، فكان أن اعتبر أن إسرائيل كدولة تجسد ممارسة اليهود الصهاينة "للوجود الحر" وعبرعن ذلك بقوله: "أنه ينبغي أن نكون سعداء لقيام دولة إسرائيلية تجسد آمال ونضالات يهود العالم بأسره"، و"أن انشاء الدولة اليهودية يعتبر من أهم الأحداث التي عرفها عصرنا"، و"أن اسرائيل تجسد فكرة المسئولية والموقف الوجودي الحقيقي للجماعة اليهودية المضطهدة نمطيا"!!.

والحقيقة أن هذا الدفاع عن وجود إسرائيل وفى أن تحققها يمثل قمة التحقق الوجودي الحر ليهود العالم، إنما يمثل أكبر وأهم دفاع فلسفى عن وجود إسرائيل كما يجسد فى الوقت ذاته قمة التناقض فى وجودية سارتر التحررية؛ إذ يبقى السؤال الذي يظل عالقا فى ذهن قارئ هذا الكتاب لسارتر هو: كيف لعقل فيلسوف صاحب مذهب فلسفي المفروض فيه الاتساق وعدم التناقض أن يقبل الشئ ونقيضه إلى هذا الحد ؟!! كيف أمكن لسارتر وهو الفيلسوف الداعي إلى حرية الشعوب وحقها فى الاستقلال أن يكتب كل هذا الدفاع المستميت عن دولة أقامت نفسها على أنقاض دولة أخرى أبادت الكثير من شعبها وشردت الكثيرين منهم!

إن هذا النص الذي لا أدري كيف غاب حتى الآن عن الوعي الفلسفى العربي؛ يعد وثيقة مهمة تؤكد توظيف سارتر لفلسفته لصالح تأكيد أوهام صهيونية، بزريعة الاضطهاد الذي لاقاه اليهود فى تاريخ العالم. وقد تناسى أن الذين اضطهدوا اليهود هم أنفسهم الدول الأوربية التي استعمرت الشعوب العربية واغتصبت أراضيها وثرواتها، وأن التخلص من عقدة الذنب الأوربي تجاه اليهود ليس حله أن يمكنوهم من الأراضي العربية تحت حجج واهية وأساطير لاهوتية مزيفة، وإنما بأن يعتذروا لهم عن تلك المحارق المزعومة وأن يعوضوهم بالأموال والاستقرار وعدم الاحتقار عن المهانة

التي لحقت بهم ولم يكن للعرب فيها ذنب لا من قريب ولا من بعيد! أما أن يعتبر أن اغتصاب الأرض الفلسطينية والعنف الذي مارسه الصهاينة مع أصحاب الأرض الأصليين هو وسيلة للتحرر وخلق الذات اليهودية، فهذا هو مكمن التناقض الشديد؛ فالدول لا تؤسس على إفراغ الأرض من سكانها الأصليين واستزراع غيرهم مكانهم، وقد كان الأجدر بسارتر وفلاسفة ذلك العالم الحر أن ينصحوا ذويهم من الأوربيين، بعد أن اتخذوا قرارهم بالتخلص من اليهود أن يرسلوهم ويساعدوهم على تأسيس دولتهم فى مكان فراغ (خلاء) من العالم وما أكثر المناطق الخلاء فى الأمريكيتين واستراليا، وليس هذا الأمر بجديد على دول القارة الأوربية العجوز، فقد فعلوها قبل ذلك وقاموا بتعمير أمريكا من خلال الأوربيين المطرودين من أوربا إلى تلك الأرض الجديدة فى تلك القارة الجديدة – أمريكا وان جاء ذلك أيضا على جثث آلاف القتلى والتطهير العرقي للهنود الحمر أصحاب تلك الأرض وسكانها الأصليين !!

على كل حال، لقد أحسن د.حاتم الجوهري وهو المختص فى الأساس فى الدراسات العبرية والواعي بتاريخ اليهودية والصهيونية العالمية، أحسن صنعا حينما بحث عن هذا النص الذي ربما أهمل عن عمد من المتخصصين فى الفلسفة المعاصرة عموما وفى الفلسفة الوجودية على وجه الخصوص وترجمه إلى العربية ليسد بحق فراغا فى المكتبة الفلسفية السياسية؛ فهذا الكتاب من شأنه أن يدفع كل المختصين فى الفلسفة عموما وفى سارتر خاصة أن يعيدوا النظر فى رؤاهم له ومدى اتساق مبادئه الفلسفية مع تطبيقاته الاجتماعية والسياسية، ففي هذا الكتاب ما يدل على التوظيف السياسى للفلسفة للوجودية ولدعوتها إلى الحرية والتحرر وحق الشعوب فى نيل استقلالها وحريتها! وفيه ما يدل أن سارتر استخدم مقولاته الفلسفية لتبرير الاحتلال الصهيوني للأرض العربية رغم كل محاولاته للتغطية على ذلك بالمطالبة بحق الفلسطينيين فى حياة أمنة داخل دولة "مستقلة مسالمة"، إذ ماذا يضير الشاة من سلخها بعد ذبحها؟! فلقد برر لليهود الصهاينة احتلال الأرض واغتصابها فكيف يتسق المبدأ مع نقيضه، هذا هو السؤال الفلسفي الذي ينبغي أن يطرحه على نفسه قارئ هذا الكتاب ليكتشف مدى الزيف الذي مارسه سارتر لتبرير ما أطلق عليه

"المسألة اليهودية" ورفضه لمعاداة السامية اليهودية ومن ثم اعتبار اغتصاب أرض الغير وقتل وتشريد أصحابها تحررا وجوديا لهذه الطائفة الباغية !!

وختاما لابد أن أحيي الدكتور حاتم الجوهري على جهده فى نقل هذا النص المهم إلى العربية وبهذه اللغة الفلسفية الرصينة، كما أحييه على الدراسة القيمة:"سارتر بين الصهيونية وسلب الحرية الوجودية للفلسطينيين" التى صدر بها الترجمة وهي دراسة ضافية ومهمة اكتملت بها ترجمته للكتاب ، وهما معا إضافة فى غاية الأهمية للمكتبة العربية عموما وللمكتبة الفلسفية السياسية فى الفلسفة المعاصرة على وجه الخصوص .

والله المستعان وهو من وراء القصد .....

د. مصطفى النشار
مدينة نصر فى : 31 يوليو2015م.
الموافق : 15 من شوال 1436 هـ .

مقدمة المترجم

فى الخمسينيات وستينيات القرن الماضى كانت الفلسفة الوجودية بمثابة إعصار ضرب العالم واجتاح العديد من أبنيته الفكرية، وكان مركز العالم الوجودى آنذاك هو الفيلسوف الفرنسى الشهير جان بول سارتر، ولم يكن العالم العربى بعيدا عن تلك الموجة العارمة التى تأثر بها العالم كله شوطا طويلا من الزمن.. وانكب دعاة التنوير العرب على ترجمة كتبه ومسرحياته وتابعوا مقالاته ومعاركه الفكرية، واعتبر سارتر فارس عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية، بطرحه عن: الحرية والفردية، والاحتجاج ضد ما هو نمطى وشائع وموروث ومسلم به فى العرف الاجتماعى عموما، وضرورة الاعتماد على الحس الإنسانى المتجدد باستمرار والمتباين من فرد إلى آخر..

أما السؤال المحير: كيف فى ظل هذه الخلفية لم يترجم أحد كتب سارتر السياسية والفلسفية إلى العربية، على الرغم من أنه يمس واحدة من أهم قضايا العرب المعاصرة!؟ الحقيقة كانت هذه مفاجأة صادمة لى فى أثناء عملى على أطروحتى للدكتوراة، التى تناولت —فى أحد جوانبها— التمثلات الماركسية والوجودية والتحول فيما بينهما داخل المشروع الصهيونى وأدبه وحركاته الثقافية؛ حين وجدت إشارات فى مصادر صهيونية عبرية وإنجليزية إلى أحد مؤلفات سارتر، الذى يتناول موقفه من اليهود واحتلال فلسطين! وكانت المفاجأة أعظم حين وجدت اقتباسات من هذا الكتاب الذى صدر فى الفرنسية تحت عنوان: تأملات فى المسألة اليهودية، وفى الإنجليزية تحت عنوان: المعادى للسامى واليهودى.. وتتحدث هذه الاقتباسات عن موقف سارتر الصادم والداعم للاحتلال الصهيونى لفلسطين وترديده للمقولات الصهيونية فى هذا السياق!

ساعتها أخذت القرار بالبحث عن أصل هذا الكتاب، ونقبت عليه فى أنحاء المكتبة العربية فلم أجد سوى بعض الإشارات والاقتباسات أو العروض المختصرة هنا أو هناك، ولم يشف ذلك غليلى بالطبع، فأخذت أبحث عن النسخة الإنجليزية أو الفرنسية، حتى عثرت فى نهاية المطاف على النسخة الإنجليزية، وشرعت فى ترجمتها إلى العربية، إلا أننى وجدتنى أستغرق فى فهم أطروحة سارتر الفلسفية عن الوجودية ذاتها،

أردت أن أفهم العقلية التى أنتجت الكتاب قبل أن أتناول طرحه بالفهم والتحليل والنقد، وقد أخذ ذلك منى ما يقارب العام!

انكببت على قراءة كتب سارتر وما حولها، وبحثت فى وجوديته وعلاقتها بوجودية كيركيجارد، وعلاقته بالماركسية قربا وبعدا، والسياق التاريخى الذى أنتج فكرة الوجودية فى أوربا، وسياق الحداثة وما بعد الحداثة، الخ.. وعدت بعدها سريعا لأنجز ترجمة: تأملات فى المسألة اليهودية، وأحاول الوقوف على أسباب تأليف سارتر لهذا الكتاب، وأبحث فى دوافعه لدعم الكيان الصهيونى على أرض فلسطين، باعتباره تعبيرا عن ممارسة حرية اليهودى فى اتخاذ موقفه الوجودى الحر فى العالم!

فى هذه الأثناء أخذت أجرى استطلاعا حول الموضوع بين بعض المثقفين الذين أعرف مدى صلتهم بالوجودية والثقافة الأوربية عموما؛ لأجد ما يشبه الغموض حول هذا الكتاب، أو عدم الدراية بوجوده تماما! والأدهى أننى وجدت حالة تشبه التأويل المفرط والمزايدة حول موقف سارتر تجاه العرب والفلسطينيين، أو حالة من الضبابية وعدم المعرفة، وكأنه لم يكتب موقفه بنفسه، وكأن المراجع العالمية لم تذكر موقفه ولم تقف عليه بالتوثيق والنقد والدراسة!

هنا ازددت إصرارا على إنجاز الترجمة، وعلى عمل دراسة نقدية متكاملة نوعا – برغم صغر حجمها النهائى – لموقف سارتر من الصهيونية وفلسطين: من خلال عدة مصادر مختلفة؛ أولا: موقفه فى كتابه، ثانيا: ما ذُكر فى المصادر العربية، ثالثا: ما وَرد فى المصادر الصهيونية العبرية، رابعا: ما جاء فى المصادر والدراسات الغربية المكتوبة باللغة الإنجليزية. أردت أن أضع كل الأطراف فى المواجهة، وأقارنها بعضها البعض، لأخرج بالحقيقة الموثقة التى تبين موقف سارتر باستخدام المنهج النقدى التحليلى المقارن.

لهذا الموضوع أهمية بالغة لم يلتفت لها أحد بالشكل الكافى من قبل؛ وهى أن سارتر فى أطروحته هذه لم يكتف بتقديم الدعم السياسى فقط للصهيونية فى فلسطين؛ وإنما قدم لها تنظيرا فلسفيا باعتبارها التمثل الحقيقى لممارسة يهود العالم لحقهم فى الوجود الحر، واتخاذ موقف يعبر عنهم بوصفهم جماعة تحمل "موقفا وجوديا

مشتركا"، كما أن هذا المؤلَّف كان من أهم أوراق الدعاية الصهيونية التى قدمت فكرة ومغالطة كبيرة، لم نلتفت لها فى دراساتنا العربية بالشكل اللائق بعد؛ حيث قدم سارتر الصهيونية باعتبارها الحل والمقابل للهولوكوست اليهودى فى أوربا! واعتبر من يرفض الصهيونية داعما للفكر النازى وعمليات الاضطهاد والقتل التى قام بها هتلر فى حق يهود أوربا ويهود فرنسا تحديدا..! وضع سارتر الصهيونية فى كفة والهولوكوست والاضطهاد فى كفة أخرى..! وكأنه يجب على العرب التكفير عن ذنب أوربا ودفع ثمن غسل تاريخها ويدها من دماء العنصرية.

كما أن لترجمة هذا الكتاب وتناوله بالتحليل والدراسة أهمية إضافية، تبرز من خلال العنوان الإنجليزى الذى اختاره مترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية: "المعادى للسامى واليهودى"، حيث قدم سارتر ربطا خطيرا بين: المسألة اليهودية فى أوربا وما اصطلح على تسميته بمعاداة السامية، الذى ارتبط بالصورة النمطية لليهود فى أوربا، ثم والأخطر ربط ذلك بالصهيونية واعتبر من يعادى الصهيونية معاديا لليهود ومضطهدا لهم! وهى المعادلة التى نلمح اثرها للآن فى الثقافة الغربية؛ من خلال ربط التصدى للممارسات الصهيونية العنصرية بما سمى: معاداة السامية التاريخية فى أوربا! من هنا كانت ضرورة تفكيك تلك المرجعيات الفكرية التاريخية إلى مركباتها الأولى وردها إلى أصلها التاريخى والفلسفى، والكشف عن سياقها التاريخى وتتبع أصلها المعرفى من خلال منهج النقد الثقافى الذى يكشف عن علاقة الظاهرة بباقى الأنساق والظواهر المضمرة والمواكبة لها، ومن خلال منهج علم اجتماع المعرفة الذى يحدد المسار التاريخى والظروف الاجتماعية لنشاة التيارات والتوجهات المعرفية والفكرية البشرية.

كان أحد أهداف هذه الدراسة —والترجمة أيضا— هو نقض الأساطير الأوربية التاريخية الأساسية، الداعمة للمشروع الصهيونى على أرض فلسطين، والمؤسسة له باعتباره فعلا مشروعا وإنسانيا وحضاريا (بوصفه يمثل فى العقلية الغربية استجابة لاضطهاد أوربا التاريخى لليهود ودورهم فى مجتمعاتها، وردا لاعتبار الصورة النمطية السلبية لليهودى لدى المواطن الأوربى)! وهو التصور الذى مازال قائما للآن فى بعض أدبيات أوربا السياسية والتاريخية! فكان السؤال الرئيسى للدراسة: لماذا دعم سارتر الصهيونية على حساب العرب الفلسطينيين؟ وكانت الفرضية الرئيسية للإجابة: تأثرا

بحالة الاضطهاد وكنوع من التعويض عن اضطهاد أوربا لهم.. من هنا اهتمت الدراسة بالكشف عن الأخطاء التى وقع فيها سارتر وغض بصره عنها إزاء المذابح والتجاوزات التى حدثت فى حق العرب الفلسطينيين تحت هذا الزعم؛ كما اهتمت الدراسة — بدورها— بجانب فلسفى كان هو المدخل النظرى الرئيسى لها، و"الفرضية المضادة" لأطروحة سارتر التى تفترض أن الصهيونية هى الموقف الوجودى الحر المشترك ليهود العالم؛ من خلال الكشف عن: "السلب الوجودى" الذى تعرض له الفلسطينيون، وحجم المأساة الوجودية التى تسبب فيها "اختيار دعم الصهيونية" للعرب الفلسطينيين، من جانب أوربا وسارتر.. من هنا أخذت الدراسة اسمها الذى يعبر عن الفرضية المضادة لأطروحة سارتر، والمدخل النظرى للدارسة النقدية للترجمة، تحت مسمى: "سارتر بين الصهيونية وسلب الحق الوجوى للفلسطينيين".

فى هذا المؤلَّف قام سارتر مدفوعا بفكرة الذنب تجاه يهود أوربا، بتقديم شخصية اليهودى عبر التاريخ باعتبارها شخصية سلبية مظلومة ليست سوى رد فعل للآخرين! حيث اعتبر سارتر أن اليهودية ليست جوهرا فى حد ذاتها؛ بقدر ما هى انعكاس سلوكى ومرآة عاكسة دُفع لها اليهود من خلال إصرار الآخرين على معاملتهم بشكل معين بوصفهم يهودا.. ولكى أعطى القارئ صورة شاملة للأطر والأفكار الرئيسية التى اعتمد عليها سارتر فى كتابه، سأسرد النقاط الرئيسية التى ارتكز عليها فى أطروحته لمقاربة المسألة اليهودية:

- يعتبر مؤلف سارتر إجمالا نقدا لما يمكن أن نسميه: "الصورة النمطية لليهودى فى أوربا" فلم يسع فى مقاربته للمسألة اليهودية إلى البحث عن أسبابها التاريخية، إنما سعى لبحث ودراسة مظاهر وأشكال وتمثلات "الصورة الذهنية" المسبقة لليهود فى أوربا.. لكنه وظف هذه الصورة لدعم الصهيونية، ووصفها فلسفيا باعتبارها ممارسة لحرية اليهود وتطور وعيهم بذاتهم!
- الفكرة الرئيسية فى مقاربة سارتر للمسألة اليهودية، اعتبار اليهودية ليست سوى "موقف" صنعه العالم لليهود من خلال معاملتهم باعتبارهم يهودا؛ وليس لليهود أى ذنب أو تدخل فى ذلك إطلاقا.. فاليهودية — عنده — موقف يخلقه العالم/الآخرون لليهودى ليس إلا! مسقطا عنهم المسئولية

التاريخية كجماعة أو مجموعات وجدت عبر التاريخ! ومعتبرا — فى هذا السياق — أن الصهيونية ستمثل "الموقف المشترك" الوجودى الجديد المضاد والحقيقى؛ الذى من خلاله سيرد اليهود على موقف الرد فعل والتهميش والقهر التاريخى – من جانب العالم– الذى يصورهم بـ سارتر!

- قدم سارتر رؤيتين للشخصية اليهودية إحداهما سلبية وسماها: "عدم الأصالة" أو التنكر ومحاولة إخفاء الهوية اليهودية، والأخرى إيجابية وسماها: "الأصالة" وهى التى تواجه العالم بحقيقتها اليهودية؛ واعتبر سارتر أن خط النهاية بالنسبة لـ "الأصالة اليهودية" هو تطور الوعى بالذات وصولا لحالة الموقف الجماعى القومى الذى تمثله الصهيونية!
- ربط سارتر فى مغالطة سياسية ومنطقية واضحة بين اضطهاد اليهود فى أوربا، والحل المتمثل فى الصهيونية واحتلال فلسطين! ربط بين الهولوكست وعقدة الذنب الأوربية والفرنسية تحديدا، و التعويض الذى اعتبر أن الصهيونية هى الممثل له.
- بعد أن ربط سارتر بين اليهودية ومعاداة السامية؛ ثم بين معاداة السامية والحل الصهيونى.. أخذ الأمر لأبعد من ذلك بحيث أصبح رفض الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية واستعمارية يساوى معاداة السامية! وكأن الصهيونية أصبحت إرهابا فكريا لمن يحاول نقدها!
- فى مقاربة سارتر للمسألة اليهودية ومن ضمن المعادلات التى يصنعها؛ قدم ثنائية جديدة وهى: العالمى والذاتى.. كان تعريفه لليهودى الذى يحاول التماس مع العالمى سلبيا، واعتبر أنه يهرب من ذاته ويبحث عن الحل فى تعميمات لا جذور لها فى الواقع، أما الذاتى فهو الذى كان يتماس مع خصوصيته ويهوديته ويحاول مواجهة العالم من خلالها، وبالطبع أعلى درجات الخصوصية من وجهة نظر سارتر سيفضى للتأكيد على الذات؛ من خلال دعم المشروع الصهيونى!

- من ضمن المعادلات والثنائيات التى قدمها سارتر أيضا، كانت ثنائية: الحدس- العقل، فقد اعتبر أن اليهودى الذى يحاول عقلنة الأمور والبحث عن آلية للحوار المنطقى مع أعدائه، يهرب من مواجهة حقائق الواقع الصادم وغير العقلانى؛ التى يجب أن تعتمد على الحدس والعاطفة والحس والانتفاض بقوة فى مواجهة أعداء اليهودى.. ونلمح هنا إسقاطا لفلسفة سارتر الوجودية العامة؛ على موقفه المناصر لليهود والصهيونية، من خلال جدلية العقل والعاطفة، التى انتصرت فيها الوجودية للعاطفة والحدس بالطبع، كما تكرر هذا الإسقاط بين فلسفته الوجودية العامة وبين تحليله للمسألة اليهودية وانتصاره للصهيونية وتحيزه لها كثيرا.
- قدم سارتر فى ثنايا مقاربته دعما فلسفيا لفكرة العنف الصهيونى بشكل ضمنى، حينما قال إن اليهودى يمكن أن يتحرر من خلال جدل مشابه لجدل "العبد والسيد" عند هيجل، أو من خلال المقاومة المسلحة ضد أعدائه.

إلا أن سارتر وعلى الرغم من تلك الأسس السابقة التى اعتمد عليها؛ أظهر الكتاب عدة نقاط تناقض الأطروحة الكلية له:

- فلقد اعترف سارتر –على سبيل المثال– بشكل غير متوقع ومفاجئ فى أحد مواقع الكتاب (سيشار لذلك الموقع فى الترجمة) بوجود نمط يهودي فى التاريخ كان السبب فى العداء لهم، واعتمد هذا النمط على الندية والعند والامتيازات والتفضيل! وبالتالى ورغما عن سارتر اعترف أن ذلك النمط كان الأصل فى بناء وتشكيل تلك الصورة النمطية، التى تحدث عنها طوال الكتاب!

من هنا أصبح محط اهتمامى فى الدراسة النقدية التى سبقت بها الترجمة عدة نقاط: منها تسليط الضوء على المنهج الانطباعى الظاهرى الذى استخدمه سارتر ونقده، واعتماده على استطلاع مجموعة من الآراء الانطباعية والذاتية والآنية للأوربيين من غير اليهود، والأوربيين من اليهود، دون أن يحاول الوقوف فعليا على نقطة انطلاق

"بناء النموذج المعرفى" والمصدر الأساسى لهذه "الصورة النمطية" ليهود أوربا التى وصفها سارتر بدقة واستفاضة، ولكن دون تأصيل أو بحث عن مصدرها، وقد قسمت الدراسة إلى خمسة مباحث قصيرة، واحتوى كل مبحث على عدة عناصر.

المبحث الأول كان تحت عنوان: مدخل وسياق تاريخي، واشتمل على العناصر: أوربا وعقدة الذنب اليهودية، سارتر والجماعة (الطبقة) المضطهدة، المسألة اليهودية وطبقة سارتر المضطهدة، إشكالية تحرير المضطهَد أم تحرير المضطهِد، المعايير المنهجية لنظرية سارتر تجاه اليهود.

المبحث الثانى كان بعنوان:أسس نظرية سارتر فى اليهودية، واشتمل المباحث التالية: اليهودية موقف يصنعه الآخرون، اليهودى المضطهَد /الأعلى والطريق الجبرى، مطلب التحرير الوجودى.

المبحث الثالث كان بعنوان: نقد مقاربة سارتر، واشتمل على المباحث: ظاهر المشكلة وجوهرها، سياق ظهور مصطلح معاداة السامية ونقده، الكرة فى الملعب الآخر: الشعب التراسندنتالى.

المبحث الرابع: سارتر وإسرائيل، واشتمل على المباحث: إسرائيل تجسد ممارسة "الوجود الحر" لليهود، العربى/الفلسطينى امتداد للأوربى المضطهد، العنف الصهيونى وسيلة للتحرر وخلق الذات اليهودية، تكئة مفهوم "معاداة السامية" لمفهوم "معاداة الصهيونية"، تقاطع الصهيونية الوجودية والماركسية.

والمبحث الخامس والأخير جاء بعنوان: سارتر والعرب والموقف من الصراع، وشمل المباحث: مقاربة القضية من حيث هى قائمة، رفض الصهيونية التوسعية مع احتواء الحق الوجودى للفلسطينيين، توظيف اليسار العربى والصهيونى، دعم خيار السلام بمنطق تطبيع وجود إسرائيل، السكوت عن الدولة الفلسطينية.

هذا مع الإشارة إلى أننى فى الدراسة النقدية كنت أرجع عندما أستشهد بفقرة من كتاب سارتر؛ إلى التوثيق والنسخة الإنجليزية؛ لأن توثيق النسخة العربية التى ترجمتها لم يكن قد أخذ الترقيم النهائى الخاص بالطباعة بعد، مما جعلنى أعتمد فى استشهاداتى على توثيق النسخة غير المترجمة من الكتاب.

فيما يخص ترجمة الكتاب والنص ذاته، قد توزع عملى فيها على عدة أقسام؛ وهى: الترجمة —— التعليق – التحقيق؛ بداية كان التعليق يدور معظمه فى محورين، أولا: توضيح السياق التاريخى لفكرة ما إذا طرحها سارتر دون بيان لعلاقتها بالموضوع أو دلالتها فى المتن، ثانيا: تسليط الضوء على نقطة ما لها دور مهم فى توضيح أطروحة سارتر ووجهة نظره، ولم يكن ذلك واضحا بالشكل الكافى فى المتن، وأحيانا لفت الانتباه لتناقض ما أو فكرة ما فى معرض حديث سارتر فى الكتاب. كما يجدر الإشارة إلى أننى اكتفيت بترجمة متن النص الذى كتبه سارتر كما هو فى الأصل الفرنسى، ولم أترجم المقدمة التى أرفقتها دار النشر الأمريكية لكتاب سارتر؛ استنادا إلى الدراسة التى قَدمتُ بها للكتاب.

أما التحقيق فدار معظمه حول أسماء الأعلام والوقائع والأحداث الشهيرة التى ذكرها سارتر؛ فاهتممت بالبحث عن أسماء الأعلام وتقديم التعريف للشخصيات التاريخية التى استعان بها سارتر فى معرض حديثه ودلالة ذلك فى سياق الحديث، وكذلك أسماء المدن والأحداث والوقائع التى دارت فى تلك الفترة.. والحقيقة أن هذا الجزء من عملى فى الترجمة أخذ جهدا وتركيزا شديدين، لاعتماد سارتر على بيئة الثقافة الفرنسية فى استشهاداته، وكثرة ذكره لأمثلة من مختلف فترات فرنسا التاريخية، وكذلك اعتماده على وقائع وأحداث جرت إبان وأثناء الحرب العالمية الثانية؛ تطلبت تدقيقا خاصا لتحقيق سياقها وبيان مجرياتها.

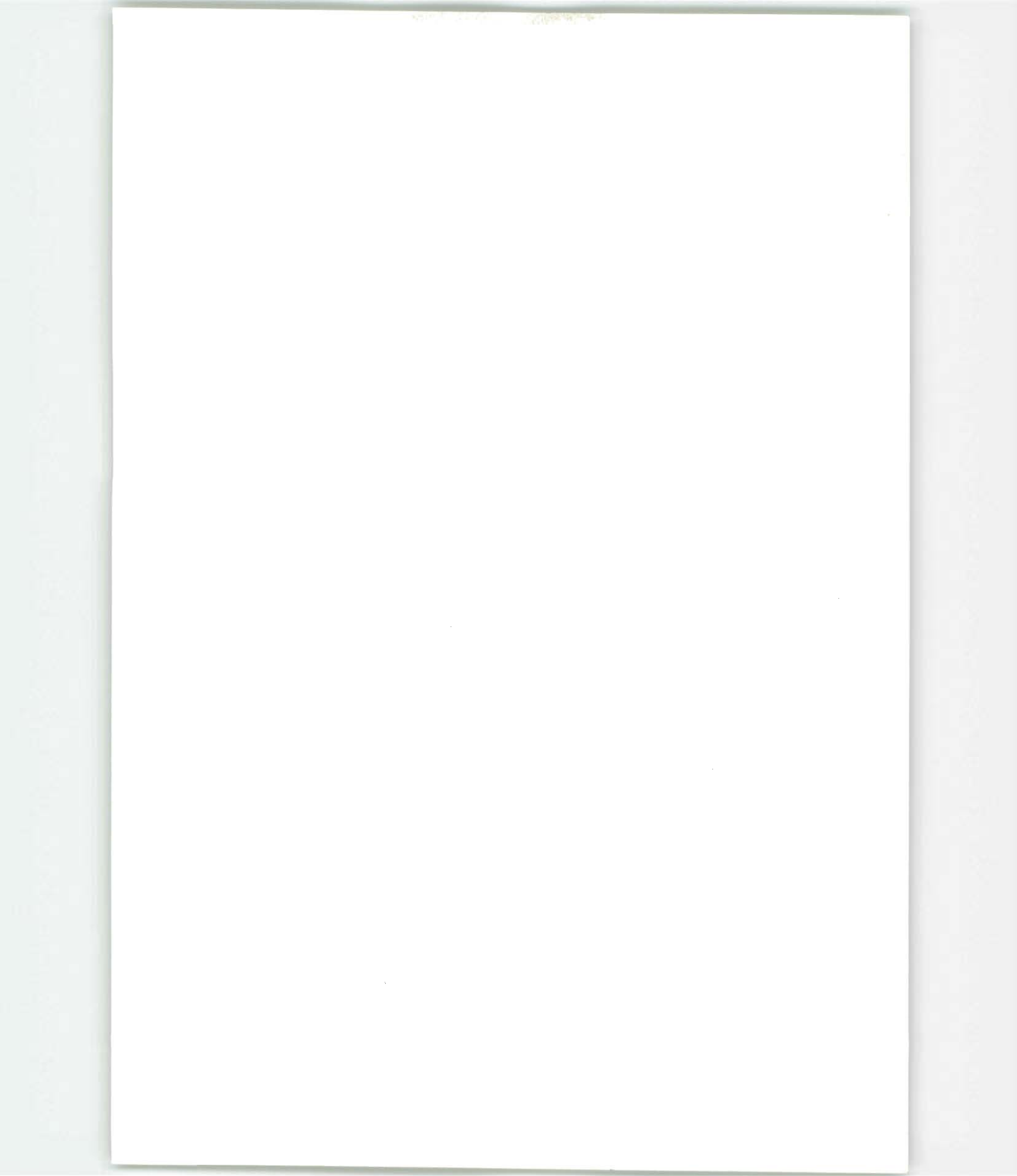
بشأن الترجمة حاولت قدر المستطاع أن أيسر أسلوب سارتر للقارئ العربى، وأن أحافظ على جملته وأسلوبه، هذا على الرغم من اعتماده على الجمل الطويلة والعرض المتراكب المتراتب، عن طريق الجمل التى تفضى كل منها للأخرى فى بناء وعرض أفكاره، ووضعها داخل إطار فلسفى منطقى عقلى يشبه البناء الهندسى كثيرا، وحاولت الإشارة إلى بعض السمات الأسلوبية لديه؛ كأن يستخدم "لزمة": هذا هو، للتوضيح والتأكيد ولفت الانتباه، وأن يستخدم ضمير المخاطب، ويوجه حديثه للقارئ فجأة لجذب انتباهه ووضعه داخل دائرة الموضوع المطروح للنقاش، كذلك استخدامه للجمل الاعتراضية والوصفية كثيرا.

ختاما؛ ما المشكلة فى قدرتنا – بوصفنا عربا – على عرض وجهة نظرنا على العالم؟ هل نفتقد للحماسة.. لا أعتقد ذلك، هل نفتقد للعقليات القادرة.. لا أعتقد ذلك أيضا! هل نفتقد للإرادة والإمكانيات المادية والمؤسسية.. ربما على نحو ما! لكن ذلك ليس بيت القصيد هنا. أعتقد أن المشكلة تكمن فى المنهج والخطة المتكاملة! نحن نميل فى المنهج للأحكام العامة التى لا تدعمها تفاصيل ودراسات جزئية ونوعية؛ بحيث تكون هذه الدراسات متصلة تكمل كل منها الأخرى فى خطة متكاملة مقسمة لعدة محاور وأقسام... نحن نؤكد حقنا وصحة موقفنا؛ لكننا لا نعرف كيف نعرض وجهة نظرنا على العالم بشكل مقنع ومرتب وموضوعى، نميل فى أحكامنا للمطلق والتأكيد على الشعارات واستخدام خطابنا القومى وموروثنا التاريخى ومعتقدنا الدينى؛ ولا عيب فى ذلك سوى أنه خطاب يصلح للداخل العربى، ولا يمكن الاعتماد على نجاحه مع الآخر، الذى بدوره لديه خطاب داخلى يعتمد على الموروث الخاص به!

ما أريد قوله خلاصة أننا فى حاجة لمشروع علمى عربى؛ يستخدم الخطاب الموضوعى ويقدم وجهة النظر العربية فى دراسات جادة ورصينة، تستطيع أن تقف على أرضية صلبة فى المحافل العلمية والثقافية العالمية، يجب أن نؤمن "الظهير الثقافى" لموقف الحق العربى.

وعلى الله قصد السبيل

المترجم



القسم الأول:

الدراسة النقدية

"سارتر: بين الصهيونية وسلب الحق الوجودى للفلسطينيين"



أولا: مدخل وسياق تاريخي:

- أوربا وعقدة الذنب اليهودية:

مع مشارف عصر النهضة الأوربي كانت أوربا قد فشلت فى التعامل مع الوجود اليهودي على أرضها؛ فلم تفلح فى استيعابهم ولم تفلح فى التخلص منهم بعيدا عنها، وهو ما أدى لظهور ما سمي: بالمسألة اليهودية، حيث تحولت الصورة النمطية الشائعة بين الناس فى أوربا عن اليهودي، شيئا فشيئا إلى صورة: المستغل، المتآمر،الغامض، الجشع، العدو.. وتركيزا أكثر على فكرة: العدو/ الآخر. حيث ارتبط تجمع اليهود فى بلد ما، بظهور أحداث ومشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية، سرعان ما ينسبها أهل تلك البلد لوجود اليهود والدور الذى يلعبونه عبر ذلك الوجود، ومحاولة تعظيمه بشتى الطرق؛ مما يستتبع ظهور موجة من الأحداث المتوالية ضد وجود اليهود، وبالتالي خروج السكان اليهود وطردهم من ذلك البلد.. ومع دخول أوربا القرن العشرين جاءت ذروة المشاعر المتراكمة تجاه اليهود وأفعالهم الشائعة عنهم؛ حيث أخذت فى عهد ألمانيا النازية صورة: العرق الأدنى، وصنفهم هتلر – مع بعض الأعراق الأخرى – تحت بند الإبادة فى المحارق التى أعدها لذلك، وتلك "هي الفترة التي ألف سارتر فيها كتابه الشهير: تأملات في المسألة اليهودية، الذي عبر فيه عن تعاطفه مع اليهود لما تعرضوا له من اضطهاد عنصري وإبادة عرقية فى أثناء الحرب العالمية الثانية والعصور الماضية"[1].

كذلك تم استخدام موقف هتلر من اليهود و"أحداث النازية" ذريعة لتبرير الصهيونية وتقديم كل محاولة لنقدها كفعل معادى للسامية! وتحولت كذلك لتبرير ودافع رئيسى للحضور الثقافى والشعبي لهذا المصطلح فى أوربا، فأصبحت "النازية هي ضربة قاضية بالفعل لكل مفكر يبحث عن جذور معاداة السامية. لكن الحرب العالمية الثانية عموما تشوش علينا في العديد من الأسس التاريخية الأخرى: الدم اليهودي الذي أراقه النازيون – يقول سارتر- يتبعثر مجددا أمامنا جميعا".[2]. في ظل

---

1 - نور الدين اللموشي، سارتر والصراع العربي الصهيوني، ص105 ، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011

2 - יהודית אוריין، סארטר על אנטשימיות، מעריב، 22/12/1978

ذلك التاريخ من العداء لوجود اليهود وأفعاله ظهر داخل أوربا المعاصرة، التى ارتدت ثوب ما بعد الحداثة والقطيعة مع كل الأفكار النمطية الموروثة فكرة: دعم اليهود، وتعويضهم عما جرى لهم من أحداث مفترضة، ارتبطت عموما بفكرة أوربا البربرية الدينية والقومية والفاشية والنازية، فعلى "الرغم من ذلك قبل عام 1948، جذبت[الصهيونية] الدعم، ليس فقط من عدد ضخم من اليهود، لكن أيضا من النخبة التقدمية. تبنى برتراند راسل، جان بول سارتر، و أنيورين بيفان، جميعا القضية الصهيونية، ليس ببساطة بوصفها جنة للمضطهدين، لكن لأن دولة لليهود قدمت إمكانية بناء مجتمع جديد، خاليا من العيوب الأوربية"[(1)].

تلك هى خلفية علاقة أوربا مع اليهود فى العصر الحديث وملخصها: الإحساس بالذنب، الذى جعلها تختار ثقافيا وأخلاقيا: جانب اليهود، وكذلك على المستوى العملى والسياسى: استطاع ذكاء وحنكة اليهود أن ينجح فى تقديم مشروعهم الصهيونى لاحتلال فلسطين، على أنه امتداد للحضارة الأوربية ومنجزها الإنسانى، وبالتالى تحولت الكراهية المطلقة لليهود، لدعم مطلق ورغبة فى التكفير عن الذنب التاريخى المفترض، انعكست الصورة النمطية لليهودى: من العدو، لصورة نمطية وشائعة عن: اليهودى المضطهد الذى يجب تعويضه، ومساعدته أينما كان. ويقول سارتر في ذلك: "يصعب علينا نسيان ما حدث لليهود في أوربا"[(2)].

- **سارتر والجماعة (الطبقة) المضطهدة:**

إذا قمنا بالبحث عن نظرية سياسية عند سارتر الذى ظهر فى فترة ما بين الحربين العالميتين، وأصبحت لفلسفته الوجودية الفردية السيادة فى أوربا والعديد من بلدان العالم بعد الحرب العالمية الثانية؛ فلن نجد رؤية ثابتة وشمولية قاطعة مثلما تفعل الماركسية –اتفقنا أو اختلفنا معها– مثلا، وإن تأثر سارتر بفكرة الطبقة عموما، ولكنه خلط فى توظيفها عندما وصف فى كتابه الاضطهاد بأنه سيادة الجنس الآرى على الطبقات، أو عندما اعتبر الأقليات هى الطبقة المضطهدة.. خالطا التصور القومى

1- Colin Shindler, A History of Modern Israel, p.10, Cambridge University Press, 2013.

2 - נפתלי אילתי, סארטר על אנטשימיות, יהדות, ציונות וישראל
www.daat.ac.il/daat/kitveyet/shana/eylati2-2.htm

بالتحليل الاقتصادى المادى، وهو ما ظهر أيضا أحيانا فى توصيفه لليهود بوصفهم طبقة قومية مضطهدة، دون أن يعطينا نموذجا تفسيريا شاملا لآلية الفرز الطبقى فى المجتمع والعوامل المتحكمة فى ذلك!

إنما يمكن القول إن سارتر فى نظريته السياسية يقدم لنا فكرة الحرية إجمالا فى إطلاقها، فهو يقف مع أية طائفة أو طبقة تتعرض للقهر والاضطهاد وتقييد الحرية والعنصرية، فلقد أصبحت "العنصرية بالنسبة لسارتر، وظواهر الفاشية، والكولنيالية، والإمبريالية المتصلين بها؛ اهتماما مركزيا منذ أعماله المبكرة وحتى نهاية حياته"[1]، ويظهر هنا أيضا تأثر سارتر بسياقه التاريخى وموقفه من فظائع النازى العنصرية، فسارتر — على المستوى النظرى - ليس مع طبقة أو فئة أو جماعة من البشر ضد أخرى على طول الخط.

هو يرى أن الإنسان الحقيقى يجب أن يضع فى ذهنه كل البشر لا جزءا منهم فقط. لذا فيمكن القول إن نظرية سارتر السياسية أساسها أنه: ضد القهر والاضطهاد وتقييد الحرية، فهو مع الجماعة أو الفئة أو "الطبقة المضطهدة" التى تتعرض لظروف تسلب منها حريتها فى اختيار وتحديد طبيعتها الوجودية، فهو مع الجماعة من البشر حتى تتحرر من "القهر الوجودى"، الذى يمنعها من أن تكون حرة فى اختيار وتحديد طبيعة: "اختيارها الوجودى" فى الحياة. وهو ما طبقه على النموذج اليهودي فى أوربا حين قال: "في الواقع، لقد رأينا للتو ، على النقيض من رأي واسع الانتشار، أن الشخصية اليهودية ليست هي ما يثير معاداة- السامية لكن، بالأحري، إنه المعادي- للسامي الذي يخلق اليهودي"[2]

- **المسألة اليهودية وطبقة سارتر المضطهدة:**

قلنا إن علاقة اليهود بأوربا انتهت فى فترة الحرب العالمية الثانية لحالة "التطهير العرقى"، ورغبة هتلر فى التخلص اليهود — مع بعض الأعراق الأخرى - بوصفهم عرقا أدنى! وقبل ذلك كانت العلاقة قد ساءت على مدى العصور الوسطى وحتى فى

---

1 - Ian H. Birchall, Sartre Against Stalinism, p. 81, Berghahn Books, 2004
2- Jean Paul Sartre. anti-Semite and Jew, translated by George j.becker, schocken books, new york, 1995, p:103

عصر النهضة، كان وجود اليهود فى بعض البلدن وعلاقتهم بأهلها، يتسبب فى وقوع الأحداث التى تؤدى فى النهاية لخروج اليهود من تلك البلدان، ذلك الخروج الذى كان يصحب دائما بوقائع وتفاصيل ملتبسة متعددة الروايات، تؤكد فى النهاية فكرة اليهودى العدو! وفكرة العدو هذه يرى سارتر أنها الموقف الوجودى الذى فُرض على اليهود وهو الذى شكل هويتهم دون غيره، "الذي يصنع اليهودي هو موقفه الملموس؛ الذي يوحده مع اليهود الآخرين هو هوية مواقفهم"[1].

بالتالى لم يأخذ سارتر الكثير من الوقت ليصل إلى أن اليهود (يهود أوربا تحديدا) هم التطبيق الحى لنظريته فى الوجود الإنسانى الحر ، هم الطبقة أو "الجماعة المضطهدة" التى يجب النضال والعمل السياسى من أجل أن تصل إلى حقها الطبيعى فى "حرية الوجود": التى تعنى حريتهم فى القيام بالاختيارات والتجارب الإنسانية التى تحدد وجودهم وهويتهم الذاتية، لا أن يظلوا قابعين –من وجهة نظر سارتر– تحت ضغط الآخرين المستمر، الذى يحدد وجودهم فى فكرة: "الطبقة المضطهدة"، التى كما يقول عنها لا تملك إلا أن تكون مضطهدة، هو يختار أن يكون مع اليهود لا لكونهم يهودا، ولكن لكونهم يتعرضون – فى رأيه – لعملية "حصار وجودى" تسلب حقهم فى حرية القيام بالاختيارات والتجارب التى تحدد طبيعة الإنسان وهويته فى الوجود، وفقا لتصوره للفلسفة الوجودية، ولا تضعهم فى الموقف الوجودى الحر، فيقول سارتر فى ذلك: "لذلك اليهودي في موقف اليهودي؛ لأنه يعيش في وسط مجتمع يعامله على أنه يهودى".[2]

- **إشكالية تحرير المضطهَد أم تحرير المضطهِد:**

وفقا لتصور سارتر عن الجماعة أو الطبقة المضطهَدة، كتب سارتر كتابه عن المسألة اليهودية عام 1944م قبل نهاية الحرب بعام واحد تحت عنوان: "تأملات في المسألة اليهودية"، الذى صدر وترجم للإنجليزية تحت عنوان: "عدو السامى.. واليهودى" (وعل اختيار المترجم الإنجليزى لهذا العنوان كان بالفعل معبرا عن موضوع الكتاب أكثر من عنوان سارتر)؛ وحاول سارتر فيه أن يجعل أوربا تتطهر من عقدتها

---

1 - anti-Semite and Jew, p:105
2- the same, p:52

تجاه اليهود، كان كتابه عن تحرير الأوربى المذنب مما اعتقد أنه موروث كراهية وصورة نمطية تجاه اليهودى، لم يقارب سارتر المسألة اليهودية، بقدر ما قارب عقلية الأوربى صاحب "الصورة النمطية" الشائعة عن اليهودى كعدو.

كان سارتر يقدم تحليلا نفسيا فى كتابه لظاهرة: الصورة النمطية لليهودى العدو عند المواطن الأوربى العادى والبسيط، دون أن يقدم تحليلا أو تصورا لشئ آخر، كان كتابه أقرب للتحليل النفسى لسلوكيات ودوافع المواطن الأوربى تجاه ظاهرة: الصورة النمطية لليهودى العدو، لم يبحث فى جذورها ووقائعها التاريخية، لم يرجع للمصادر والوثائق الأحداث، كان يتناول الظاهرة من حيث هى ظاهرة موجودة بالفعل، لا من حيث أسباب نشأتها، هو أراد أن يعالج: العرض الظاهر للمشكلة المتمثل فى فكرة الكراهية، دون أن يهتم بالعودة: لأصل المرض وجذور المشكلة التاريخية وجوهرها وأسبابها، فقد أراد أن ينظر لها نظرة وجودية آنية ظاهرية، تقطع كل الصلة بالماضى والتاريخ.. وتهتم بأطراف المشكلة الإنسانية فقط: اليهودى المضطهَد و الأوربى المضطهِد، ووضع الذنب والخطأ بالطبع على المضطهِد بغض النظر عن وقائع التاريخ وأحداثه وجذور المشكلة..

- **المعايير المنهجية لنظرية سارتر تجاه اليهود:**

الكتاب على خصوصية موضوعه، إلا أنه بحق خير معبر عن فلسفة سارتر الوجودية: الظاهرية والانطباعية والذاتية، "نقطة انطلاقه" منهجيا فى تأسيس تحليله العلمي للمسألة اليهودية، قائمة على مجموعة من "الآراء الانطباعية" قام بجمعها ذاتيا من مجموعة من الناس فى فرنسا! وسبب كتابة الكتاب يتعلق بظرف تاريخى بعينه، يرتبط بطرح مسألة عودة يهود فرنسا الذين رحلوا فى العهد النازى، وذلك فى مرحلة فرنسا ما بعد الحرب العالمية الثانية، "بينما تقترب الحرب فى أوربا من نهايتها، لاحظ جان بول سارتر أنه فى المناقشات حول فرنسا ما بعد الحرب، لم تذكر العودة الوشيكة ليهود فرنسا الذين رحلهم النازيون"[1]، حيث كان سبب إثارته وكتابته للموضوع مرتبطا بذلك الحدث، فلم يستخدم "منهجا تاريخيا" لمقاربة المشكلة وتحليل

1- Michael walzer, in his preface of: anti-Semite and Jew, p: v

جوهرها مثلا، بل استخدم منهجا ظاهريا فى مقاربة المسألة قائما على مجموعة الانطباعات الذاتية لمجموعة من الناس جمعها فى مقابلات خاصة، ولم يعطنا أية بيانات عنها.. ويمكن القول ان سارتر أسس لموقف كانت له السيادة فى أوساط المثقفين الفرنسيين والكثير من الأوربيين الذين كانوا رد فعل لأحداث هتلر فى حق اليهود، فلقد "مال المثقفون الفرنسيون فى الفترة من عام 1947إلى عام 1967 لرؤية إسرائيل باعتبارها حصنا ضروريا فى مواجهة معاداة السامية العالمية. ودافعت شخصيات متنوعة عن الادعاءات الإسرائيلية مذعورة من المحرقة اليهودية، مثل جان بول سارتر ، مارجريت دوريس، ومشيل فوكو"[1]

إنه يكتفى بانطباعه وتحليله الذاتى عن تلك الانطباعات، التى هى بدورها ذاتية وظاهرية أيضا، وأقرب لفكرة استطلاعات الرأى. فكتابه قائم على تحليل المشكلة من حيث هى قائمة وموجودة فى الواقع، لا من حيث هى تاريخية أو جوهرية.. هو يعتمد على الذات الإنسانية وانطباعتها عما هو موجود فى الواقع، لا عما هو كائن فى التاريخ أو الماضى.. الكتاب يعد تاكيدا على المنهج والجانب الظاهرى الانطباعى للوجود والحياة، لا على المنهج والجانب الجوهرى التحليلى التاريخى العقلى للوجود، لم يشغل سارتر نفسه بالجرى وراء البعد التاريخى للموضوع وأسباب نشأة ظاهرة :الصورة النمطية لليهودى بوصفه عدوا فى أوربا. إنما فلسفته قائمة على "الآن" على "الحاضر" وعلى انطباعات وأراء الإنسان حول الموضوع.. هو يرى أنه ليس هناك أبعد مما هو "حاضر"، هو ينطلق من الإنسان الذاتى الفردى، ورأيه الخاص.. ويهجر ويصنع قطيعة مع الأنماط والأفكار البشرية الجماعية الموروثة الجاهزة بأشكالها: القومية العرقية أو الدينية أو حتى الاقتصادية والطبقية، لم يعد سارتر لكتب ومراجع ومصادر تاريخية موروثة وجاهزة، بقدر ما عاد للإنسان المعاصر الموجود بالفعل فى الواقع، وآرائه وانطباعاته ومشاعره وانفعالاته الذاتية عن: المسألة اليهودية.

---

1 - Andrew Ryder, Derrida and the Crisis of French Zionism, Warscapes Magazine, 15/4/2013.
http://www.warscapes.com/opinion/derrida-and-crisis-french-zionism

ثانيا: أسس نظرية سارتر فى اليهودية:

- اليهودية موقف يصنعه الآخرون:

طور سارتر ما يمكن تسميته بأزمة "الوجود اليهودي" فى أوربا والعالم، أو إن صح القول هي: "وجودية يهودية" أسس لها سارتر فى سياق سعيه لتناول مشكلات العالم التى وجدها معاصرة له، حيث وجد فى اليهودى ضالته التى يسعى لتحريرها مما رأى أنه قهر وجودى يمارسه الإنسان الأوربى المعاصر باسم: الدين والتاريخ والأيديولوجيا، ويقول فى ذلك: "إذا لم نكن قد خلقنا لليهودي موقفه بوصفه يهوديا، لكان من الممكن له أن يمارس اختيارا بين القدس وفرنسا؛ الأغلبية الضخمة من يهود فرنسا قد تختار أن تبقى في فرنسا، عدد صغير قد يذهب ليزيد نمو الأمة اليهودية في فلسطين"[1]، كان موقفه من اليهود يأتى فى سياق رؤيته للعالم وأوربا ما بعد الحداثة، لم يكن يعنيه أصل المشكلة، فهو توقف عن البحث عن أصول الأشياء وجوهرها! من ثم كان معنيا بتناول المشكلة بوصفه مشكلة واقعة وحادثة وموجودة بالفعل، دون أن يعود لجذورها وأسبابها، هو يريد أن يعالج البعد النفسى الإنسانى الذاتى العاطفى المترتب على المشكلة الأصلية، لا أن يعالج المشكلة ذاتها وجوهرها.

يرى سارتر أن اليهودى لا يختار أن يكون يهوديا، فهو لا يعتقد أن العرق هو الذى يجمع اليهود، وكذلك لا يعتقد أن الأرض هى التى تجمعهم، وفى تصوره لا يعتقد أن الدين هو الرابط الذى يجمعهم كذلك! واعتمد فى برهنته على هذه النقطة على منهجه الظاهرى الانطباعى الذاتى نفسه، القائم على سرد مواقف لأفراد تدلل على عدم تجذر الدافع والمنطق والأساس الدينى وراء أفعالهم! ولكن سارتر يقول فى نظريته للمسألة اليهودية إن الذى يجعل اليهودى يهوديا: هو الآخر المضطهد (الأوربى أو الفرنسى)، ويسترسل فى عرض الدوافع النفسية والاجتماعية للمضطهد حيث يصنفه طبقيا بأنه من الطبقة الوسطى الدنيا، التى لا تملك الكثير فى الحياة والمجتمع، ويفسر فعل الاضطهاد بأنه يشعر تلك الطبقة بأنها تملك شيئا أو تنتمى لشئ، ويجعله يشعر بالتفوق والتعالى.. ويقول إن اليهودى يوجد فى ظروف تجبره على أن يكون

1- anti-Semite and Jew, p:101

يهوديا، يقول إن الأفكار المسبقة عند الأوربى المضطهد، وصورته النمطية عن اليهودى العدو، تحرم اليهودى من حرية الاختيار فى الحياة، تحرمه من أن يكون مسئولا عن وجوده، وتجعل وجوده نمطيا مقهورا أشبه ب"الوجود فى ذاته" وذلك جوهر فكرة الجماعة أو الطبقة المقهورة عند سارتر. وفى الوقت نفسه ذلك النوع من القهر فى تصور سارتر يجعل وجودَ الأوربى وجودا نمطيا تقليديا ومتوارثا غير حر..

كان سارتر يبحث عن تحرير مزدوج: تحرير اليهودى المضطهد من الظروف والملابسات التى تشيع عنه وتلصق به، وتجبره على نوع من الوجود ليس فيه حرية اختيار، وكذلك تحرير الأوربى المضطهد من مواقف مجهزة سابقة ونمطية، تجعله يركن لها ويحملها الكثير من المسئولية فى مشاكله الحياتية والاجتماعية! كان يريد تحرير الأوربى من: صورة اليهودى العدو النمطية التى تجعله يركن للراحة ويجعل وجوده بيد الغير ومرتبطا بفعلها لا بفعله هو، وتحرير اليهودى من الموقف المسبق الذى يجد نفسه محصورا فيه عن طريق الوراثة، وكونه ولد يهوديا ليس إلا.

- **اليهودى المضطهَد /الأعلى والطريق الجبرى:**

فى ظل هذا التناول والعرض لوجود اليهود فى أوربا، قدم سارتر أيضا تفسيراً وجوديا لفكرة: خصوصية الشعب اليهودى، وقدراته المتفردة التى تعتمد قديما وتاريخيا على فكرة "شعب الله المختار" فى الدين اليهودى. لكن سارتر قدم لها تفسيرا وجوديا قائما على أن اليهودى اضطر لأن يكون متفوقا وإنسانا أعلى (سوبر)، وفق المعطيات التاريخية التى وضع فيها! يقول سارتر إن الظروف التى وُجِد بها اليهود فى أوربا، وموقف الأوربيين النمطى المعادى لهم، والرافض لأن يشغل اليهودى الوظائف التقليدة التى ممكن أن يشغلها الأوربى العادى والبسيط، جعل اليهودى لا يملك إلا أن يكون غير عادى، لا يملك إلا أن يكون نابغة ومتفوقا وعبقريا، حتى يكون وجوده فى مجتمع الأوربى الرافض له وجود الحاجة والاضطرار، فى تصور سارتر اضطر اليهودى لأن يبرع فى مهن متخصصة بعينها لا يستطيع غيره أن يشغلها من الأوربيين أو غيرهم، حتى يكون وجوده مقبولا من جانب الأوربى المضطهِد، الذى ساعتها سيقول إنه لولا حاجته لوجود اليهودى لما قبل بوجوده.

فسر سارتر علاقة اليهود بالمال كقيمة فى حد ذاته وتجارة امتهنوها، بأن كل دولة لها صناعات وحرف قومية تشتهر بها، واليهودى كان يشعر بأنه رحالة لا وطن له، لذا أراد حرفة وتجارة ليس لها قومية يأخذها معه أينما كان، لذا اشتهر اليهود بالتعامل النقدى المصرفى لأن قيمة النقود فى ذاتها، قيمة متحركة جوالة مثله وبلا جنسية لا ترتبط ببلد ما. فالتفوق فى نظر سارتر كان عند اليهودى ضرورة للحياة، لا اختيارا أو طبيعة أو اصطفاء عرقيا أو دينيا أو ما شابه ذلك من التفسيرات التاريخية أو الدينية، بل كان ذلك التفوق: موقفا فرضته عليه الظروف الناتجة عن صورة اليهودى العدو النمطية، هو يرى أن اليهودى لم يكن يملك رفاهية أن يكون عاديا وتقليديا، لآن الآخر الأوربى يجبره على التفوق المهنى والوظيفى، وإلا أصبح وجوده غير مرغوب فيه، يرى سارتر أن التفوق كان نتاجا للقهر والاضطهاد، كان نتاجا لانعدام قدرة اليهودى على "الوجود الحر"، الذى يمكنه من القيام "باختيارته" الناتجة عن تحمله "المسئولية"، نتيجة لوجوده فى موقف وظروف طبيعية غير قاهرة.

- **مطلب التحرير الوجودى:**

انطلاقا من النقطة السابقة ينادى سارتر بتحرير اليهود كجماعة أو طبقة مضطهدة تفتقد لمقومات الوجود الحر، الذى يمكنها من اتخاذ موقف وجودي حقيقى (أو أصيل كما أسماه سارتر) فى الحياة، فهو يتحدث عن حيرة اليهودى إزاء السلوك الذى يجب عليه أن يتخذه، فيقول سارتر فى ذلك: "كيف سيصير اليهودي: يهوديا أصيلا أم غير أصيل. إذا كان يهودي أصيلا حينئذ عليه أن يلتزم بتبني مجموعة من السمات السيئة، حيث هكذا فهم اليهودي في المجتمع، كل السمات المنسوبة لليهودي (وفقا لسارتر) هي سيئة"[1]، كما يقول إن اليهودي ليس عنده مانع من أن يندمج فى المجتمع الأوربى ويصير مواطنا عاديا، لكن –فى رأيه– أن المجتمع الأوربى هو الذى يرفض أن يندمج اليهودى به، عبر إصراره على الصورة النمطية المعادية لليهودى.

1 - סארטר – השאלה היהודית
http://textologia.net/?p=8306

ينتقد سارتر التوجهات الديمقراطية والليبرالية الأوربية فى تناولها للمسالة اليهودية، التى تقوم على فكرة أنه لا توجد مشكلة يهودية، فهو يرفض أى حل قائم على القهر والفرض، يرفض أن يكون هناك حل قائم على نزع خصوصية اليهودى الدينية والاجتماعية (فهو ينظر للدين كطقس أو رمز اجتماعى كأى شئ آخر)، وكأنه يقول اتركوا اليهودى ليكون كما هو، ثم من حق اليهودى بعد ذلك أن يختار ما يشاء، ويتحمل مسئوليته تجاه الموقف الذى سيتخذه فى الحياة والذى سيحدد وجوده الحقيقى ساعتها.. سارتر فى طرحه وتناوله للمسألة اليهودية وجودى يضع الحل على عاتق المواطن الأوربى صاحب الصورة النمطية عن اليهودى كعدو، يرى سارتر أن حل المشكلة يتمثل فى الجانب والطرف الآخر منها، يرى أن الحل يكون فى توقف العالم الأوربي عن معاملة اليهودي انطلاقا من الصورة النمطية التاريخية الموروثة التقليدية، وفى دفاع الأوربى عن أى شبهة اضطهاد أو سوء معاملة قد يتعرض لها اليهودي فى أي مكان.. " إن الذى يجب عمله هو أن نبين لكل شخص أن مصير اليهودى هو مصيره. لن يكون فرنسيا واحدا حرا طالما لم يتمتع اليهود بكامل حقوقهم. لن يكون هناك فرنسى آمن مادام يهودى واحد – فى فرنسا أو العالم الواسع- قد يخاف على حياته"[(1)].

تلك النظرة التى أسس لها سارتر عن فكرة معاداة السامية واليهودى وفكرة الاضطهاد وضرورة تعويض اليهود والدفاع عنهم فى كل مكان، هى المحور المركزى ونقطة انطلاق أوربا فى تناولها وتعرضها لكل ما يتعلق باليهود، وهو مالا نعطيه الكثير من الأهمية فى دراساتنا العربية، ويقول سارتر فى هذا السياق: "ولكن قد يتم توجيهه [اليهودى] من خلال اختياره للأصالة للسعي لخلق أمة يهودية تمتلك أرضها الخاصة وحكمها الذاتي؛ قد يقنع نفسه أن الأصالة اليهودية تتطلب أن يتم تعزيز اليهودي بواسطة مجتمع يهودي قومي"[(2)]، وموقف سارتر هذا جعل له مكانة خاصة عند اليهود، حيث "بالنظر إلى أن سارتر كان واحدا من أكثر الناس تحمسا لإنشاء دولة إسرائيل عام 1948م فقد اعتبره اليهود على الدوام بطلا ونصيرا للسامية والمظلومين"[(3)]

---

1 - anti-Semite and Jew, p:110.

2- the same, p:101

3 - رمسيس عوض، الهولوكست فى الأدب الفرنسى، دار نهضة الشرق،ص42، ط1، 2002

ثالثا: نقد مقاربة سارتر:

- **ظاهر المشكلة وجوهرها:**

قدم سارتر تحليلا وجوديا للمسألة اليهودية، يختلف تماما عن التصورات الأيديولوجية التى تنطلق منها الأطروحات القومية والدينية، وإن اقترب تحليله بعض الشئ من أفكار "الصهيونية الماركسية" عن "الطبقة القومية" عند بيرخوف، وما قد يحمله سوق العمل من صراع داخلى بين طبقة البلوريتاريا يقوم على الأساس العرقى ومحدداته.. وتشابه معها أيضا فى تصوره أن المجتمع القائم على الهوية الطبقية فقط دون أى دور للهوية القومية أو الدينية أو العرقية سوف يقدم حلا متخيلا للمشكلة اليهودية، فيقول سارتر: "ذلك يعني أن معاداة– السامية هي تمثل خرافي وبرجوازي للصراع الطبقي، وأنها لا يمكن أن توجد في مجتمع بلا طبقات. تظهر معاداة — السامية الانفصال بين البشر وبين عزلتهم في غمار المجتمع، تضارب المصالح والتيارات المتضاربة للعواطف"[1]، إنما يقع النقد الأساسى الموجه لتصور سارتر للمسألة اليهودية ونظريته فيها، فى أن هذا التصور فى غالبيته ليس سوى تحليل نفسى لمشكلة صورة نمطية، يقف عند هذا الحد ولا ينتقل لمساحة البحث الحقيقى فى أصل المشكلة وجذرها، هو تحليل يقف عند الظاهر ولا يبحث فى حقيقة المشكلة وطبيعتها، ولعل ذلك النقد ينطلق ليطال الفلسفة الوجودية ومنهجها الظاهرى كله عند سارتر فى مقاربة الظواهر الإنسانية.

أهمل سارتر تماما الدوافع ومحركات النفس البشرية التى تعتمد على عوامل الهوية المشتركة عند الجماعة من الناس، فلم يبحث فى الأسباب التاريخية التى جعلت الجماعات اليهودية المتفرقة فى شتى بقاع العالم، تحافظ على فكرة أنها جماعة! فعلى الرغم من ضياع روابط اللغة والأرض والحياة المشتركة! حافظ اليهود على فكرتهم المتخيلة والموروثة عن الجماعة التى كانوا عليها ذات يوم، وتوقف سارتر عند ظاهر المشكلة وأطرافها فقط، جعله يضع اليهودى فى خانة رد الفعل دون أن ينتقل لدراسة السلوك التاريخى ودوافعه المختلفة عند الشخصية اليهودية ، التى تمسكت بقوة

1- anti-Semite and Jew, p:108

بفكرتها بوصفها جماعة على الرغم من ضياع معظم الروابط والمكونات التى تشكل الجماعة عندهم. وذلك لأنه أصلا ينكر وجود الشخصية القومية ويقول إن الظروف والمواقف الآنية المتجددة، وحدها هى التى تصنع الشخصية الإنسانية فقط دون محددات تاريخية وجماعية مسبقة وموروثة، بالرغم من اعترافه بالدور الدينى الذى أنتج الرابط القومى فى الحالة اليهودية، فلقد "قويت الرابطة الدينية بين يهود الشتات والذين ظلوا في أرضهم؛ أخذت إحساس الرابط القومي وقيمته"[1]..

أسقط سارتر تماما أثر الدوافع والاختيارات التى تقوم على فكرة الهوية التاريخية الموروثة، التى يتبناها أفراد الجماعة بشكل إرادى، وجعل معظم محددات الشخصية اليهودية رد فعل! وهو ما أخذه عليه بعض يهود فرنسا نفسها، فعلى "شدة تعاطف سارتر مع اليهود ودولة إسرائيل فقد انبرى لانتقاده بعض اليهود من المعجبين به مثل ألبرت ميمى [أديب يهودى فرنسى] .. فهو يعيب على سارتر قوله أن اليهودى هو الشخص الذى يعتبره الآخرون يهوديا.. لأن اليهودى هو أيضا تاريخ وتقاليد ومؤسسات وعادات إلى جانب كثير من الخصائص الإيجابية الأخرى".[2]، وذلك ما يثير السؤال المنطقى: هل اشتركت كل مجتمعات العالم الحديث والمعاصر فى السلوك نفسه تجاه اليهود..! متبعين منطق التقليد دون أن يكون لليهود فعل ودور مباشر فى تكوين هذه الصورة الشائعة عنهم! وهل كان وجود اليهود فى كل البلاد يحظى بالتقييد الذى يمنعهم من الاندماج داخل تلك المجتمعات! وما الأسباب الأصلية لنشاة هذا التقييد المفترض حول اليهود! إذا كانت نظرية سارتر صحيحة عن كون المسألة اليهودية رد فعل لفكرة الاضطهاد الأوربى المعاصر، فلماذا لم نسمع فى التاريخ القديم عن دولة ما، اختار يهودها الاندماج والذوبان فى نسيجها القومى الخاص! كما أن سارتر فى سياق حديثه وتأكيده موضوع الجماعة أو الطبقة اليهودية المضطهدة، لم يتناول تأكيد فكرة "العدل الوجودى" والحفاظ على "الحرية المتبادلة"، بحيث لا تتحول تلك الجماعة التى يقول بأنها مضطهَدة لأن تكون مضطهِدة وعدوانية فى بحثها عن حريتها الوجودية الخاصة، ليس من حقها أن تمارس حقها الوجودى على حساب أن

1- anti-Semite and Jew, p:43

2 - رمسيس عوض، الهولوكست فى الأدب الفرنسى، دار نهضة الشرق،ص45، ط1، 2002.

تسلب جماعة أخرى حقها الوجودى! لم يتطرق سارتر لمنطق العدل وحرية الفلسطينيين فى الوجود، الذين سلبهم اليهود من الصهاينة حقهم فى الاختيار والوجود الحر.. بل وبالمنطق نفسه نستطيع القول ردا على سارتر وبمنطقه نفسه، أن العربى الفدائى المقاتل المقاوم دائما، لم يختر ذلك ، وأن طفل الحجارة الفلسطينية لم يختر، هو جاء فى موقف وجودى مسبق تضطهده فيه جماعة أخرى (يهود الصهيونية)، وبالتالى لم يجد أمامه فرصة فى البقاء سوى عن طريق الردع والحرب والمبادرة بالهجوم وزرع الفزع عند العدو (الذى يضطهده ويمارس ضده التطهير العرقى)، حتى يستطيع أن يستمر فى الحياة والوجود.

لقد تغاضى سارتر تماما فى بحثه عن حرية اليهود الوجودية، عن فكرة "العدل الوجودى" و "الحرية المتبادلة" التى يجب أن يحافظ عليها اليهود فى سبيل بحثهم عن حريتهم الوجودية، تعامى سارتر عن احتلال اليهود لأرض فلسطين وقهر الفلسطينيين، وتحول الفلسطينيون لخياريين وجوديين قاهرين جبريين نتيجة للاضطهاد اليهودى الصهيونى، الأول: إما البقاء وحمل السلاح والمقاومة الجبرية الشرسة القائمة على الردع الشديد ضد عدو متفوق عسكريا، لم يترك لهم سوى خيار الردع بالفزع والرعب وصولا لمرحلة التضحية بالجسد (الاستشهاد)، الثانى: أو خيار الشتات الجبرى والضياع الفلسطينى فى بلاد الأرض.. لم يتحدث سارتر عن "العدالة الوجودية" و "الحرية المتبادلة" فى منطق الجماعة اليهودية المضطهدة، تعمد إسقاط الحديث عن ممارسات العنصرية والقهر الصهيونى التى تستند لدعاوى تاريخية ودينية أهملها سارتر تماما فى تحليله للمسألة اليهودية، أهمل سارتر "الجماعة الفلسطينية" المضطهدة تماما، ونسى المطالبة بحريتها الوجودية التى سلبتها منها جماعة سارتر اليهودية المضطهدة حسب تحليله الظاهرى لظاهرة: الصورة النمطية لليهودى العدو.

- **سياق ظهور مصطلح معاداة السامية ونقده:**

لم يلتفت سارتر لنقطة مهمة جدا فى طبيعة الشخصية اليهودية، وهى أن فكرة الطبيعة السابقة للوجود حاضرة بشدة فى المكون الأساسي لتلك الشخصية، بمعنى أنها تملك تصورا مسبقا لطبيعة وجودها، من الطبيعي أن مجمل السياق التاريخى بما يشمله من عوامل وظروف جغرافية واقتصادية وإنسانية؛ يؤثر فى الصفات التاريخية لكل

مجموعة إنسانية، والتي تعطى كل مجموعة تصورا مسبقا عن طبيعة وجودها، والذي تشكله بنسبة كبيرة العوامل والظروف التاريخية التي تمر بها كل مجموعة إنسانية. فالذي لم يلتفت له سارتر فى طرحه لفكرة الوجودية عامة – أو ربما التفت إليه ولكنه تناوله من زاوية التمرد الوجودى المستمر- هو أن كل شعب أو مجموعة إنسانية تملك وجودا مسبقا حقيقيا؛ يكون رد فعل واستجابة لمجمل عوامل السياق التاريخى المتباينة التى مر بها عبر تراكمات تاريخية متعاقبة؛ تكسب كل شعب خبراته الإنسانية المختلفة.. وبالتالي يختلف شكل التصور الوجودى المسبق عند كل شعب عن الآخر، نتيجة لتباين الظروف التاريخية المتعددة التى يمر بها كل شعب أو مجموعة إنسانية..

تأسيسا على ما سبق نستطيع القول إن الوجود الحقيقي المسبق عند الجماعات الإنسانية، يرتبط بالظروف التاريخية لكل منها، لكن سارتر لم يلتفت لنقطة مهمة جدا، ومحورية فى تفسير الشخصية اليهودية، ربما لأنه كان مهموما تماما بإسقاط الجانب التاريخى من حساباته (كرد فعل للمرحلة التاريخية والسياسية التى مرت بها أوربا)، الشخصية اليهودية ربما هى الشخصية الإنسانية الوحيدة التى تملك تصورا وطبيعة مسبقة لوجودها لا يرتبط بالوجود التاريخى الحقيقي لها كجماعة، الشخصية اليهودية تملك تصورا مسبقا لطبيعة وجودها يرتبط بالأسس الدينية الغيبية، أي أنها تعتقد فى هذا التصور بوصفه جزءا من وجودها الإيماني العقائدي المسبق (فهي تختلف هنا حتى عن تصورات الوجودية المؤمنة)، ألا وهو فكرة: الشعب المختار، أو الشعب الأعلى، الشعب المتفوق، الشعب السيد والباقي –من وجهة نظره الدينية- عبيد. ويمكن أن نضع فى هذا السياق ظهور مصطلح "معاداة السامية" ذاته؛ "فلقد ظهر فى القرن التاسع عشر بداية على يد اليهودي موريس شنايدر عام 1860، قبل أن يستخدمه الباحث الألمانى فيلهم مار عام 1887 لوصف موجة العداء لليهود فى أوربا الوسطى أواسط القرن التاسع عشر"[1]، ونلاحظ أن فكرة "السامية" قادمة مباشرة من التصنيف العرقي للبشر وفق ما جاء فى التوراة! التي قسمت البشر لأجناس رئيسية أعلاها النسب لـ"سام" بن "نوح"، والدليل هنا أن مصطلح "معادة السامية" فى حد ذاته هو إصرار على التعالي الديني والعرقي من جانب اليهود، والذى قد يولد

1 - انظر موسوعة ويكيبيديا، تعريف "معاداة السامية" بالعربية، وتعريف "anti-Semitism" بالإنجليزية.

تعاليا مضادا عند غير اليهودى، وهو ما التفت إليه سارتر لكنه بالطبع توقف عند حد تفسيره كرد فعل لصورة نمطية، حيث "يضيف سارتر فى هذا السياق: لا توجد عند المعادين للسامية حاجة للكراهية فقط، بل حاجة للشعور بالتفوق أيضا. يبدو أن المعادى للسامية يعلى من شأنه عبر التقليل من شأن اليهودى"[1]. وفى الوقت نفسه يمكن تفسيره من جانب آخر على اعتبار أنه جاء رد فعل من يهود أوربا على انتشار حالة التفوق العرقى الآرى، ففى مقابل الانتصار للآرى وادعاء تفوقه، قام يهود أوربا باستخدام المنهج العرقى نفسه ورفعوا من عرقهم التاريخى: السامى (معاداة السامية) ليواجهوا الأوربى المتعالى بسلاحه نفسه.

لكن التعالى اليهودى جذوره أقوى؛ فعندما يولد اليهودى (وعلينا أن نلاحظ التداخل فى مصطلح اليهودى بين الديني والقومي، فاليهودي شرعا هو ابن اليهودية، ومرجع فكرة الشعب المختار هو أن الرسالة نزلت على قبيلة بنى إسرائيل أو نبي الله يعقوب عليه السلام وأسباطه من بعده، فالتداخل بين الديني والقومي فريد فى الحالة اليهودية) يكون جزء من الظروف والسياقات التاريخية التى يتلقاها: أنه جنس أعلى، أنه متعالٍ يستطيع أن يطلق أحكاما على الآخرين الأقل، ويسلبهم حريتهم وحقهم فى الوجود الحقيقي الواقعي الحر، اليهودى بطبيعته الدينية يملك الأساس المتعالي الذى يجعل الآخر أقل، فى حكمه الدائم.. وتلك الطبيعة الوجودية المسبقة لليهودي، لم تكن طبيعة وجودية تاريخية حقيقية، بل كانت موروثا دينيا مشتركا لدى الجماعات اليهودية المتفرقة فى شتى بقاع الأرض.. فبعد أن فقدت الجماعة اليهودية مقومات وجودها كجماعة واحدة، فضاعت منها اللغة والأرض والظروف المشتركة، بقى الرابط الوحيد بين تلك الجماعات هو فكرة الديني والتاريخي المتخيل والموروث والعقائدي، لم يلتفت سارتر – ربما لإسقاطه أثر العامل التاريخى دائما– مشكلة الاضطهاد التى تحدث عنها كصورة ذهنية نمطية مرتبطة باليهودي؛ مرجعها فكرة: التفوق وشعب الله المختار عند اليهودى ذاته، فالشعور بالعظمة والتفوق يعطى صاحبه دائما إحساسا بالغبن والظلم، ويجعله فى كل تصرفاته متعاليا على الآخر ينظر له بنوع من الدونية،

1 - נפתלי אילתי, סארטר על אנטשימיות، יהדות، ציונות וישראל
www.daat.ac.il/daat/kitveyet/shana/eylati2-2.htm

مما يستدعى بطبيعة الأمور أن يأخذ منه ذلك الآخر موقفا عدائيا لتعالى اليهودى عليه.. ولابد من ذكر دور شعور الجماعات اليهودية بالاغتراب والأزمة الوجودية الدينية والدنيوية؛ فى شتاتهم، وبعدهم عن الأرض التى شهدت مجدهم السياسي والديني والقومي.. وأثر ذلك فى شعورهم بالتعالي على الشعوب التى يستقرون بينها..

- **الكرة فى الملعب الآخر: الشعب الترانسندنتالى:**

ما لم يضعه سارتر فى الاعتبار –لأنه يرفض فكرة الشخصيات القومية أو الجمعية، ويتحدث عن ظروف محيطة، ولكن الرد عليه أن لكل جماعة بشرية ظروفا متغيرة تشكل شخصيتها الجماعية المختلفة– هو أن الشخصية اليهودية ربما تكون هى مصدر فكرة العدائية، مصدر وأصل العداء تجاهها والذي صحبته معها أينما وجدت، وهو ما التفت له بعض الأصوات الصهيونية نفسها وناقشت فيه أفكار سارتر عن معاداة السامية: "يتشابه الأمر تماما، مثلما يحتاج المعادي للسامية لليهودي للتحقق وتغذية كراهيته، يحتاج يهود معينون للمعادين للسامية كذلك؛ قومية يهودية متطرفة، ما بين الدين والسياسية، تكون حليفة معاداة السامية، كلاهما ينبعان من نقطة انطلاق واحدة"[1]، وعلى الرغم من أن سارتر كانت له ملاحظات فى هذا الشأن إلا أنه لم يضعها فى سياق تفسيرى وتوقف عنها، فهو يقول عن اليهودى الذى يتم تغذيته بالشعور بالعظمة والتفوق فى الأسرة: "في البيت، يتم إخباره بأنه يجب أن يكون فخورا بكونه يهوديا. وما عاد يعرف ما الذي يصدقه؛ ممزق بين الإذلال، المعاناة، والفخر"[2]، فالإنسان الذى يشعر بالعظمة والتفوق إذا لم يأخذ المركز الذى يعتقد أنه يستحقه، يبدأ بشكل منطقي فى كراهية المجتمع المحيط والتعالي عليه، وبشكل طبيعي أيضا يبدأ المجتمع المحيط به فى الشعور بالضيق والكراهية المضادة تجاهه، ولكن نقطة بداية المشكلة تكون نابعة من الشخص الذى يشعر بالتفوق وينظر للآخرين بتعال.

لم يلتفت سارتر إلى ارتباط فكرة التفوق بفكرة الاضطهاد وما يصحبها من سلوكيات قد تكون غير سوية، ولم يلتفت إلى أنه من الممكن أن يكون ما سماه معاداة

---

1 - יהודית אוריין, סארטר על אנטשימיות, מעריב, 22/12/1978

2 - anti-Semite and Jew, p:54

السامية؛ رد فعل على وجود الطبيعة اليهودية المسبقة المشحونة بفكرة التعالي والتسامي والتفوق.. أي أن تعالى الشعوب والمجتمعات على اليهود؛ ناتج ورد فعل لتعالى اليهود على الشعوب والمجتمعات التى عاشوا وسطها.. وهو السبب فى فكرة "اليهودى التائة" أو الحائر الذى يشعر بالتمزق والعبثية دائما، والتفت سارتر أيضا لفكرة حيرة اليهودى لكنه كان يضعها فى سياق مغاير (سياق الرد فعل للآخر)، "لقد سمع مرارا وتكرارا أن اليهودي يفكر مثل اليهودي، ينام، يشرب، ويأكل مثل اليهودي، يكون شريفا أو غير شريف من خلال خلق يهودي. وينظر اليهودي ليهوديته بعبثية" [1]. ولكن ما الحل فى تلك المشكلة حينها، وجودية سارتر ونظريته، طالبت العالم بتغيير ظروف معاملة اليهودى، ولكن ماذا لو أن المشكلة فى تصور اليهودى المسبق لطبيعة وجوده وليست فى الظروف المحيطة، هل نطلب منه التوقف عن كونه يهوديا! رفض سارتر ذلك ولم يقارب المسألة ويتناولها من تلك الوجهة، إذن ما الحل هل يكون فى وجود اليهود فى موقف حر يعيد وجودهم الجماعي! ولكن ماذا إذا تم ذلك على حساب جماعة أخرى (الفلسطينيين)! وماذا لو استند وجود اليهود كجماعة مرة أخرى لفكرة التاريخ ولفكرة الدين (ما رأى سارتر فى ذلك)..!

لكن خلاصة الموضوع: وجود اليهودى فى فلسطين، سوف يعيده لحظيرة التاريخى والديني، ولن يدفعه فى اتجاه الوجود الحر المتجدد عند سارتر، وفى الوقت نفسه سوف يكون وجودا مأزوما لأنه مرتبط بقهر واضطهاد الفلسطينى، وسوف يضع اليهود فى وجود عبثي عدمي، تلك حقيقة فهو وجود على حساب آخر، لا يمكن أن يستقر، وهل يستقر إلا إذا طلبنا من اليهودى أن يتخلى عن فكرة التفوق والشعب المختار، طلبنا منه أن يتخلى عن فكرة السيطرة السياسية على فلسطين ويندمج فى الوجود العربي، سوف يكون ذلك أيضا نوعا من استلاب وإضافة السلبية على الوجود اليهودى الخاص..

أعتقد أن وجود وعودة الجماعات اليهودية لفلسطين؛ لن يعطيهم شيئا سوى الإحساس الدفين بالعبثية والعدمية، لن يجذر وجودهم بل سوف يزيد عندهم فكرة

---

1 - anti-Semite and Jew, p:53

الاضطهاد والوجود المرتبط بالعدائية، لن يكون موقفا حرا، بقدر ما سيكون تأكيدا وتقييدا لفكرة الوجود الحر، سوف يحكم على الشخصية اليهودية بطبيعة وجودية مسبقة، مرتبطة بالصراع واختراع مبررات الوجود وتبرير الاضطهاد، ثم التعاطف مع الفلسطيني الذى هو من جهة يهدد وجود اليهودى فى فلسطين.. أعتقد أن وجود الجماعات اليهودية وعودتها لأرض فلسطين، لن يحقق كما تصور سارتر وجودا وموقفا حرا، بل ستخلق وجودا نمطيا، يحمل طبيعة مسبقة، ستجعل اليهودى يأخذ من فكرة الوجودية السارترية أشد وجوهها قتامة: العبثية والعدمية.. والشعور المستمر بالضياع، وغياب الطريق، والبحث المستمر بلا جدوى عن فكرة وآلية للوجود الحر الخاص باليهودي فى فلسطين، وسوف يزيد من عزلة الشخصية اليهودية واغترابها، ولن يجذر وجودها، بقدر ما سيجعله وجودا عبثيا عدميا، مستعدا للفناء والموت أو الرحيل كحل، وخلاص أخير لمشكلته الوجودية فى فلسطين.

رابعا : سارتر وإسرائيل:

- إسرائيل تجسد ممارسة "الوجود الحر" لليهود:

بعد أن نشر سارتر كتابه أخذت مواقفه تظهر تأييدا واضحا للمشروع وقيام دولة إسرائيل على الأرض الفلسطينية المغتصبة، وسرعان ما طور، وتحولت نظريته فى "الوجودية اليهودية" لتصبح نظرية فى "الوجودية الصهيونية"، "إذ يمكن أن نلاحظ من كتاباته فى قضية معاداة السامية، أنه وفق رأيه، أولئك اليهود الذين سيرغبون فى العيش حياة يهودية كاملة سيهاجرون للبلاد [إسرائيل]"[1]، وكانت الصهيونية فى تصوره تمثل الشكل الأمثل للأصالة وحرية الموقف اليهودى والطرف المعاكس لفكرة الخضوع للقهر والاضطهاد، "ما الذي قد يحدث إذا كان كل اليهود صهاينة، أو إذا، على العكس، تم تحويلهم جميعا للمسيحية؟ إذا ما أنكر كل اليهود أنهم يهود؟ الخ"[2]، وصار جوهر فكرته أن إسرائيل هى التمثل الوجودى لممارسة حرية الاختيار اليهودى! واعتبر أن إسرائيل هى ثمرة المشروع الصهيونى حيث اعتبر الصهيونية حركة تحرر قومي لليهود، فلقد "كان سارتر ،انطلاقا من عام 1948 وحتى أيامه الأخيرة، مدافعا مفصليا عن الصهيونية بوصفها حركة تحرر يهودية"[3]، وأصبح سارتر مفتونا بنمط الحياة الذى تقدمه "إسرائيل" ناهيك عن دعمه الفلسفى المسبق لوجودها: فحين "سُئل سارتر هل يوجد فرق بين إنسان إسرائيلي ويهودي خارج إسرائيل؟ أجاب سارتر: 'السؤال مصاغ حقا بشكل عام للغاية، على أية حال يوجد بلا شك فروق كثيرة، يوجد من بين أصدقائي الإسرائيليين على سبيل المثال أعضاء الكيبوتسات، المندمجون في العمل البدني والروحي، بينما بقية اليهود خارج إسرائيل هم ببساطة مثقفون، لا يختلفون عني أنا ذاتي. في إسرائيل يبرز فخر معين، لا علاقة

---

1 - נפתלי אילתי, סארטר על אנטשימיות، יהדות، ציונות וישראל
www.daat.ac.il/daat/kitveyet/shana/eylati2-2.htm

2- anti-Semite and Jew, p:64

3 - A Reviewe by Jonathan Judaken, on Notre Dame Philosophical Reviews- an electronical journal- 9/1/2012, About : Sarah Hammerschlag, *The Figural Jew: Politics and Identity in Postwar French Thought*, University of Chicago Press, 2010. https://ndpr.nd.edu/news/28274-the-figural-jew-politics-and-identity-in-postwar-french-thought/#_ednref

بينه وبين الشوفينية– فخر بالأفراد الذين عادوا إلي الأرض، وعمروها، موجودون في البيت. هو ذا فخر يثير التعاطف، هذا يختلف عن الوضع المضطرب الدائم، الذي من الممكن أن تميزه داخل يهود خارج إسرائيل، الذي مصدره كما هو مفهوم، معاداة السامية'."[1].

ارتبط عنده وعى اليهودى بذاته؛ بدفاعه عن إسرائيل، وفى ذلك يقول سارتر: "لقد أجبرناهم علي ان يفكروا في أنفسهم بوصفهم يهودا، لقد جعلناهم واعين بتضامنهم مع يهود آخرين. هل نكون مدهوشين لأنهم الآن يرفضون سياسة قد تدمر إسرائيل؟"[2]، أصبحت إسرائيل هي الموقف الوجودي الجديد للجماعة المضطهدة فى أوربا نمطيا، فلقد نظر للدولة الصهيونية على أنها الواقع والتحقق الوجودى لاختيار وحرية قرار كل يهود العالم المضطهدين! دون أن يضع فى اعتباره أن وجودها قام على سلب حرية وجود، واضطهاد جماعة أخرى هى الفلسطينيون، كان سارتر يرى إسرائيل ولا يرى الفلسطينيين المضطهدين، "وفي سنة 1949 حيّا سارتر بكل حرارة الذكرى الأولى لقيام الدولة الإسرائيلية قائلاً: ينبغي ان نكون سعداء لقيام دولة إسرائيلية تجسد آمال ونضالات يهود العالم بأسره. إن انشاء الدولة اليهودية يعتبر من أهم الأحداث التي عرفها عصرنا. أي تلك الأحداث الفريدة التي تمكننا من الإبقاء على الأمل"[3]. وكان قد "أيد في أيار/ مايو 1948 قيام دولة إسرائيل مطالبا بتكوين 'دولة فلسطينية مستقلة،حرة مسالمة'. وتجدر الإشارة هنا إلي أن كلمة 'فلسطينية' تعني 'إسرائيلية' وليس ذلك بالغريب في فترة نهب فيها اليهود كل شيء من الفلسطينيين حتى اسم وطنهم"[4]، هو يرى أن إسرائيل تجسد فكرة المسئولية والموقف الوجودى الحقيقى للجماعة اليهودية المضطهدة نمطيا! هى مرحلة التحرر الوجودى لليهود وقيامهم باتخاذ

---

1 - מאת סופר "דבר"، סארטר על ההבדלים בק הישראלים והאינטלקטואלים היהודים בחוץ־לארץ، דבר، 24/4/1967

2- anti-Semite and Jew, p:104

3 - وفيق غريزي، مقالة :أيام كان جان بول سارتر ملهم المثقفين العرب، جريدة المستقبل اللبنانية، الاحد 29 أيار 2011.

4 - نور الدين اللموشي، سارتر والصراع العربي الصهيوني، ص107، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011

موقف حر فى الحياة، "بالنسبة للصهيونية، لا يخامر سارتر أدنى شك أن حق اليهود الذين يصفون أنفسهم بأنهم قوميون هو أن يكون لهم وطن خاص بهم"[1].

فمع تقدم الأحداث وتطور الصراع العربي الصهيوني طور سارتر نظريته عن "الوجودية اليهودية" فى أوربا، إلى "وجودية صهيونية" تجاه إسرائيل دولة المشروع الصهيوني فى الشرق والمنطقة العربية، و مكمن خطورة سارتر أن دعمه لإسرائيل لم يكن دعما سياسيا أو ماديا، بل كان دعما فلسفيا مبنيا على أسس نظرية استقبلها العديد من مثقفى العالم على أنها أمر مسلم به، وأنها موقف وجودى سارترى معاصر يجب الحذو حذوه، وكأن سارتر خلق ظهيرا فلسفيا للصهيونية تبناه الكثيرون، على اعتباره من مستلزمات عصر ما بعد الحداثة فى أوربا ما بعد الحرب العالمية الثانية! ظهير فلسفى ما زال أثره موجودا حتى الآن فى فرنسا معقل الوجودية السارترية، التى يحاول بعض المثقفين العرب زحزحتها عن إرث سارتر النمطى والجاهز والمقولب، حيث "ثانيا يجدر بنا الرجوع إلى التاريخ لفهم القلق الصهيوني من هذا الانفلات الثقافي، والفكري الذي تشهده الساحة الثقافية الأوروبية عامة والفرنسية خاصة، ففرنسا مثلا تعتبر أكثر الدول الأوروبية التي يدافع مثقفوها عن إسرائيل"[2]، كما استشعر خطورة فلسفة سارتر عن "الصهيونية الوجودية" العديد من كبار المفكرين والمثقفين العرب، الذين كانوا يعلقون الكثير على سارتر باعتباره نصيرا للشعوب المضطهدة، فقد "خاب سعي إدوارد سعيد، وبإحساس من المرارة والسخط لاحظ أن سارتر وميشال فوكو، خلافا لجون جيني وجون دولوز، لم يتحرّرا من تأثير اللوبي الفكري الصهيوني، وأن سارتر على وجه الخصوص بقيّ متشبثا بمواقفه الفلسفية الصهيونية الأساسية"[3].. ويتضح موقف سارتر من دعمه لإسرائيل فى نوفمبر 1976 حين توجه السفارة الإسرائيلية فى باريس ليقبل تكريم الجامعة العبرية له، فلقد "اعترف سارتر حين أخذ الميكروفون أنه لم يكن يقبل التكريم عادة. والأكثر شهرة،

1 - **נפתלי אילתי, סארטר על אנטישמיות, יהדות, ציונות וישראל**
www.daat.ac.il/daat/kitveyet/shana/eylati2-2.htm

2 - سمير ساسى، مقالة: المقاومة الثقافية والمدنية تقض مضاجع الصهاينة ، موقع الجزيرة نت، بتاريخ 2010/6/5.

3 - عبد العزيز بوباكير، مقالة: سارتر... بين الخيانة والشرف ، موقع: جزايرس الجزائرى، بتاريخ: 28 - 01 - 2011.

انه قد رفض جائزة نوبل عام 1946، ولكن بقبول التكريم من الجامعة العبرية، أوضح سارتر أن قراره ذلك يمكن أن يفسر بشكل مبرر كاختيار سياسى"[1]

- **العربى/الفلسطينى امتداد للأوربى المضطهد:**

فى دعمه لليهودى الأوربى المضطهد نمطيا، أنتج سارتر صورة نمطية أخرى جاهزة للعربى، الذى موقعه فى مواقف سارتر وفلسفته، يقف ضد حرية اليهودى المقهور فى أوربا. قام سارتر باختراع صورة نمطية عدوانية جديدة ضد العربى! "فهو يتحدث عن العرب مستعملا عبارات سلبية جدا مثل 'العصابات العربية تستعد حول حيفا- إن القناصة يعنفون البادية، كل شئ قد هيئ للمذبحة'."[2]، كما أنه نظر لإسرائيل على أنها نوع من التعويض لليهود عما جرى لهم، وكأن العربى هو مذنب الذى يمثل دور الجانى الأوربى وعليه دفع الثمن، "علاوة على ذلك، لا تدعه يعود نحو إسرائيل ليجد مجتمعا وماض عوضا عن هؤلاء الذين رفضوه"[3]، قام سارتر باتخاذ موقف عنصرى تجاه جماعة أخرى من الإنسانية، رافضا ونافيا حق الفلسطينيين فى الدفاع عن أرضهم المغتصبة، ونافيا حقهم فى توافر موقف وجودى حر، يضطرهم اليهودى الصهيونى فيه لموقف جبرى قائم على الردع والمقاومة المستمرة، تجاهل سارتر تماما حق الشعب الفلسطينى المعتدى عليه، وأصر على وضعه فى صورة نمطية تتمركز حول كونه: امتدادا لصورة الأوربى العدوانى المضطهِد، وتعددت مواقفه التى تؤكد صورة العربى المضطهد العدوانى، وعلى صورة اليهودى صاحب الموقف الدفاعى المعرض دائما للخطر والموت والإبادة، فتحدث عن تهديد سلامة الدولة الصهيونية من جانب العرب مع حرب 1967م التى بادرت بها إسرائيل للعدوان، " فمنذ حرب عام 1967 صدر في باريس يوم 28 مارس/آذار 1967 ما سمي ببيان المثقفين الفرنسيين الذي وقعه سارتر وسيمون دوبوفوار وأعلن فيه عدد من المثقفين تأييدا كاملا للدولة الصهيونية

---

1 - Jonathan Judaken, Jean-Paul Sartre and the Jewish Question: Anti-antisemitism and the Politics of the French Intellectual, p.184, U of Nebraska Press, 2006

2 - نور الدين اللموشي، سارتر والصراع العربي الصهيوني، ص 111، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011

3 - anti-Semite and Jew, p:61

ودفاعهم المستميت عنها وانحيازهم إلى جانبها واستنكارهم لما وصفوه بتهديد سلامتها من الدول العربية"[1].

كان سارتر واضحا فى تحميل العرب دائما مسئولية الحرب وصورة الجانى أو المذنب، فكان موقفه من حرب 1967 كالتالي: "منذ نهاية شهر أيار/مايو سارع سارتر مع شخصيات أخري من اليسار الفرنسي إلي توقيع عريضة تحمل العرب مسئولية اندلاع الحرب وتكتفي بالمطالبة بفتح مفاوضات مباشرة بين دول ذات سيادة دون أن تذكر إطلاقا حق الفلسطينيين الشرعي في تكوين دولتهم المستقلة"[2]، وكذلك كان موقفه واضحا من حرب 1973: "إلا أن سارتر ينحاز من جديد إلي إسرائيل منتقدا بشدة حسب قوله 'العبثية الإجرامية لهذه الحرب' ومحملا مسئولية اندلاعها للمصريين والسوريين"[3]، كما ارتبط ذكر الفلسطينيين ومطالبته بترضيتهم عند سارتر، بتأكيده ضرورة سلميتهم فى أى حل وقبول وجود الدولة القاهرة المغتصبة لأرضهم ووجودهم الحر، وكأنه يؤكد صورته الذهنية النمطية المسبقة عن الفلسطينيين باعتبارهم عدوانيين وغير مسالمين، "ومنذ العام 1967 عبّر سارتر في مناسبات عديدة عن تأييده لاقامة دولة إسرائيل، كما أيد قيام دولة اسرائيل طالباً تكوين دولة فلسطينية مستقلة حرة مسالمة"[4]. واستمر سارتر فى تقديم العربى بوصفه امتدادا للأوربى المضطهد الذى "يبيد" اليهود فى إسقاطة على أحداث النازى وسعيه لحرق بعض اليهود، "ويرى الدكتور نور الدين اللموشي أن سارتر يبني في هذه الرسالة موقفه المنحاز لإسرائيل على القرار الدولي القاضي بتقسيم فلسطين، ولكنه يبقى مناصراً لليهود، فهو يتحدث عن العرب مستعملاً عبارات سلبية جداً مثل: العصابات العربية

---

1 - مقالة: المقاومة الثقافية والمدنية تقض مضاجع الصهاينة ، مرجع سابق

2 - نور الدين اللموشي، سارتر والصراع العربي الصهيوني، ص 113، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011

3 - نور الدين اللموشي، سارتر والصراع العربي الصهيوني، ص 118، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011

4 - مقالة :أيام كان جان بول سارتر ملهم المثقفين العرب، مرجع سابق.

تستعد حول حيفا. إن القناصين يعنفون البادية كل شيء قد هيء للمذبحة. ويتهم العرب بإبادة اليهود[1].

استمر سارتر فى تقديم صورة إسرائيل كضحية مهددة دائما يجب مدها بالسلاح فى مواجهة العرب المتوحشين والمفترسين المتربصين، حيث "أعلن أثناء زيارته إلى تل أبيب قائلا إن 'إسرائيل' لها الحق في الوجود، ويجب أن تَبقى قائمة، وتجريدها من السلاح يعني تقديمها كفريسة للعرب"[2]. والذى كان واضحا جليا هو رفض سارتر لحق العربى الفلسطينى فى الدفاع المسلح عن أرضه، دون أن يخبرنا لماذا شارك هو فى المقاومة المسلحة ضد النازى الذى احتل أرض فرنسا، ما الذى ينقص العربى كى يشعر بحريته الوجودية! ويختار المقاومة التى سلبه سارتر حق اختيارها فى موقفه الوجودى الحر، حيث "يرد في تفاصيل الرِّحلة أنَّ أحد أطفال الخِيام تَقَدَّمَ وأعطى سارتر لفافة، فَينفُضْها سارتر تِلقائيًّا، لِيَتَدَلَّى بينَ يديه علم، وَتُلْتَقَط لَهُ صورة، بَعدها يلتفت مرافِقهُ (وهوَ يهودي) ويقول لَهُ: العلم الذي بينَ يديك هو علم المقاومة الفلسطينية! فيثور سارتر ويجري خلف المصَوِّر الذي التقطَ الصورة (العلم بيد سارتر!!)، حيث أصَرَّ المفكر الوجودي على إتلاف الفيلم من خلال تعريضِهِ للضوء"[3]. فى حين تعامل سارتر مع المنظمات المسلحة اليهودية الصهيونية ونشاطها بكل ترحيب وتأييد! فكيف يرفض الفلسطيني وينفى له حقه فى المقاومة المسلحة، ويثبت لليهودى الصهيونى حقه فى ذلك ويدافع عنه ويؤيده، وكأنه يتعامل مع النشاط الصهيونى على أنه مضاد للاستعمار البريطانى والغرب الرأسمالى! وكأن الصهيونية فجأة أصبحت ممثلة للفكر والحضارة الأوربية فى مرحلة ما بعد الكلونيالية وما بعد الحرب العالمية الثانية!!

- **العنف الصهيونى وسيلة للتحرر وخلق الذات اليهودية:**

فى خلفية الفكر المبكر لسارتر وموقفه الفلسفى إزاء الاستيطان الصهيوني على أرض فلسطين، كان هناك دعم معلن لفكرة العنف والعدوان، كان لسارتر موقف

---

1 - مقالة :أيام كان جان بول سارتر ملهم المثقفين العرب، مرجع سابق

2 - حميدعبد القادر، مقالة: خيانة جان بول سارتر، جريدة الخبر الجزائرية، بتاريخ 23 ديسمبر 2011.

3 - محمد محمود البشتاوي، مقالة: نبش الجثث الفكرية: سارتر .. ثورة في الاتجاه المُعاكِس، موقع دنيا الرأى، تاريخ 2007/2/3.

فلسفى انعكس بشكل تلقائي على دعمه لاحتلال اليهود أرض فلسطين بالعنف والقوة المسلحة. كان يؤمن بجدل وصراع العنف من أجل تحرير الذات وخلق الوعي الفردى، وربما كان هنا رد فعل —كعادة الكثير من مواقف سارتر– متأثرا بدوره فى المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازى، فرأى فى العنف الصهيونى إعادة إنتاج لنموذج المقاومة الفرنسية، وهنا كان سارتر مخطئا تماما، فالمشابهة بين التحرر من الاحتلال فى التجربة الفرنسية، وبين القيام بفعل الاحتلال فى الحالة الصهيونية هو أمر يفتقد لأبسط قواعد القياس، ولكن ذلك كان من تجليات فكرة الوجودية كحالة تصنع معارفها وطبيعتها من ظرفها الآني فقط، دون محاولة الرجوع لأصل الأشياء تاريخيا أو قيميا وفق أى نسق معرفى كان! فكان سارتر مفتونا ومأخوذا بفكرة العنف كأداة لاكتساب الوعى وطبقها على موقفه الداعم للحالة الصهيونية، إن "هذا الافتتان بمبدأ العنف وفضيلته كعامل مساعد على استعادة الوعي يفسر كيف لفيلسوف يساري مثل جان بول سارتر أن يكون قادرا، من داخل العصبة الفرنسية لتحرير فلسطين 'ligue francaise pour la Palestine libre' (أسست عام 1946)، على الدفاع عن أفعال 'الإرجون'، رغم ارتباطها باليمين الرجعى. كانت المعضلة ظاهرية فقط لأن دعم سارتر لم يكن يحفزه فى الواقع المحتوى الأيديولوجى لـ'الأرجون' إنما كان الشكل الراديكالي الذى اتخذته حركتها السياسية.. كانت حنا أرندت على النقيض من سارتر، الذى كان منجذبا لديالكتيك التحرير من خلال العنف.."[1]، وهو ما عبر عنه أيضا بشكل أقرب للمباشرة فى كتابه عن المسألة اليهودية وتصوره لطريقة حلها، حين قال: "إنه يستطيع استعادة تحرره عبر معارضة الاضطهاد وإنكار 'طبيعته اليهودية' الملعونة من خلال المقاومة المسلحة ضد هؤلاء الذين يرغبون في فرضها عليه".[2] ، ولكن مشكلة سارتر أنه لم يستوعب أن اليهود هم الذين كانوا يفرضون على العرب عدوانهم ويسلبونهم أرضهم، وانه كان ضحية لحالة لقياس خاطئ بين الحالة الأوربية والنازية واليهود، وبين العرب. ونذكر كذلك أيضا أنه "في هذا السياق دافع سارتر بحرارة عن أحد تلاميذه الصهاينة الوجوديين 'روبرت مزراحي'

1 - Alain Dieckhoff, The Invention of a Nation: Zionist Thought and the Making of Modern Israel, p.228, C. Hurst & Co. Publishers, 2003.
2 - anti-Semite and Jew, p:57

(misrahi) الذي حوكم في شباط/فبراير 1948 لتورطه في عملية إرهابية قام بها ضد المصالح البريطانية في فرنسا ضمن مجموعة شتيرن الصهيونية التي كان ينتمي إليها"[1]، كذلك كان لسارتر موقف ورأى إيجابى فى المستوطنين الصهاينة على الحدود العربية ووصفهم فيه بحب السلام! على الرغم من معرفته بدورهم القتالى فى تلك المستوطنات، وهو ما كان يحمل دعما ضمنيا لدور هؤلاء المستوطنين وما يمارسونه من عنف، "قال أمس الأديب الفرنسي جان بول سارتر في مقابلته مع الطلاب وأعضاء الهيئة الأكاديمية في جامعة تل أبيب: أنا مقتنع أن معظم المواطنين في إسرائيل محبون للسلام، ناهيك عن أن أعضاء الكيبوتسات، الذين يعيشون على الحدود ويشعرون كل يوم بخطر الحروب، محبون للسلام".[2]

- تكئة مفهوم "معاداة السامية" لمفهوم "معاداة الصهيونية":

لم يتوقف التوظيف السياسي لتعريف سارتر لمفهوم "معاداة السامية" عند حد معين، قدم ساتر التعريف التالى لمعاداة السامية: "إذا ما عزى إنسان كل أو بعض من سوء حظه الخاص أو حظ بلاده لوجود العوامل اليهودية فى المجتمع، إذا ما اقترح علاجا لهذا الوضع الراهن عبر حرمان اليهود من بعض حقوقهم، عبر إقصائهم من أنشطة اقتصادية واجتماعية بعينها، عبر طردهم من البلاد، عبر إبادتهم جميعا، نقول إن لديه آراء معادية للسامية"[3]، وأصبح لهذا المصطلح السيادة، "على الرغم من أن بعض العلماء ميزوا 'معاداة اليهودية' عن 'فوبيا اليهودية' عن 'معاداة السامية'، فقد أصبح الأخير هو المصطلح القياسى للخوف من اليهود وكراهيتهم". وسرعان ما تم التوظيف الصهيونى لفلسفة سارتر ومفهومه عن معاداة السامية، وتم دمج وإلحاق مصطلح "معاداة الصهيونية" به فى سياق المظلة التاريخية لسارتر، "منذ أن أصبح مصطلح معاداة —السامية تابو بعد النازية، تم إعادة تجسيد كراهية اليهود فى صورة معاداة —الصهيونية.. ربما بالنسبة لجان بول سارتر، 'إذا لم تكن معاداة الصهيونية

---

1 - نور الدين اللموشي، سارتر والصراع العربي الصهيوني، ص 105، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011

2 - מאת סופר "דבר"، סארטר "אני משוכנע שרוב תושבי ישראל שוחרי-שלום"، דבר، 29/5/1967

3 - אשר כהן (עורך),*תולדות השואה צרפת* ,יד ושם 1996 ,ע"מ26-38

موجودة، لاخترعها المعادون-للصهيونية'."[1]، فلأن سارتر قام بتأويل دعمه للجماعة اليهودية المضطهدة تاريخيا فى أوربا — حسب سياقه وفهمه للموضوع-، على أنه دعم للمشروع الصهيوني على أرض فلسطين كممارسة لحرية اليهود، أخذ سارتر مواقف واضحة ضد كل من يقف ضد المشروع الصهيوني فى كل مكان: "أصر سارتر فى رده على مورياك (Mauriac) على أنه عارض معاداة السامية فى أي مكان بالعالم.. لكن المقال تجنب بحرص إصدار أي حكم ملموس تجاه ما أعاد سارتر تسميته بدقة 'معاداة- الصهيونية السوفيتية'."[2]، بما لمصطلح "معاداة السامية" من وقع على العقلية الأوربية وإحساسها بالذنب نتيجة ارتباطه بأحداث النازي تجاه اليهود، شيئا فشيئا بدا سارتر فى إدخال مصطلح "معاداة الصهيونية" حظيرته الثقافية، وبدأ فى إعطائه قداسة وهيبة مصطلح "معادة السامية" بشكل ناعم وضمني: "معاداة الصهيونية ليست جريمة، على النقيض من معاداة السامية.. وعلى الرغم من ذلك، يمكننا القول —متابعين لسارتر- إن ذلك أيضا، ليس مجرد رأى، أو موقف، أو ادعاء، إنها دناءة صريحة"[3]، ومن حاول أن يتخذ موقفا نقديا من أفعال إسرائيل وارتباط ذلك بمصطلح "معاداة السامية" فى الوقت الحاضر، كان عليه كذلك أن يتخذ موقفا من سارتر صاحب التعريف والتأويل للمصطلح: "فينكلشتين مقتنع بادعائه الجازم بخصوص العلاقة بيت عمليات إسرائيل غير الشرعية فى المناطق المحتلة، ومعاداة السامية الحديثة. لهذه العلاقة دلالة مزدوجة: من جانب يعتاد الأدب الذي يهتم بمعاداة السامية الحديثة على صد كل نقد ضد إسرائيل، وعلى الجانب الثاني يثير خرق حقوق الفلسطينيين الأساسية فى المناطق المحتلة معاداة السامية. لكن من هنا يخرج فينكلنشتين بنتيجة مغايرة ومقلقة، بإشارته أنه يجب اتهام اليهود بمشكلة معاداة

---

1 - Joyce Block Lazarus, In the Shadow of Vichy: The Finaly Affair, p.124, Peter Lang, 2008.

2 - Ian H. Birchall, Sartre Against Stalinism, p. 138, Berghahn Books, 2004

3 - Elhanan Yakira, Post-Zionism, Post-Holocaust: Three Essays on Denial, Forgetting, and the Delegitimation of Israel, p.216, Cambridge University Press, 2010.

السامية.. هو يضع كتاب جان بول سارتر 'المعادي للسامي واليهودي' كنقطة اعتبار في بحثه، ومن خلال ذلك ينقد الفيلسوف الفرنسي"[1]

- تقاطع الصهيونية الوجودية والماركسية:

تتفق "الصهيونية الوجودية" مع "الصهيونية الماركسية" على المستوى النظري المجرد من حيث اشتراكهما فى تصور مفترض ونهائي للمسألة اليهودية و"معاداة – السامية"؛ وهو فكرة: المجتمع الأممى الطبقي القائم على فرز البشر وفق عمل ووظيفة كل منهم فقط، دون نظر لجنس أو لون أو ديانة أو قومية.. ويقول سارتر فى هذا الصدد: "أخيرا، تشير معاداة-السامية لصلة وثيقة تشاركية للإنسان تنشأ من نظام الملكية الحالي. مجددا، قد لا يكون لمعادة-السامية وجود في مجتمع بلا طبقات وقائم علي الملكية الجماعية لأدوات العمل، والتي فيها الإنسان، متحررا من هلوساته الموروثة من عالم قديم، سيلقي بذاته بكل جوانح قلبه في مشروعه- الذي هو خلق مملكة الإنسان وحيئذ ستقتلع معاداة-السامية من جذورها"[2]، فيرى سارتر أن الثورة الطبقية الاشتراكية – ونشير هنا إلى الجدل المستمر بين سارتر والماركسية- هى الحل الراديكالى لمشكلة معاداة – السامية، والتي من أجلها يجب القيام بتلك الثورة: "ماذا يوجد هناك لقوله إلا أن الثورة الاشتراكية ضرورية وكافية لقمع المعادي-للسامي؟ إنه من أجل اليهود أيضا سنصنع الثورة"[3]، وشابه سارتر بين: الموقف الجبري والقهري للعامل، وبين: الموقف الجبري والقهري – من وجهة نظره- لليهودي؛ فهو يرى أن اليهودي يرحب بالتخلي عن يهوديته! كما يرحب العامل بالتخلي عن فكرة التفاوت الطبقي فى المجتمع: "لذلك اليهودي الأصيل -الذي يفكر في نفسه كيهودي لأن المعادي للسامي قد وضعه في موقف اليهودي- ليس معارضا للاستيعاب بشكل أكثر مما يعارض العامل ذو الوعي-الطبقي لإذابة الطبقات. علي النقيض، إنه مدخل للوعي سيعجل فى قمع كل من الصراع والعرقية. اليهودي الأصيل ينكر لنفسه ببساطة استيعابا مستحيلا اليوم؛ إنه يترقب التصفية الجذرية لمعاداة-السامية من أجل

---

1 - ניב גורדון, הוויכוח על הגורמים ל"אנטישמיות החדשה", הארץ, 25.04.2006

2 - anti-Semite and Jew, p:108

3 - the same, p:109

أبنائه. يهودي اليوم في حرب شاملة"[1]، ولكن التقابل النظري المجرد هذا بين الأطروحتين الصهيونيتين ليس إلا مقارنة نظرية مجردة، ففي الواقع العملي على الأرض تمثل كل منهما النقيض للأخرى؛ فالصهيونية الماركسية تمثل لحد بعيد فكرة الجماعية والجماعة فى المشروع الصهيوني، فى حين عبرت الصهيونية الوجودية عن فشل المشروع الجماعي للصهيونية، وضرورة تطوير حل فردى منعزل بعيدا عن طنطنات الصهيونية وأفكارها الجاهزة.. فشتان بين التيارين؛ حاولت "الصهيونية الماركسية" أن تصل عبر جهد وعمل سياسى لهذا المجتمع ووضعت صهيونيتها فى إطار مرحلي؛ ثم تنتقل فيما بعد الصهيونية لمرحلة العمل الأممى والطبقي العالمي.. فى حين أن الإطار النظري لـ "الصهيونية الوجودية" عند سارتر لم يتحدث عن تنظيمات جماعية للوصول لهذا المجتمع العمالي الطبقي! واكتفى بتحليله الفردي لفكرة "اليهودي الأصيل" و"اليهودي غير الأصيل".. وعلى المستوى التطبيقي والعملي كانت "الصهيونية الوجودية" هروبا من فكرة الجماعية فى "الصهيونية الماركسية"؛ خاصة بعد أن واجه العديد من الكتاب الصهاينة – الماركسيين- الواقع المرير انطلاقا من حرب 1948، فلم يضع المستوطنون اليهود الذين آمنوا بـ "الصهيونية الوجودية" واتخذوها طريقا بعد عام 1948 أمامهم فكرة السعي لبناء المجتمع الطبقي المادي؛ بل كانت صهيونيتهم الوجودية تمثلا لفكرة الفردية وعجز الجماعي فى المشروع الصهيوني حتى بطبعته الماركسية المفترضة؛ واتخذوا طريق العزلة والفردية واليأس والقلق، وهو سرعان ما تبلور عما يمكن تسميته "العدمية الصهيونية" فى أدب المستوطنين اليهود على أرض فلسطين.

1- the same, p:109

خامسا: سارتر والعرب والموقف من الصراع:

- مقاربة القضية من حيث هى قائمة:

من أهم أسس سارتر فى مقاربته لوجود دولة إسرائيل فى فلسفته "الصهيونية الوجودية"، هو التعامل مع المشكلة كواقع موجود بالفعل وأمرا مسلما به، بغض النظر عن تاريخه، مع تهميش أو إنكار ما نتج عنه مشاكل تخص وجود الشعب الفلسطينى الذى قام سارتر باضطهاده ونفيه ومصادرة حريته الوجودية؛ مساويا بين المعتدى والمعتدى عليه، حيث "يرى سارتر النزاع العربي-الإسرائيلي صراعا بين مضطهدين يصعب حله، إذ يستوجب -حسب رأيه- التسليم بحقيقتين متضادتين: فمن ناحية لابد من كيان وطني لضحايا اللاسامية القدامي، ومن ناحية أخرى، لابد من تمكين الفلسطينيين من حقهم في الرجوع إلي الوطن الأم"[1]، و فى سعيه لدعم حرية اليهودى صاحب الصورة النمطية فى أوربا، "يرى سارتر أن وجود الكيان الصهيوني في فلسطين معطى تاريخي لا يمكن الطعن فيه، وأن المشكل الذي ما زال معلقاً هو وجود اللاجئين الفلسطينيين، لا وجود الشعب الفلسطيني"[2]. هو يتناول الصراع من حيث هو قائم ومتحقق وموجود، لا من حيث تاريخيته وجوهره، وإن كان يسعى لحل فهو يسعى لحل وفق ما هو قائم فى الواقع، لا وفق ما هو مفترض أن يكون، سارتر يغض النظر على حقيقة الصراع المبنية على الاحتلال والاستيلاء على حق الغير والجور عليه، وينظر للأمر من حيث هو آنى وظرفى وموجود! ويحول الضحية الفلسطينى المضطهد والمقهور، إلى "نفى وجودى" فهو ينفى وجود مشكلة شعب فلسطينى، وكأنه يعود ليتبنى نفس منطق "المعادى للسامية" الذى وصفه فى كتابه: بأنه كان ينفى وجود أى مشكلة تخص اليهود.. سوى مشكلة وجود اليهودى ذاته! يعود سارتر ليمارس "النفى الوجودى" للشعب الفلسطينى! حتى ينتصر للشعب والجماعة اليهودية المضطهدة نمطيا فى أوربا! بل حاول أن يعطى الأمر أبعادا نضالية فلسفية مزيفة،

---

1 - نور الدين اللموشي، سارتر والصراع العربي الصهيوني، ص 111، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011

2 - مقالة :أيام كان جان بول سارتر ملهم المثقفين العرب، مرجع سابق.

مصورا العرب الفلسطينيين على أنهم أدوات فى يد الغرب الاستعمارى ومبررات لوجوده، لا أصحاب حق وقضية عادلة، "في شباط عام 1948 وقبيل الإعلان الرسمي عن ولادة دولة إسرائيل ببضعة أيام، بعث سارتر برسالة تأييد وتضامن إلى الجامعة الفرنسية من أجل فلسطين حرة، يتهم فيها الحكومة البريطانية بتسليح عرب فلسطين، وتشجيعهم على قتل اليهود لتبرير بقاء بريطانيا في فلسطين"[1]. وفى أواخر الستينيات أدرك سارتر نفسه عبثية الموقف الذى وضع فيه اليهود واستحالة أن يقبل العرب باغتصاب أراضيهم ثم العيش فى سلام مزعوم وتحت أية ديباجة أو رطانة مفترضة، " أعرب سارتر عن تعاطفه مع القضية اليهودية منذ أن كتب 'تأملات في المسألة اليهودية' من حوالي 20 سنة.. أضاف سارتر وقال: 'أجد الآن، أن العالم العربي وإسرائيل متصادمان حقا، أنا أعيش بهذا الصدام كما لو كان مأساتي الشخصية حقا.. إن الحوار بين إسرائيل والعرب مستحيل، حيث لا يوجد على الإطلاق الأساس المطلوب لذلك'. "[2].

- **رفض الصهيونية التوسعية مع احتواء الحق الوجودى للفلسطينيين:**

حاول سارتر أن يبدو فى موقف اللا عدوانى حينما كان يقف أحيانا موقف الرفض لأن تبادر إسرائيل بالعداون على الجيران العرب غير الفلسطينيين، وكأنه يرفض أن يتمدد حقها فى "الوجود الحر" المزعوم، الذى هو رد فعل إزاء "وجودها القديم" المضطهد من قبل أوربا، لأبعد من الفلسطينيين! وكان يرفض أن يرتبط "الوجود الحر" المزعوم لليهود فى فلسطين بالاستعمار الغربى التوسعى، والاستبداد العسكرى كذلك وأن تتحول الصهيونية فى إسرائيل لطبعتها التوسعية (فيما أبعد من فلسطين). فعلى عكس موقفه المؤيد من العدوان الواضح عام 1967م ضد الدول العربية الذى برره بمبررات دفاعية، رفض العدوان الثلاثى من قبله عام 1956م لأنه ارتبط ببريطانيا الاستعمارية وفرنسا ديجول العسكرية؛ بما كان سيشوه الوجود الحر المزعوم لدولة إسرائيل، التى كان يدافع عنها كنموذج لتحرير الجماعة المضطهدة فى اوربا والعالم، حيث فى هذا الصدد "سارتر قد أيد في الواقع الثورة المصرية وساندها منذ سنة

---

1 - مقالة :أيام كان جان بول سارتر ملهم المثقفين العرب، مرجع سابق

2 - ז'אק מוריס، סארטר ודה־בובואך וביקודמ במדינת ישראל، דבר، 15-5-1967

1956 ضد العدوان الثلاثي الذي تعرضت له مصر من طرف إسرائيل وفرنسا وبريطانيا"[1]. وحينما أصبح موقفه من الفلسطينيين المضطهدين محرجا وفجا، بدأ فى التعامل معهم والتعرض لوجودهم فى القضية ولكن بمحددات واضحة، لا تمس حق المغتصب اليهودى فى الوجود أيضا، كان موقفه منهم قائما على الاستيعاب والدمج فى ظل وجود المعطى الرئيسى و"القيمة المقدسة" عند سارتر وهى: وجود إسرائيل، حاول سارتر أن يستوعبهم، ولكنه نسى أن يطالب لهم بحق الاستيعاب والدمج كما هم عليه! أراد سارتر أن يجردهم من حقيقة أنهم شعب مشتت مهزوم سرقت أرضه، وأن يستوعبهم فى عملية "سلب وجودى" لا تراعى "الموقف" الذاتى الذين هم به. حينما طالب سارتر أوربا قديما بدمج اليهود طالبها أن تستوعبهم كما هم كيهود لهم الحرية فى كونهم يهودا! ولكن الفلسطينى عنده يجب أن يستوعب فى ظل الحق المركزى فى الوجود لليهودى المحتل العنصرى! الفلسطينى عند سارتر درجة ثانية يجب أن يستوعب.. وعلى أقصى تقدير أن يتم المساواة بينه وبين اليهودى الصهيونى المغتصب لأرضه فى كونهما مضطهَدين! يقع سارتر فى مفارقة تدليليه منطقية على رأيه، حينما يستند للتاريخ القديم فى أوربا فى تدليله وبرهنته على كون اليهود مضهَدين (فى حين فى الواقع المعاش هم معتدون مضطهِدون).. ويساوى بينهم وبين الفلسطينيين الذين هم مضطهَدون فى الواقع والآنى والحاضر والذاتى والموجود بالفعل! وذلك حين حاول أن يقدم الصراع على أنه صراع بين مضطهَدين، "يرى سارتر أن النزاع العربي الاسرائيلي صراع بين مضطهدين يصعب حلّه، إذ يستوجب حسب رأيه التسليم بحقيقتين متضادتين: فمن ناحية لا بد من كيان وطني لضحايا اللاسامية القدامى، ومن ناحية أخرى، لا بد من تمكين الفلسطينيين من حقهم في الرجوع إلى الوطن الأم وتقرير المصير، وهذا معناه في الوقت نفسه حق البقاء والعيش في فلسطين بالنسبة إلى اليهود والفلسطينيين"[2].

الحقيقة انه ليس هناك أفضل من الفقرة التالية التى تبين تأييد سارتر للصهيونية باعتبارها رد فعل للنازية وأفعالها فى حق اليهود، وباعتبارها تمثل أعلى درجات الوعى

1 - مقالة :أيام كان جان بول سارتر ملهم المثقفين العرب، مرجع سابق.
2 - مقالة :أيام كان جان بول سارتر ملهم المثقفين العرب، مرجع سابق.

القومى التحررى لليهود من وجهة نظر سارتر، كما تبين وجهة نظره أيضا فى تخطى الصهيونية بعد تحقيقها لأهدافها ومحاولة تطبيع وجود الدولة الصهيونية فى المنطقة العربية، حيث "متخطيا معاداة–الصهيونية الخاصة باليسار المتشدد، اعتبر سارتر أن الصهيونية ماتت، لأنها كانت أيديولوجية سياسية قد انتهى زمنها، لأنه لن تكون هناك أزمة جديدة لمعاداة السامية. متعاملا مع الصهيونية كوحدة متناغمة، أكد على أنها كانت أيديولوجية تقدمية عقب حادثة المحرقة اليهودية، عندما عززت نضال التحرر القومى فى سياق الحرب ضد الكولونيالية. فى سياق ما بعد عام 1967، رآها كأيدولوجية متكلسةليس لها صلة بعالم بلا عنف معادى للسامية، ولم يعتقد أنها ستتواجد فى المستقبل القريب. لقد اعتقد فى مرحلته الجديدة أنه يجب على إسرائيل التخلى عن مواقفها الصهيونية، لذلك فكر فى تدشين منظورا ما بعد صهيونى يمكن أن يفتح الطرق المسدودة فى العلاقات العربية الإسرائيلية".[1]

- **توظيف اليسار العربى والصهيونى:**

حاول سارتر أن يقفز على طبيعة المشروع الصهيونى التاريخية ودولته القائمة على الاغتصاب والاحتلال، والتى شاركت فيها كل فصائل الصهيونية (يمينا ويسارا.. دينية وعلمانية)، مستخدما فكرة التقسيم النسبى للتيارات السياسية الصهيونية، ليروج لفكرة: اليسار الصهيونى الإنسانى والتقدمى! "في إجابة عن سؤال آخر كرر سارتر الأقوال التي قالها في إسرائيل .. في حواره أكد ضرورة تقديم اليسار العالمي للدعم لليسار في إسرائيل. أنا أعتقد –قال سارتر– أنه علي اليسار الأوربي أن يقدم له الدعم.. اليسار الإسرائيلي ليس قويا، لذلك يجب مساعدته"[2]، فى حين أن حقيقة الأمر تقول إن ذلك اليسار التقدمى الماركسى المزعوم فى إسرائيل، هو الذى حمل الصهيونية على كتفيه ونفذها على أرض الواقع فى فلسطين، مستندا لفكرة الاحتلال التقدمى الديمقراطى المزعوم الذى يحافظ على حقوق العربى الضحية. حاول سارتر توظيف واستدراج اليسار العربى ليطبع الوجود العدوانى لدولة إسرائيل، من خلال

---

1 - Jonathan Judaken, Jean-Paul Sartre and the Jewish Question: Anti-antisemitism and the Politics of the French Intellectual, p.200, U of Nebraska Press, 2006

2 - מאת סופר "דבר"، סארטר על ההבדלים בק הישראלים והאינטלקטואלים היהודים בחוץ-לארץ، דבר، 24/4/1967

اللعب على المساحة المشتركة العامة التى قد تكون بين اليسار العربى واليسار المزعوم فى إسرائيل، "وفي سنة 1965 عبّر سارتر من جديد عن تعاطفه مع الثورة المصرية معلناً رغبته القيام بزيارة إلى مصر وإسرائيل وتسخير عدد خاص من مجلته: الأزمنة الحديثة، لفتح حوار بنّاء بين اليسار العربي واليسار الإسرائيلي يوضح أطروحات كل منهما"[1]، وهى الحيلة التى انطلت على بعض اليساريين العرب، الذين انساقوا وراء سارتر قديما ورددوا رطانة ما بعد الحداثة الأوربية، منفصلين عن واقعهم الذاتى.. "في رد سارتر علي أحد الأسئلة أسهب في الحديث عن منهج اليسار العربي إزاء إسرائيل.. يوجد من بين التقدميين العرب أشخاص متزنون، يقولون إنه طالما يوجد في إسرائيل استغلال طبقي يوجد فيها أيضا يسار، يحارب هذا الاستغلال. إذا كان لليسار في إسرائيل الكفة الراجحة، فسيمكن ربما الوصول إلي شيء ما مع هذا اليسار"[2]، وتأثر اليسار العربى ببعض رموز اليسار الفلسطيني الذين أجبرتهم الظروف على التعامل مع اليسار الماركسى المزعوم فى إسرائيل كمنبر وحيد يتحدثون عن حقوق الفلسطينيين من خلاله؛ فتأثر بعضهم -لحد ما- بأطروحاته أيضا عن "الصهيونية الماركسية" ودولة ما بعد الصهيونية التى تقوم على فكرة الاحتلال الديموقراطى ووحدة نضال الطبقة العاملة فى الجانبين! وإن تضاءل ذلك التأثير مع نهاية الجيل الفلسطينى القديم الذى تربى داخل الحزب الشيوعي الإسرائيلي المزعوم، وخروج أجيال أدركت الدور التاريخي لذلك الفصيل الصهيوني.

كما حاول سارتر أن يستعدى الجميع ضد الجبهة العربية بقيادة مصر/عبد الناصر المعادى للصهيونية والذي وصف الصراع بأنه صراع وجود، وكان حاسما فى اللقاء الذى جرى بينه وبين سارتر فى الستينيات، حيث "قال الرئيس ناصر لجان بول سارتر، إنه على حد علمه، لا تستطيع إسرائيل أن توافق على عودة اللاجئين العرب، لأن عودة اللاجئين العرب ستؤدي إلي تغيير جوهري في الطابع القومي والموقف السياسي لإسرائيل"[3]، وذلك بعد محاولات من سارتر لاستقطاب عبد الناصر والثورة المصرية:

---

1 - مقالة :أيام كان جان بول سارتر ملهم المثقفين العرب، مرجع سابق.
2 - ישראל נוימן، סארטר על נאצר،מאו והיחם אל שראל، דבר، 17/5/1967
3 - מאת סופרו המדיני של "דבר"، נאצר הודה באזני סארטר שישראל לא תוכל להסכים להחזרת הפליטים، דבר، 3/4/1967

"في سنة 1965 عبر سارتر من جديد عن تعاطفه مع الثورة المصرية.. لفتح حوار بناء بين اليسار العربي واليسار الإسرائيلي"، ثم حاول سارتر اللعب على نقطة الديكتاتورية ورفض الهوية القومية العربية (انطلاقا من رفض سارتر لكل القوميات التى أورثت أوربا الدمار والفظائع)، ومروجا لإسرائيل كنموذج حضارى يمثل التجربة الأوربية الحديثة القائمة على الديمقراطية، وأظن أن اليسار العربى لم يكن ببعيد عن غرض سارتر من ذلك الاستعداء، حيث "من مواقفه [سارتر] المثيرة دعوته في احدى رسائله الى دعم ما سماه: بالديمقراطية الاسرائيلية، ضد ديكتاتورية جمال عبد الناصر والتخلف العربي"[1]، وهو يقصد بـ"التخلف العربى" الهوية التى ترتبط بفكرة الجماعة والوعى الجماعى؛ الذى يقوم على التاريخ المشترك، أساس فكرة القومية عموما، وليس العربية فقط. فهو يطالب العرب بالتخلى عن جزء من محددات تشكيل هويتهم الإنسانية لصالح وجود إسرائيل: التجسد لحرية الموقف اليهودى، دون أن يكون هناك عدالة فى توفر الحرية نفسها للموقف العربى! بل ردد سارتر دعاوى الصهيونية ودعاياتها فى الغرب، عن تآمر العرب لإبادة اليهود وصنع هولوكست جديد يعيد ذكرى أحداث النازى، "مُقابل ذلكَ اكتفى سارتر ببعض الأسئلة الوجودية: هل ستساعد الدول العربية الفلسطينيين لتحرير بلادِهم .. وهل التحرير يَعني إلقاء اليهود في البحر؟"[2].

كانت زيارة سارتر الشهيرة لمصر من أكثر الفعاليات التى صاحبها ضجيج لم ينتج عنه أية طحين، فكان سارتر حريصا منذ البداية على موقفه الصهيوني المسبق واتخذ لذلك الاحتياطات الكافية، فعن "الإطار الذي وضعه سارتر للزيارة نفسها فهو ذو شقين أيضا.. يتعلق الأول بضمان دعوى حياد مصر عندما وجهت الدعوة، فاشترط أن يصطحب معه اليهودي كلود لانزمان. ويتعلق الثاني بحياده أمام ضميره — الذي حسبه متعادلا — وطرف الصراع الآخر. فقبل دعوة لزيارة إسرائيل فور انتهاء زيارته لمصر"[3]، وكانت نتيجة الزيارة محسومة على الرغم مما صاحبها من دعاية من

---

1 - إحسان المصرى، مقالة المثقفون العرب بين سارتر وكامو، موقع: الحوار المتمدن العدد 2412 بتاريخ 2008/9/22.

2 - مقالة: نبش الجثث الفكرية: سارتر .. ثورة في الاتجاه المُعاكِسْ، مرجع سابق.

3 - عايدة الشريف، سارتر في القاهرة، ص158، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011.

تلاميذ ومريدى سارتر وفلسفته الوجودية، فقد "كانت هزيمتنا في فشل هذه الرحلة التي دقت لها الطبول واستنفرت لها العقول والتي انتهت بتأييد سارتر لإسرائيل.. مع حق اللاجئين في العودة لديارهم"[1]، فكل ما فعله سارتر فى نهاية هذه الرحلة أنه أكد على المطالب ووجهة النظر الصهيونية فى الصراع، وسرعان ما تراجع موقف المثقفين العرب تجاه سارتر ودعمه للمشروع الصهيوني، حيث "في الوقت الذى تبنى فيه العديد من اليساريين الأوربيين القضية الفلسطينية، دافع سارتر عن إسرائيل، مثيرا غضب المثقفين العرب الذين أملوا أن يري الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني بالموازاة مع النضال الجزائري"[2]، ومنهم المفكر اليساري المصري المعروف د.محمود أمين العالم الذي ربما حاول أن يبرر موقف سارتر بعلاقته بسيمون دى بوفوار رغم ضعف هذه الحجة إزاء رؤية سارتر الفلسفية التى أصل لها فى كتابه، ففي "حوار مع محمود أمين العالم تحت عنوان 'هذا تفسيري لخيانة سارتر للعرب وانحيازه لإسرائيل'. هو يرجع ذلك إلي تأثير سيمون دي بوفوار ولاينزمان بأصولهما اليهودية ونجاح الدعاية الصهيونية في تسويق المأساة اليهودية"[3]، كما تنبه اليسار العربى لمحاولة سارتر توظيفه لخدمة وتطبيع وجود المشروع الصهيبونى، فقد "كتب كامل زهيري أن تأييد سارتر للدولة العبرية لم يكن أكبر أخطائه، بل كان تصوره أن اليسار العربي هو الفرصة الوحيدة للصلح مع إسرائيل هو أفدح هذه الأخطاء"[4]

- **دعم خيار السلام بمنطق تطبيع وجود إسرائيل:**

السلام فكرة إنسانية براقة قد لا يوجد من يملك المبررات المنطقية للوقوف أمامها، ولكن ذلك السلام المفروض أن يحافظ على معايير دنيا من العدالة والمنطق، لا أن يكون السلام شعارا يستخدم كسلاح فى وجه أصحاب الحقوق! قارب سارتر

1 - عايدة الشريف، سارتر في القاهرة، ص178، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011.

2- Max Paul Friedman, Rethinking Anti-Americanism: The History of an Exceptional Concept in American Foreign Relations,p.111, Cambridge University Press, 2012

3 - أحمد عبد الحليم عطيه، سارتر وفينومينولوجياه في الفكر العربي المعاصر، ص 30، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011

4 - أحمد عبد الحليم عطيه، سارتر وفينومينولوجياه في الفكر العربي المعاصر، ص 30، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011

فكرة السلام بين العرب وإسرائيل، ليس انطلاقا من فكرة السلام المبنى على العدل ، ولكن من حيث هو أداة لدعم إسرائيل وتطبيع "وجودها المشوه" والشاذ فى المنطقة العربية. وهو ما اكتشفه المثقف الفلسطيني إدوارد سعيد الذى ذهب لمقابلته طمعا فى موقف عادل داعم للجماعة المضطهدة فى القضية وهم الفلسطينيون، ليكتشف المنطق الذى يقارب به سارتر القضية والسلام، "حيث يَتَّضِح أنَ سعيد بَعدَ أن أصبحَ عُضْواً في المجلس الوطني الفلسطيني عام 1977م جاءَ بِهَدَف لباريس، وهو أن يَخرج بِتصريح صَحَفي من سارتر يناصِر فيه القضية العربية.. المحَصِّلة النهائية التي خَرَجَ بها سَعيد كانت غير سعيدة.. جاءَ سارتر بِصفحتين مطبوعتين على الآلة الطابعة بِهما ابتذال وسفاهة مُطلقة لشجاعة أنور السَّادات، دونَ أي كلمة تشير لوجود استيطان واحتلال لأي أرض عربية من طرف الحركة الصُّهيونية!"[1]. وقبلها عام 1973م ساند سارتر إسرائيل فى الحرب، ثم عاد ليمارس الدور نفسه الداعم لها؛ انطلاقا من فكرة السلام كتكتيك وآلية لإقامة الحجة ضد العرب الفلسطينيين العدوانيين فى تصوره، الذين لا يريدون السلام مع الاسرائيليين نموذج الخير والحرية عند سارتر الذين كرموه بعد رفضه "نوبل" فى الآداب، "ساند سارتر إسرائيل في حرب 1973 بشكل مطلق، فمنحته جامعة أورشليم الدكتوراه الفخرية سنة 1976، بعد أن رفض كل التكريمات عبر العالم، بما في ذلك جائزة نوبل للآداب. واستمرارا لذلك لعب دورا كبيرا في عملية السلام بين مصر وإسرائيل[2].

- **السكوت عن الدولة الفلسطينية:**

تحدث سارتر كثيرا عن اللاجئ الفلسطيني فى الشتات وحقه، لكنه سكت طويلا عن الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال فى أرضه! تحدث عن الحقوق والأوضاع الإنسانية لكنه أبدا لم يرد فى ذهنه أن يتحدث عن الدولة! عن ذلك الكيان السياسي للفلسطينيين، ربما كان سارتر فى وعيه الباطن يعلم حتمية الصراع بين الكيانين، لذا اختار الانحياز لمنطقه الفلسفي المزعوم عن "الوجودية اليهودية" وتمثلها الصهيوني على ارض فلسطين! وحين كان يتحدث عن الفلسطينيين كان يتحدث بصيغة التعاطف،

---

1 - مقالة: نبش الجثث الفكرية: سارتر .. ثورة في الاتجاه المُعاكِس، مرجع سابق.
2 - مقالة: خيانة جان بول سارتر، مرجع سابق .

والأسى والمطالبة ببعض الحقوق الإنسانية، لكنه أبدا لم يتخذ موقفا واضحا من حق الفلسطينيين فى تكوين دولة، لأنها ببساطة كانت ستقف فى وجه تصوره المزعوم عن ممارسة اليهود لحقهم الوجودي فى الموقف الحر على أرض فلسطين! وعلى حساب سكانها من العرب! فكان موقفه من الدولة الفلسطينية واضحا للجميع، "فى مقابل ذلك فيما يخص قضايا: معاداة السامية، اليهودية، والصهيونية وبصفة خاصة دولة إسرائيل، فلم يغير [سارتر] موقفه على الرغم من الضغوط التي مورست من جانب اليسار ليتخذ موقفا إيجابيا إزاء دولة فلسطينية"[1]، وحاول فى المقابل أن يلفت الانتباه الدعائي لاهتمامه باللاجئ الفلسطيني الذى حاول أن يختزل فيه حرية الوجود الفلسطيني لصالح التحقق الكامل لحرية اليهود وكأنهم مركز العالم ومحوره، "إنها أفكار محافظة تجعل من شعب معين مركز العالم. فهو [سارتر] يرى أن وجود إسرائيل معطى تاريخى لا يمكن الطعن فيه، وأن المشكل الذى مازال معلقا هو وجود اللاجئين الفلسطينيين، لا وجود الشعب الفلسطيني"[2]، كما أنه فى مسألة اللاجئين الفلسطينيين لم يتحدث عن عودتهم لدولتهم! إنما تحدث عن عودتهم لإسرائيل، وكأنه يؤكد على سلب الفلسطيني حقه فى الوجود الحر؛ داخل دولة تمثله تعبر عنه، وكأنه يضعه أمام الحل الصهيونى العنصرى بالخضوع للسيادة السياسية لليهودى المحتل، "قال جان بول سارتر في مؤتمر صحفي في تل أبيب في نهاية رحلته المتصلة إلي مصر وإسرائيل.. إنه يقبل المطالب الأساسية للجانبين: تلتزم البلاد العربية بالاعتراف بقيام دولة إسرائيل والعيش معها في سلام، وعلي الجانب الآخر يلتزم اللاجئون العرب الذين خرجوا من البلاد بأن يقبلوا حق العودة إلي إسرائيل"[3]، وفى حوار سارتر مع عبد الناصر عندما زار القاهرة، حاول سارتر أن يأخذ من عبد الناصر اعترافا يطبع الوجود الصهيونى، ويخرجه من مصاف العنصرية والإمبريالية وقهر الشعوب، وهو ما لم يمكنه منه عبد الناصر، حين دار الحوار التالى: "سارتر: 'إنني لاحظت أن الرئيس

---

1 - **נפתלי אילתי, סארטר על אנטשימיות, יהדות, ציונות וישראל**
www.daat.ac.il/daat/kitveyet/shana/eylati2-2.htm

2 - عبد الكبير الخطيبى، دموع سارتر، ص79، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011.

3 - מאיר טייך، סארטר، פליטי־ערב، ישראל، דבר، 30/4/1967

وضع إسرائيل في نفس الصف مع الاستعمار البريطاني.. وهذا يعقد الأمور في الشرق الأوسط'. جمال عبد الناصر: 'الذي يعقد الأمور ليس أنني أضعهم في هذا الصف أو ذاك ولكن الذي يعقدها فعلا هو إسرائيل. لا يمكن لأي جماعة أن ينقضوا على بلد ويأخذوه لأنفسهم ويحولوا سكانه الأصليين إلي مواطنين من الدرجة الثانية'."[1].. وكان موقف سارتر بالطبع رافضا لتصنيف المشروع الصهيونى ودولته كامتداد للاستعمار الغربى: حيث "فيما يخص إسرائيل أيضا، أظهر سارتر ثباتا على رأيه ولم يعتبرها نتاجا للاستعمار الغربي كسائر اليساريين"[2]

---

1 - حوار سارتر مع عبد الناصر، ص189، من داخل كتاب "سارتر والفكر العربي المعاصر"، تحرير د.أحمد عطية عبد الحليم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011

2 - **נפתלי אילתי, סארטר על אנטשימיות, יהדות, ציונות וישראל**
www.daat.ac.il/daat/kitveyet/shana/eylati2-2.htm

خاتمة الدراسة

لقد أسقط سارتر حق العربى الفلسطينى تماما فى سعيه للبحث عن حرية وجودية متساوية وعادلة مفترضة لكل البشر وفق فلسفته الوجودية! بداية حاول تجاهله تماما فى فترة الدعاية للمشروع الصهيونى وما قبل إعلان الدولة، حتى إقامتها أواخر أربعينيات القرن العشرين، تأثرا بحالة الاضطهاد التى تعرض لها يهود أوربا على يد النازية فى الحرب العالمية الثانية، حين تحدث عن العربى فى كتابه وكأنه كائن خرافى يضعه فى صف المضطهدين: اليهود والزنوج والغجر! دون أن ينظر لأثر فلسفته ومقاربته الداعمة للصهيونية على الواقع، وما ترتب عليها من ظلم بينٍ واستلابٍ لحق الفلسطينى العربى فى الوجود الحر!

وفى فترة لاحقة -من خلال الدراسة النقدية- لعلاقة سارتر بالمسألة؛ تبين أنه فى المرحلة التالية من الصراع بين العرب وبين الصهاينة اليهود؛ نجد أن رؤيته لتلك الفترة التى تلت تأسيس الكيان الصهيونى قد انقسمت لشقين أو مرحلتين؛ الأولى من التأسيس وحتى ما قبل عدوان 1967 وامتدت من نهاية الأربعينيات وحتى ما قبل ظهور الشكل التوسعى الاستعمارى – المباشر – للمشروع العنصرى فى حرب عام 1967: حيث صور سارتر العربى وكأنه امتداد للنازى الأوربى المضطهد لليهود والمهدد لوجودهم، على عكس الحقيقة وكون الصهيونية مشروع أقيم على حساب سلب الحرية الوجودية للفلسطينيين، حيث نظر سارتر لهذه الفترة على اعتبارها فترة تهديد للوجود الصهيونى الناشئ الذى تبناه منذ تأسيسه أواخر الأربعينيات، وكانت المرحلة الثانية بعد حرب 67 وحرب 73 التى حاول فيها – حرجا وعلى استحياء – الموازنة بين تبنيه للصهيونية و بين مشكلة الشعب الفلسطينى الذى أصبح مشتتا وموزعا على أقليات فى بلدان العالم والبلدان العربية المجاورة، وأصبح فى موقف وجودى مماثل تماما ليهود أوربا المشتتين إبان الحرب العالمية الثانية!

حيث وقع سارتر فى هذه المرحلة فى حيرة وفى حالة عجز عن مواجهة المعضلة التى وضع نفسه فيها، ولم يجد أمامه من سبيل سوى الحلول التوفيقية والتلفيقية، حيث لا يستطيع التراجع عن دعمه السياسى لإسرائيل، أو دعمه الفلسفى للجماعات

اليهودية والمشروع الصهيونى، ليعتبر أن العلاقة بين يهود الصهيونية والعرب الفلسطينيين هى علاقة بين مظلومين تعرض كل منهما للظلم والاضطهاد! ويجب أن يقدر كل منهما موقف الآخر، ويبحثا عن آليات التعايش والسلام التى تضمن بشكل أساسى مكتسبات ووجود المشروع الصهيونى الذى دعمه سارتر! فيمكن القول أن المحدد الرئيسى الذى حكم سارتر فى الفترة الأخيرة من حياته إزاء القضية الفلسطينية وعلاقته بالصهيونية؛ كان ينقسم إلى عاملين؛ الأول: خط أحمر لا يسمح بالاقتراب من مكتسبات المشروع الصهيونى العنصرى ولا يناقشها، الثانى: اعتبار العرب ضحايا مضطهدين بدورهم لكن يجب عليهم أن يتعايشوا مع الوجود الصهيونى على أرضهم، ويرضخوا لسلطته السياسية فى الواقع، ويجب عليهم أن يقبلوا بمساحةٍ من الوجود السياسى المقيد فى ظل السيطرة السياسية الغالبة للصهيونية وهيمنتها وجوديا!

لقد قفز فيلسوف الحرية والإنسانية الشهير – عاصبا عينيه – على خطيئته فى حق الإنسان الفلسطينى الذى سلبه حريته الوجودية؛ معتبرا أن العلاقة بين الاحتلال الصهيونى والمقاومين الفلسطينيين هى علاقة متساوية بين طرفين مظلومين! تحمل – من وجهة نظره – المشترك الأبرز المتساوى المتمثل فى الظلم الذى وقع على الجانبين! فى مغالطة وفساد تدليلٍ منهجيٍ وعلميٍ وتاريخيٍ .. إن هناك إزاحة فى الزمان والمكان والتاريخ فى تبرير سارتر لدعمه للحق الصهيونى على حساب الحق العربى، على مستوى المكان: ظلم اليهود فى أوربا فكيف يكون الحل فى فلسطين! وعلى مستوى الزمان: ظلمتهم أوربا على مدار العصور الوسطى والحل جاء فى القرن العشرين على حساب العرب! وعلى مستوى التاريخ: انتهى وجود الجماعات اليهودية فى المنطقة كسلطة سياسية منذ فترة تزيد على الألفى عام، فكيف يستخدم ذلك لتبرير سلبهم لحق الفلسطينيين فى السيادة السياسية وفى الوجود الحر على أرضهم – الآن وحاليا – لصالح السيادة السياسية ليهود العالم!

وإجمالا انقسم موقف سارتر من العربى الفلسطينى إلى ثلاث مراحل: الإنكار والتجاهل – المضْطَهِد العدوانى – الضحية المظلوم ، الأولى: مرحلة الإنكار والتجاهل وهى فترة تأليف الكتاب حيث كان مدفوعا بأحداث الاضطهاد النازى،

وإحساس الذنب تجاه اليهود الذى أعماه عن رؤية حقيقة موقفه المتحيز الذى ينصر اليهود على حساب جماعة إنسانية أخرى سلبها حقها الوجودى الحر.

المرحلة الثانية: المضْطَهِد العدوانى وهى التى ظل متأثرا فيها بأحداث اضطهاد اليهود فى أوربا من جانب النازى، فأسقط صورة النازى على العربى، رغم أن العربى كان يدافع عن أرضه ووجوده الإنسانى تجاه محتل غاشم، وفى هذه الفترة أيضا يمكن القول أن سارتر كان تحت تأثير نفسى لفكرة وحيدة وضاغطة، للمآسى التى شهدتها فرنسا تحت الاحتلال النازى فى حق اليهود، فأصبح بصره أعمى تجاه المذابح الجديدة التى حدثت فى حق الفلسطينيين من الأطفال والشيوخ والنساء.

المرحلة الثالثة: الضحية المظلوم وهى المرحلة التى أصبح فيها تجاهل الحق والوجود العربى حرجا إنسانيا لا يستطيع سارتر تجاهله، ولا يستطيع فى الوقت نفسه الاعتراف الكامل بالظلم البين الذى وقع عليه، حين سلبه حقه فى الوجود الحر! فاصطك لنفسه موقفا توفيقيا يحفظ ماء وجهه – نوعا – معتبرا أن العربى قد وقع عليه الظلم مثله مثل اليهودى فى أوربا! لكن ذلك الاعتراف من جانب سارتر ظل موقفا دعائيا لا يمكن لسارتر أن يقف عليه حقيقة؛ وإلا اكتشف مدى الأزمة التى خلقها للفلسطينيين، ومدى عجزه عن طرح مقاربة تعيدهم إلى موقف الوجود الإنسانى الحر مثلهم مثل أى جماعة بشرية أخرى لها الحق فى الحياة.

لم يستطع سارتر الاعتراف بأن الاضطهاد الغربى ليهود أوربا؛ هو علاقة بين أوربا وأحد أقلياتها! وليس على أى طرف آخر فى العالم – وقد تصادف أن يكون ذلك على حساب الطرف العربى الفلسطينى باسم التاريخ – أن يدفع ثمن ذلك. ودون أن يعترف أيضا أن العلاقة بين الاحتلال الصهيونى والمقاومة الفلسطينية هى علاقة بها ضحية واحدة فقط، بها مضطهد واحد فقط، وأعطت لجماعة إنسانية حق الوجود الحر؛ على حساب جماعة إنسانية أخرى تم سلب حقها فى الوجود الحر!

الأزمة التى لم يلتفت لها سارتر – مدفوعا بهاجس الهولوكست وأحداث النازية تجاه اليهود – أن إقامة الوجود اليهودى فى فلسطين بشكله الصهيونى العنصرى، الذى ينتصر لجماعة إنسانية على حساب جماعة إنسانية أخرى؛ لن يكون أبدا

وجودا حرا ليهود أوربا والعالم! بل سيضع يهود الصهيونية فى الموقف الوجودى المقيد والمحكوم عليه بقلق الأبدية المطلقة؛ التى تتلخص ويمكن صياغتها فى: الوجود المأزوم، الوجود العدمى، الوجود الهش.. تحول يهود الصهيونية إلى موقف وجودى ليس فيه من اختيار سوى اختيار وحيد: الصدام! وأصبحوا فى الموقف "الوجودى الصفرى" لا يستطيعون العودة لما قبل الصهيونية فى أوربا، ولا يستطيعون القفز إلى ما بعد الصهيونية مع العرب الذين لن ينسوا — كما لم تنس الشعوب قبلهم — ما سلب منهم!

وضع سارتر اليهود فى موقف الوجود العدمى؛ ونظريته فى "الصهيونية الوجودية" التى تعتبر أن فلسطين تخلق "الموقف المشترك" الموحد والجامع ليهود أوربا والعالم، وتمثل الموقف الوجودى الحر الغائب عن اليهود بوصفهم — كما يقول سارتر- شعبا مضطهدا عبر التاريخ! تحولت شيئا فشيئا إلى "صهيونية عدمية" طورت ما يمكن تسميته بـ "الأبوكاليبسة" أو حالة "انتظار الكارثة الوجودية"؛ وخلقت أدبا أبوكاليبسا أخرويا ينتظر نهاية العالم بالنسبة ليهود الصهيونية..

لقد أشارت الدراسة لنقطة مهمة فى كتاب سارتر ومقاربته؛ فعندما قال سارتر فى تحليله الوجودى للمسألة اليهودية فى أوربا: إن اليهودية رد فعل لموقف فاعل يصنعه الآخرون/ العالم لليهود بوصفهم مضطهدين؛ هنا أهمل فكرة أخرى أكثر قدرة على تحليل "نقطة بناء النموذج" فى تحليل هذا الموقف بين يهود أوربا والعالم! ألا وهى أن اليهود شعبا متعاليا (ترانسندنتاليا) يملك تصورا مسبقا — بالمفهوم الوجودى — لطبيعته كجنس مختار ومتفوق! وان هذا التعالى تجاه الآخرين الذى اعترف به سارتر فى أحد مواقع الكتاب (العند والامتيازات) لابد سيصحب بتعال مضاد من العالم تجاه اليهود؛ كما أن الشعور بالتفوق سيجعل اليهود يحاولون إثبات ذواتهم دائما فى مهن أرفع مما يمكن للآخرين أن يمارسوه؛ وبالتالى سيغذى التعالى اليهودى التعالى المضاد عند العالم! وربما لم تكن فلسطين هى المكان المناسب لحل المسالة اليهودية؛ بل ستعزز ربما من فكرة التعالى اليهودى والتفوق التاريخى والدينى على الآخرين، وستجعل اليهودى فى حالة صراع مستمر، وحلم كامن بالهجرة المضادة والهروب قبل وقوع

الكارثة.. لتصبح الحرية – واقعيا – بالنسبة لليهودى محققة فى كل مكان، عدا فلسطين التى ستحكم عليه بقيود الصراع والحياة القلقة.

يمكن القول أن مربط الفرس ونقطة الانطلاق فى نقد مقاربة سارتر للمسألة اليهودية، هو نقد فكرته المركزية التى مفادها: أن الآخرين هم الذين يجعلون اليهودى يتصرف كيهودى! وأن اليهودية ليست سوى "موقف" – بالتعريف الوجودى للمصطلح – يصنعه العالم لليهود! فى حين أن اليهودية عند اليهود هى واقع دينى يتوارثونه، واختيار عرقى لا يحيدون عنه، مهما اختلطوا بالأجناس والأعراق، وأينما رحلوا واستقروا، كان المشترك هو ثقافة التلقين والاختيار الذاتى والحفاظ على الهوية، وليس كما قال سارتر ثقافة الجبر والقهر والرد فعل! بل قد اعترف سارتر – كما أوضحنا – بشكل مقتضب ودون أن يلتفت لذلك: بأن السبب فى شكل العلاقة بين اليهود والآخرين هو نمط السلوك التاريخى اليهودى القائم على العند والامتيازات، أو باختصار منطق التعالى على الآخر والصدام معه.

من هنا أيضا سيكون التأكيد على مصدر النقد لمقاربته لحل المسألة اليهودية؛ التى تمثلت فى دعمه للمشروع الصهيونى فى فلسطين، بوصفه إعمالا للحق فى "الاختيار الوجودى الحر" ليهود أوربا والعالم! وفى الواقع ربما فلسطين هى المكان الوحيد فى العالم الذى لن يكون لليهودى فيه حرية فى الاختيار وإقامة علاقة غير محددة سلفا، لا فى علاقته مع ذاته، ولا فى علاقته مع العالم والآخرين المحيطين به، الوجود اليهودى فى فلسطين سيقوم واقعيا على حساب "سلب الحق الوجودى للفلسطينيين"؛ وبالتالى حالة مستمرة من الصراع الوجودى فيما بينهما على السلطة السياسية على المكان، وتاريخيا سيستحضر ذلك الوجود الموروث اليهودى الدينى والشعبى، القائم على التعالى والصدام مع المحيط العربى؛ وسيؤكد على حالة الصدام العبثية ذاتها..

سيصبح اليهودى والعربى فى موضع جبر وليس اختيار؛ سيصبحان أمام حتمية الصدام الوجودى الذى تفرضه عليهما مجريات التاريخ والذاكرة من جهة، والواقع وأحداث العدوان غير الإنسانى التى صاحبت إعلان دولة "إسرائيل" من جهة أخرى. اليهودى فى فلسطين لن يكون أمامه حرية فى الاختيار، سوف يعيش فى حالة من

الصدام مع الآخر، حالة قلق واستنفار دائم ؛ إلا إذا كان سارتر يرى فى جدلية "العبد والسيد" عند هيجل — كما أوضح فى كتابه — أسلوب حياة، من ثم سيكون علينا كعرب — إذا ثبت ذلك بالمزيد من الدراسات الموضوعية والعلمية — البحث عن طريق آخر..

لقد وقع سارتر هنا فى الخطأ نفسه الذى وقع فيه مؤسس تيار الصهيونية الماركسية (اليسارى اليهودى الصهيونى الروسى: بيير دوف بيرخوف)! حينما وجد كل منهما نفسه أمام معضلة البحث عن مبرر ما غير دينى للصهيونية ومشروعها فى فلسطين، فى نسختها الماركسية عند بيرخوف أو الوجودية عند سارتر. لجأ بيرخوف لما يمكن تسميته "متوالية الطرد" وأن اليهود سيتعرضون لعملية طرد متوالية من كل بلاد العالم بسبب الصراع الطبقى القومى بينهم وبين الاخرين، حتى تصل بهم المتوالية إلى فلسطين، حيث قال أنهم هناك لن يتعرضوا للطرد باعتبارها وطنا تاريخيا لهم (فى مفارقة غريبة تجمع بين التاريخ السردى البحت والنظرة المادية المفترضة للتاريخ وفلسفته، وكأن فلسطين ليس بها سكانا سيقيمون الصراع الطبقى نفسه مع اليهود)! وهو المنطق نفسه الذى اتبعه سارتر باعتباره مؤسس "الصهيونية الوجودية" أو باعتباره واضع الأساس النظرى لفكرة أن فلسطين والمشروع الصهيونى هناك، سيمثلان ممارسة يهود العالم لحريتهم الوجودية من خلال "موقف مشترك" يجمعهم للمرة الأولى بعد الشتات الكبير منذ ألفى سنة! حينما اعتبر اختيار فلسطين مجرد اختيار يستند للتاريخ؛ وأسقط الحق التاريخى واستقرار السيادة السياسية على فلسطين لسكانها من غير اليهود منذ فترة طويلة من الزمن.

الرد على سارتر أن ذلك الاستناد للتاريخ لن يقدم لليهود حرية فى فلسطين، من خلال "موقف مشترك" صهيونى جامع ليهود العالم يعيد خلق هويتهم الوجودية كما يعتقد، وإنما سيكون ذلك مصدرا للصدام وانعدام الاختيارات والوجود العدمى، من خلال خلق " موقف مشترك" مضاد يجمع العرب الفلسطينيين المضطهدين فى مواجهة يهود الصهيونية، حيث سرقت أرضهم وسلب حقهم فى الحياة الحرة، العربى هو ذلك "الآخر" الذى سلبه سارتر "حقه الوجودى" وأسقطه من حساباته تماما، أسقط سارتر — مثله مثل الصهاينة تماما — الفلسطينيين وادعى انه بدأ يستشعر

وجودهم حين اكتشف الصراع الذى بدأ يدور على الأرض بين الصهاينة وبينهم! ليساوى سارتر فى خطابه السياسى بين الضحية الفلسطينى الذى سلبت أرضه، وبين المعتدى الصهيونى الذى سلبها، بحجة أنهما مضطهدان ومظلومان!

لم يلتفت سارتر إلى خطيئته عندما سلب الحرية الوجودية من الفلسطينى، الحرية الوجودية المفترضة تعنى أن يكون للإنسان الحق فى الاختيار فى موقف حر، لكن الوجود الصهيونى سيجعل الفلسطينى – مثله مثل اليهودى الصهيونى – أمام موقف وجودى وحيد غير متعدد لا يملك أمامه حرية الاختيار، سيجعله يقف فى موقف المدافع عن أرضه، الذى لا يحمل فى الحياة هما سوى استعادتها واستعادة حريته الوجودية التى سلبها منه سارتر بدعمه للصهيونية على أرض فلسطين، لقد أعطى سارتر لليهودى حقا لوجود حر مفترض ومتخيل فى ذهنه، على حساب سلب الحرية الوجودية للفلسطينى، الذى لم يعد أمامه من هدف فى الحياة إلا هدف وحيد لاستعادة حريته المسلوبة..

ربما ينكمش الفلسطينى/ العربى حاليا فى الجغرافيا والمكان وتضيق به الأرض؛ لكنه يتمدد فى الزمن ويكمن فى ذاكرته الواسعة، تلك التى ستسترد ما لها فى يوم ما مؤجل – ربما الآن – لكنه كامن بكل تأكيد، وذاك المنكمش حاليا سيضع الذكرى فوق الذكرى، ويختزن الجرح على الجرح.

قائمة المصادر والمراجع (للدراسة النقدية):

أولا: المراجع والمصادر العربية:

- الكتب والموسوعات:
- أحمد عطية عبد الحليم (المحرر)، سارتر والفكر العربي المعاصر ، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011. (الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات المجمعة لكتّاب عرب تتناول سارتر وعلاقته بالفكر العربى).
- رمسيس عوض، الهولوكست فى الأدب الفرنسى، دار نهضة الشرق، ، ط1، 2002
- موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت.

المقالات:

- إحسان المصرى، المثقفون العرب بين سارتر وكامو، موقع: الحوار المتمدن العدد 2412 بتاريخ 2008/9/22.
- حميد عبد القادر، خيانة جان بول سارتر، جريدة الخبر الجزائرية، بتاريخ 23 12/ 2011.
- سمير ساسى، المقاومة الثقافية والمدنية تقض مضاجع الصهاينة ، موقع الجزيرة نت، بتاريخ 2010/6/5.
- عبد العزيز بوباكير، سارتر... بين الخيانة والشرف ، موقع: جزايرس الجزائرى، بتاريخ: 28 - 01 – 2011.
- محمد محمود البشتاوي، نبش الجثث الفكرية: سارتر .. ثورة في الاتجاه المُعاكِسْ، موقع دنيا الرأى، تاريخ 2007/2/3.
- وفيق غريزي، أيام كان جان بول سارتر ملهم المثقفين العرب، جريدة المستقبل اللبنانية، الاحد 29 /2011/5.

ثانيا: المراجع الصهيونية (باللغة العبرية):

الصحف:

- אשר כהן (עורך), *תולדות השואה צרפת* ,יד ושם 1996
- ז'אק מוריס، סארטר ודה־בובואר וביקודמ במדינת ישראל، דבר، -5-15 1967
- יהודית אוריין، סארטר על אנטשימיות، מעריב، 22/12/1978
- ישראל נוימן، סארטר על נאצר،מאו והיחס אל שראל، דבר، 17/5/1967
- מאיר טייך، סארטר، פליטי־ערב، ישראל، דבר، 30/4/1967
- מאת סופר "דבר"، סארטר על ההבדלים בק הישראלים והאינטלקטואלים היהודים בחוץ־לארץ، דבר، 24/4/1967
- מאת סופר "דבר"، סארטר "אני משוכנע שרוב תושבי ישראל שוחרי־ שלום"، דבר، 29/5/1967

- מאת סופרו המדיני של "דבר"، נאצר הודה באזני סארטר שישראל לא תוכל להסכים להחזרת הפליטים، דבר، 3/4/1967
- ניב גורדון, הוויכוח על הגורמים ל"אנטישמיות החדשה"، הארץ، 25.04.2006

مواقع الإنترنت:

- נפתלי אילתי, סארטר על אנטשימיות، יהדות، ציונות וישראל www.daat.ac.il/daat/kitveyet/shana/eylati2-2.htm
- סארטר – השאלה היהודית http://textologia.net/?p=8306

ثالثا: المراجع والمصادر باللغة الإنجليزية:

- المصادر:

- Jean Paul Sartre, anti-Semite and Jew, translated by George j.becker, schocken books, new york, 1995.

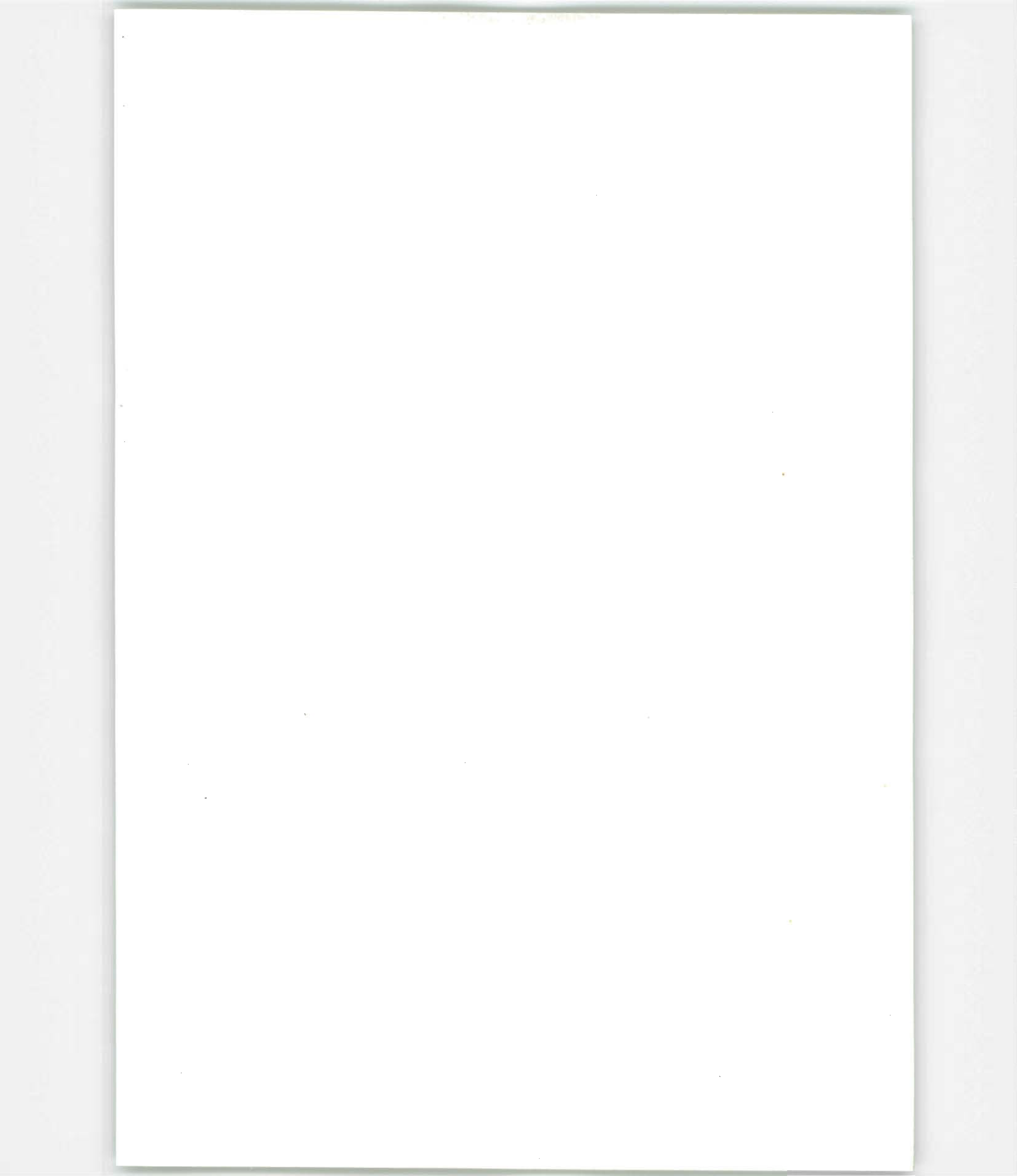
- الكتب:

- Alain Dieckhoff, The Invention of a Nation: Zionist Thought and the Making of Modern Israel, C. Hurst & Co. Publishers, 2003.
- Colin Shindler, A History of Modern Israel, Cambridge University Press, 2013.
- Elhanan Yakira, Post-Zionism, Post-Holocaust: Three Essays on Denial, Forgetting, and the Delegitimation of Israel, Cambridge University Press, 2010.
- Ian H. Birchall, Sartre Against Stalinism, Berghahn Books, 2004
Jean Paul Sartre. anti-Semite and Jew, translated by George j.becker, schocken books, new york, 1995.
- Jonathan Judaken, Jean-Paul Sartre and the Jewish Question: Anti-antisemitism and the Politics of the French Intellectual, p.184, University of Nebraska Press, 2006
- Joyce Block Lazarus, In the Shadow of Vichy: The Finaly Affair, Peter Lang, 2008.
- Max Paul Friedman, Rethinking Anti-Americanism: The History of an Exceptional Concept in American Foreign Relations, Cambridge University Press, 2012

- المقالات والدوريات:

- Andrew Ryder, Derrida and the Crisis of French Zionism, Warscapes Magazine, 15/4/2013.

- Jonathan Judaken, A Reviewe on Notre Dame Philosophical Reviews- an electronical journal- 9/1/2012, About : Sarah Hammerschlag, The Figural Jew: Politics and Identity in Postwar French Thought, University of Chicago Press, 2010.



القسم الثانى:

الترجمة الكاملة لكتاب

"تأملات فى المسألة اليهودية"

(المعادى للسامى واليهودى)



1

إذا ما عزى إنسان كل أو بعض من سوء حظه الخاص أو حظ بلاده لوجود العوامل اليهودية فى المجتمع، إذا ما اقترح علاجا لهذا الوضع الراهن عبر حرمان اليهود من بعض حقوقهم، عبر إقصائهم من أنشطة اقتصادية واجتماعية بعينها، عبر طردهم من البلاد، عبر إبادتهم جميعا، نقول إن لديه أراء معادية للسامية.

إن هذه المفردة آراء تجعلنا نتوقف ونفكر، إنها الكلمة التى تستخدمها مُضيفة لتنهى نقاشا يهدد بالتحول للاحتدام. إنها تقترح أن كل وجهات النظر متساوية؛ كل الآراء مسموح بها. الأذواق، الألوان، والآراء ليست مفتوحة للمناقشة. باسم المؤسسات الديمقراطية، باسم حرية الرأي، يدافع المعادى-للسامي عن حقه بالتبشير بحملة معاداة-اليهودى فى كل مكان.

فى الوقت نفسه، كالعادة التى أصبحنا عليها منذ الثورة.[1] بأن ننظر لكل موضوع بروح تحليلية، ذلك يعنى، اعتباره مركبا يمكن فصل عناصره، نحن ننظر إلى الأشخاص والشخصيات كفسيفساء يتعايش من خلالها كل حجر مع الآخر دون أن يؤثر هذا التعايش على طبيعة المجموع. هكذا يبدو الرأي المعادى للسامية لنا باعتباره جزيئا يمكن أن يدخل فى اندماج مع جزيئات أخرى من أي مصدر كان بدون حدوث أي تغير. يمكن للإنسان أن يكون أبا جيدا وزوجا جيدا، مواطنا صاحب ضمير حي، مثقفا للغاية، سمته حب البشر، إضافة إلى أن يكون معاديا للسامي. يمكنه أن يحب الصيد ومباهج الحب، متسامحا فى أمور الدين، مليئا بالأفكار الكريمة تجاه وضع السكان الأصليين فى وسط أفريقيا، وبالإضافة إلى ذلك كارها بشدة لليهود. إذا لم يكن يحبهم، نقول، ذلك بسبب أن خبرته برهنت له أنهم أشرار، بسبب أن الإحصائيات علمته أنهم خطرون، بسبب أن عوامل تاريخية بعينها أثرت على حكمه.

---

1 - يقصد منذ اندلاع الثورة الفرنسية (الهامش خاص بالمترجم، وكل حواشى النص من عمل المترجم، كما أنه سيرد فى نص المتن ذاته بعض الإيضاحات القليلة موضوعة داخل أقواس تأخذ شكل [ ] وهذه الأقواس والإيضاحات التى بداخلها من عمل المترجم أيضا).

وبالتالي يبدو أن هذا الرأي نتيجة لأسباب خارجية، وهؤلاء الذين يتمنون دراسته يميلون إلى تجاهل شخصية المعادى- للسامي، لصالح الأخذ فى الاعتبار: نسبة اليهود الذين احتشدوا فى عام 1914 [1]، ونسبة اليهود المصرفيين، الصناعيين، الأطباء، والمحامين، أو لصالح فحص لتاريخ اليهود فى فرنسا منذ العصور المبكرة. إنهم ينجحون فى التعبير عن موقف موضوعي تماما، والذى يحدد تيار رأى مساو فى الموضوعية، ويسمونه معاداة-السامية، من خلاله يستطيعون رسم جداول بيانية ويحددون المتغيرات منذ عام 1870 وحتى عام 1944 [2]. بمثل هذا النمط تبدو معاداة-السامية فورا تذوقا موضوعيا يدخل فى اندماج مع أذواق أخرى ليكون شخصية، وظاهرة غير شخصية واجتماعية يمكن التعبير عنها عبر الأرقام و معدلات المتوسطات، التى ترتبط بثوابت اقتصادية، تاريخية، وسياسية.

أنا لا أقول إن هذين المفهومين متعارضان بالضرورة. أنا أقول إنهما خطيران وزائفان. قد أعترف، إذا كان ضروريا، أن الفرد يمكن أن يكون له رأى فى سياسة الحكومة تجاه صناعة الخمور، ذلك لأن الفرد يمكن أن يقرر، لأسباب معينة، إما أن يوافق أو يدين الاستيراد الحر للخمور من الجزائر: هنا لدينا حالة امتلاك رأي تجاه إدارة الأشياء. لكنني أرفض أن أوصف: مبدأ سياسي أو ديني موجه مباشرة تجاه أشخاص محددين باعتباره رأيا، يسعى لقمع حقوقهم أو لإبادتهم. إن اليهودى الذى يريد المعادى-للسامي أن يضع يده عليه ليس رسما تخطيطيا، تتضح طبيعته ببطء من خلال وظيفته، كما فى ظل القانون الإداري، أو من خلال وضعه وأفعاله، كما فى القانون. إنه يهودي، ابن ليهود، يمكن معرفته ببنيته الجسدية، بلون شعره، ربما بملابسه، ومن خلال،هكذا يقولون، شخصيته. معاداة السامية لا تقع فى نطاق باب الأفكار التى يحميها حق حرية الرأي.

فى الواقع، هى شئ آخر تماما غير أن تكون فكرة. بادئ ذى بدء هى عاطفة. يمكن أن تبدأ بلا شك فى شكل اقتراح نظرى. إن معادى- السامي "المعتدل" هو رجل مجامل سيقول لك بهدوء: "شخصيا، أنا لا أكره اليهود بشدة، ببساطة أنا أجد

---

1 - يقصد المؤلف عدد اليهود الفرنسيين الذين شاركوا فى الحرب العالمية الأولى والتى اندلعت فى عام 1914.
2 - يقصد فى الفترة التى واكبت الثورة الفرنسية وحتى الحرب العالمية الثانية.

الأمر ربما، لأسباب متعددة، أنهم يجب أن يلعبوا دورا أقل فى نشاط الأمة". لكن بعدها بلحظة، إذا نلت ثقته، سيقول باسترخاء أكثر: "أترى، يجب أن يتم اتخاذ شيء تجاه اليهود، إنهم يضايقونني جسديا".

هذا الجدل، الذى سمعته مئات المرات، يستحق الاختبار. بداية، هو ينبع من منطق العاطفة. لأنه ، حقيقة الآن، أيمكننا تخيل شخص ما يقول: "يجب أن يتم شيء ما بشأن الطماطم، لأني عندي رعب من أكلها؟" بالإضافة إلى ذلك، يظهر لنا أن معاداة–السامية فى أكثر أشكالها اعتدلا وتطورا هى توفيقية تماما، يمكن التعبير عنها بتعبيرات منطقية الفحوى، لكنها قد تتضمن حتى تغيرات جسدية. قد يصاب بعض الرجال بالعقم فجأة إذا علموا من المرأة التى يمارسون معها الحب أنها يهودية. هناك اشمئزاز تجاه اليهودى، كما أن هناك اشمئزازا تجاه الصيني، أو الزنجي بين أناس بعينهم. لذلك لا ينشأ الإحساس بالتنافر من الجسد ، طالما أن الفرد يمكن أن يحب يهودية للغاية إذا لم يعرف عرقها؛ بالأحرى هو شئ يدخل الجسد من العقل. إنه ارتباط من العقل، لكن الشخص المتعمق جدا سيكمل أنه يمتد إلى عالم الجسد، مثل السعادة فى حالات الهستيريا.

ذلك الارتباط لا تسببه التجربة. لقد سألت مئة شخص بخصوص أسبابهم لمعاداة- السامية. حصر معظمهم أنفسهم فى تعديد العيوب التى منحت لليهود من خلال التقاليد. "أنا أمقتهم بشدة لأنهم أنانيون، تآمريون، لحوحون، مائعون، غير لبقين، الخ" — "لكن، على أية حال، عليك أن تعاشر بعضهم؟"- "إذا لم يكن هناك من مفر!". قال لى رسام: "أنا عدوانى تجاه اليهود، لأنه فى وجود عاداتهم الانتقادية، يشجعون خدامنا على العصيان". ها هى أمثلة أكثر دقة بقليل. أصر ممثل صغير بلا موهبة على أن اليهود حالوا بينه وبيْن سيرة مهنية ناجحة فى المسرح، من خلال حصره فى أدوار ثانوية. قالت امرأة صغيرة لي: "لقد مررت بأفظع تجربة مع عمال الفراء، لقد سرقوني، لقد أحرقوا الفراء الذى ائتمنتهم عليه. حسنا، كانوا جميعا يهودا". لكن لماذا اختارت أن تكره اليهود بدلا من عمال الفراء؟ لماذا اليهود أو عمال الفراء بدلا من هذا و ذاك، يهودي وكذلك عامل فراء؟ لأنها كان لديها ميل فطرى تجاه معادة- السامية.

أخبرني زميل دراسة فى "الليسيه"[1] أن اليهود "يضايقونه" بسبب آلاف المظالم الاجتماعية التى ارتكبتها منظمات "يهودية النزعة" فى حقهم. "لقد نجح يهودى فى أستاذيته (Agrégation) فى السنة التى فشلت فيها، ولا يمكنك جعلى أصدق أن ذلك الشخص، الذى جاء أبوه من كراكاو[2] أو ليمبرج[3]، يفهم قصيدة لـ"رونسار"[4] أو "نشيد رعاة"[5] لـ"فيرجيل"[6] أفضل منى. لكنه اعترف أنه ازدرى "الأستاذية" بوصفها اختبار شبه أكاديمي، وأنه لم يذاكر من أجلها. وهكذا، حتى يبرر فشله، استخدم نظامين للتفسير، مثل أولئك الرجال المجاذيب، عندما يتمادون فى جنونهم، يتظاهرون بأنهم ملك المجر لكنهم، إذا سئلوا بحدة، يعترفون بأنهم صناع أحذية. لقد انتقلت أفكاره فى مستويين بدون أن يكون محرجا من ذلك البتة. كأمر واقع، سيتصرف بمرور الوقت ليبرر تكاسله فى الماضى، على أساس أنه سيكون حقا من الغباء للغاية الاستعداد لاختبار؛ ينجح فيه اليهود بأفضلية على فرنسي طيب. حاليا هو المصنف السابع والعشرون فى القائمة الرسمية. كان يسبقه ستة وعشرون، 12 نجحوا و 14 رسبوا. افترض أن اليهود كانوا قد استبعدوا من المنافسة؛ أكان ذلك سيفيده فى أي شئ؟ وحتى لو كان على رأس قائمة المرشحين غير الناجحين، حتى ولو كان عن طريق التخلص من أحد المرشحين الناجحين أكان سيكون لديه

---

1 - الليسيه: بالفرنسية "lycée " وتعنى المدرسة الثانوية، واشتهر هذا الاسم وارتبط بالعديد من المدارس الثانوية الفرنسية التى انتشرت حول العالم.

2 - كراكاو: مدينة بولندية، تعد ثانى أكبر مدن بولندا حاليا، ولقد احتل الجيش الألماني "كراكاو" ببولندا في سبتمبر 1939. وفي مارس 1941، أمر الألمان ببناء حي يهودي في "كراكاو".

3 - ليمبرج: مدينة فى النمسا تقع على بعد 180 ميلا من كراكاو ، وكان يقطن بها عدد كبير من اليهود منذ القرن الثالث عشر الميلادى.

4 - رونسار: بير دو رونسار (1524-1585) شاعر غنائى فرنسي معروف ، تميز بالحساسية المفرطة، وأسس جماعة "البلياد" الشعرية التى هجرت التقاليد الشعرية السائدة في القرون الوسطى وحاولت محاكاة الأدب الكلاسيكي. وكان شاعر البلاط الملكى الفرنسى فى عهد الملك شارل العاشر .

5 - نشيد رعاة: تعد "أناشيد الرعاة" من أشهر أعمال الشاعر الرومانى القديم الشهير "فيرجيل"، وتحدث النقاد عن معارضته للشاعر اليونانى "ثيوقريط" فى هذه الأشعار، وإن اختلف التوجه والدافع لدى كل منهما فى اتجاهه لحالة الرعاة البدائية والبعد عن حياة المدينة.

6 - فيرجيل: هو الشاعر الرومانى الشهير الذى عاش فى المئة عام الأخيرة قبل الميلاد؛ وعرف أكثر ما عرف برائعة "الإنيادة" تلك الملحمة الشعرية التى خالفت الشكل التقليدى للأبطال الملحميين، ببطلها الذى ظهر فى كثير من الأحيان ضعيفا مسلوب الإرادة تتلاعب به الأقدار.

فرصة للنجاح، لماذا كان يجب التخلص من ويل اليهودى أكثر من ماثيو النورماندى[1] أو أرزيل البريتونى[2]؟

لكى نفهم سخط زميل دراستي يجب أن نعى أنه تبنى مسبقا فكرة بعينها عن اليهودى، عن طبيعته وعن دوره فى المجتمع. يجب بداهة أن يكون قد أعطى أولوية فى إدارة حياته للتبرير القائم على العاطفة. بعيدا عن التجربة التى أنتجت فكرته عن اليهودى، كان هذا الأخير هو الذى برر له تجربته. إذا لم يوجد اليهودى، كان المعادى- للسامي قد اخترعه.

قد يكون الأمر كذلك، ذلك ما ستقوله[3]، لكن إذا وضعنا مسألة التجربة جانبا، ألن نعترف أن معاداة السامية تفسرها معطيات تاريخية محددة؟ لأنها علاوة على كل شئ لا تنبع من الفراغ. سيكون من السهل على الإجابة أن تاريخ فرنسا لا يخبرنا بشئ عن اليهود: لقد تم قمعهم تحديدا صعودا من عام 1789[4]؛ من وقتها قاموا بالمشاركة بأفضل ما يستطيعون فى حياة الأمة، مستفيدين، بطبيعة الحال، من حرية المنافسة لإزاحة الضعيف، لكن لا أكثر ولا أقل من بقية الفرنسيين. لم يقوموا بارتكاب جرائم ضد فرنسا، لم يتورطوا فى أية خيانة. وإذا ما اعتقد الناس أن هناك دليلا على أن عدد الجنود اليهود عام 1914 [إبان الحرب العالمية الأولى] كان أقل مما هو مفترض أن يكون عليه، فسيكون ذلك لأن شخصا ما لديه حب استطلاع لاستشارة الإحصائيات. هذا ليس أحد الحقائق التى لديها القوة لتضرب الخيال من تلقاء نفسها، ما كان جندي فى الخنادق بمبادرة خاصة منه ليشعر بالدهشة لعدم رؤية أي يهود فى القطاع الضيق الذى يشكل الكون الخاص به. ومع ذلك، طالما أن المعلومات التى يقدمها التاريخ عن دور إسرائيل[5] تعتمد جوهريا على المفهوم الذى يملكه الفرد للتاريخ، فأعتقد أنه من الأفضل استعارة مثال متجسد لـ "خيانة اليهود"

1 - نورماندى: نسبة إلى "Normandie" وهى منطقة جغرافية تقع فى شمال فرنسا.

2 - بريتون: نسبة إلى" Breton" منطقة فى فرنسا، حيث يعود أصل الكلمة إلى إحدى اللغات القديمة التى يتحدث بها بعض الأقلية الآن.

3 - أحيانا ما يستخدم المؤلف ذلك الأسلوب اللغوى للفت انتباه القارئ وكأنه يخاطبه.

4 - عام اندلاع الثورة الفرنسية.

5 - مفردة "إسرائيل" هنا يستخدمها المؤلف على طول الكتاب بعدة معانٍ وتأويلات تاريخية واجتماعية وسياسية، وكذلك صهيونية فى عدد من المواضع، تبين موقفه من إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين.

من بلد أجنبي ولكي ندرس الآثار التى قد تكون لتلك "الخيانة" على معادين معاصرين للسامية.

فى سياق الثورات البولندية الدموية فى القرن التاسع عشر، كان يهود وارسو[1]، الذين عاملهم القياصرة بالحسنى لأسباب سياسية، مفتقدين للحماسة بالنسبة للثوار. تمكنوا بعدم مشاركتهم فى العصيان المسلح من المحافظة على موقعهم وتحسينه فى بلد دمره القمع.

أنا لا أعرف ما إذا كان ذلك حقيقيا أو لا. المؤكد أن العديد من البولنديين يصدقونه، وأن هذه "الواقعة التاريخية" تسهم ليس بمجرد القليل فى المرارة التى عندهم تجاه اليهود. لكن إذا ما أتفحص الأمر عن كثب أكثر، أكتشف حلقة مفرغة: القياصرة، يتم إخبارنا، عاملوا اليهود البولنديين جيدا انطلاقا من أنهم رتبوا طواعية مذابح جماعية ضد اليهود فى روسيا. هذه السياقات المختلفة بحدة للأحداث ترجع للسبب نفسه. اعتبرت الحكومة الروسية اليهود فى كل من روسيا وبولندا غير متماثلين؛ وذلك وفقا لمتطلباتها السياسية، فقامت بذبحهم فى موسكو[2] وكييف[3] لأنهم مثلوا خطرا على الإمبراطورية الروسية، لكنها قامت بمحاباتهم فى وارسو كوسيلة لإثارة النزاع بين البولنديين، الذين لم يظهروا سوى الكراهية والازدراء ليهود بولندا، لكن السبب كان ذاته: لم تكن إسرائيل لتصبح بالنسبة لهم جزءا لا يتجزأ من القومية الجماعية. تم معاملتهم بوصفهم يهودا من القياصرة وبوصفهم يهودا من البولنديين، مزودين، رغما عن أنفسهم تماما، بمصالح يهودية فى وسط بلد أجنبي، هل هناك أي تعجب من تصرف أعضاء أقلية وفق التمثل[4] الذى جعلوا عليه؟

اختصارا، إن الشئ الجوهرى هنا ليس "واقعة تاريخية" لكنه الفكرة التى شكلتها لهم العوامل التاريخية عن اليهودى. عندما يضمر بولنديو اليوم استياء تجاه اليهود

---

1 - وارسو: عاصمة بولندا.

2 - موسكو: العاصمة الروسية.

3 - كييف: عاصمة أوكرانيا وأكبر مدنها.

4 - يتضح فى هذا المصطلح "تمثل" جانب مهم من تصور سارتر للمسألة اليهودية؛ فهو يرى أن الظروف هى التى وضعت اليهود فى موقف جبرى جعلهم يتمثلون ويجسدون الصفات التاريخية المعروفة لليهودى، دون أن يجعل لهم سارتر أى دخل أو ذنب فى تلك الشخصية وسماتها المشهورة عنها.

بسبب سلوكهم فى الماضى، هم يُدفعون له من خلال الفكرة نفسها. إذا كان المرء سيلوم أطفالا صغارا على خطايا أجدادهم، على المرء قبل أي شئ امتلاك مفهوم أصيل للغاية لما يشكل المسئولية. على المرء علاوة على ذلك، تشكيل تصوره للأطفال على أساس ما كان عليه الأجداد. على المرء تصديق أن ما فعله الأكبر سنا منهم يعنى أن الصغار قادرون على فعله. على المرء إقناع نفسه بأن الشخصية اليهودية موروثة. لذلك عامل بولنديو عام 1940[1] الإسرائيليين فى المجتمع بوصفهم يهودا، لأن أسلافهم فى عام 1848[2] فعلوا الشئ نفسه مع معاصريهم. ربما هذا التمثل التقليدي، فى ظل ظروف أخرى، قد يجعل اليهود يميلون اليوم للتصرف كأولئك من عام 1848. لذلك فإن الفكرة عن اليهودى التى يكونها المرء لنفسه تبدو أنها هى التى تحدد التاريخ، وليس "الواقعة التاريخية" هى التى تنتج الفكرة.

يحدثنا الناس أيضا عن "الوقائع الاجتماعية"، ولكن إذا نظرنا لها بتمعن أكثر سوف نجد الحلقة المفرغة نفسها. يوجد العديد من المحامين اليهود، يقول أحدهم. لكن هل هناك أي شكوى لوجود العديد من المحامين النورمانديين؟ حتى ولو كان كل البريتونيين أطباء هل كنا سنقول أي شئ أكثر من "بريتنى تمد كل فرنسا بالأطباء"؟ آه، سيجيب أحدهم، إن الأمر ليس متشابها تماما. بلا شك، لكن ذلك بالتحديد لأننا نأخذ النورمانديين فى اعتبارنا بوصفهم نورمانديين ونأخذ اليهود بوصفهم يهودا. لذلك يبدو أينما التفتنا نجد الفكرة عن اليهودى هى الشئ الجوهرى.

---

1 - 1940: فى هذا العام وبعد أن احتل الألمان بولندا عام 1939، قاموا فى عام 1940 بإنشاء حى يهودى (جيتو) فى مدينة "وارصوفيا" البولندية؛ وعلى الرغم من أنه كان يضم إلى جوار اليهود الغجر، إلا انه اشتهر بالحى اليهودى. ويشير المؤلف فى هذه النقطة لموقف البولنديين تجاه عملية ترحيل اليهود من مختلف المدن البولندية إلى هذه المدينة، حيث تقول الأحداث إن البولنديين كانوا يقفون على جانبى خط القطار الذى ينقل اليهود؛ لمنع أى منهم من الفرار وعدم الذهاب لمنطقة التجميع الألمانية الخاصة بهم وبالغجر.

2 - عام 1848: وهو عام الثورة البولندية الكبرى على السلطة البروسية؛ حيث كانت بروسيا – التى تحول أغلب إرثها التاريخى لألمانيا حاليا – تسيطر على مساحات شاسعة من أوربا آنذاك، وعمدت السلطات البروسية لسياسة تقييد ضد السكان البولنديين الأصليين خاصة فيما يتعلق بحيازة الأراضى، ولكنها منحت لليهود معاملة تفضيلية، مما جعل الأقلية اليهودية فى بولندا تعارض الثورة الشعبية وتقف ضد الانفصال عن بروسيا، وهو ما جعل البولنديين يتخذون مواقف معادية لليهود الذين وقفوا أمام ثورتهم.. ونلاحظ هنا محاولة "سارتر" المحيرة لتبرير موقف اليهود بأنه رد فعل للظروف الخارجية! وكأن اليهود لم يكن أمامهم الاختيار الأخلاقى والثورى بدعم أهل البلاد التى يعيشون بينها، فى محاولة غير منطقية من سارتر لإسقاط المسئولية عموما عن الشخصية اليهودية فى تاريخها العام.

لقد أصبح جليا أنه لا يستطيع عامل خارجي استثارة معاداة– السامية عند المعادى — للسامية. معادة — السامية هى اختيار حر وكامل للذات، الموقف الشامل الذى يتبناه المرء ليس تجاه اليهود فقط، لكن تجاه البشر عامة، تجاه التاريخ والمجتمع؛ هو على السواء وفى الوقت نفسه عاطفة ومفهوم للعالم. بلا شك فى حالة معادٍ – للسامية معين ستكون بعض السمات ملحوظة عما هى فى حالة أخرى. لكنها جميعا تكون موجدة وفى الوقت نفسه، وتؤثر على بعضها بعضا. حاصل الجمع التوفيقي هذا هو ما يجب علينا الآن محاولة وصفه.

أشرت سابقا إلى أن معاداة — السامية هى عاطفة. يدرك الجميع أن مشاعر الكراهية أو الغضب ضالعة فى الأمر، لكن الطبيعي أن الكراهية والغضب لها مثير: أكره شخصا ما جعلني أعانى، شخص ما يدينني أو يهينني. ولقد شهدنا للتو أن العاطفة المعادية للسامية لم يكن لها مثل هذه السمة. إنها تستبق الوقائع المفترض أن تستدعيها فصاعداً؛ تبحث عنهم لكى تغذى نفسها عليهم؛ إنها يجب حتى أن تفسرهم بطريقة معينة حتى يصبحوا فعلا عدوانيين. بالفعل، إذا ما حدث وذكرت يهوديا لمعادٍ– للسامي، سوف يظهر كل علامات الهياج الشديد. إذا ما كنا نتذكر فإنه يجب علينا دائما تقبل الغضب قبل أن يتمكن من تجسيد نفسه وهكذا، كما هو محدد بدقة فى المصطلح الفرنسي، نحن "نلقى بأنفسنا" داخل الغضب، سيكون لزاما علينا الاتفاق أن المعادى — للسامي قد اختار العيش على مستوى العاطفة. ليس مخالفا للمألوف عند الناس أن ينتخبوا عيش حياة العاطفة بدلا من حياة المنطق. لكن بشكل طبيعي يحبون غايات العاطفة: المرأة، المجد، السلطة، المال. بما أن المعادى — للسامي قد اختار الكراهية، فنحن مجبورون على استخلاص أن حالة العاطفة هى ما يحب. من العادى أن هذا النوع من الانفعال ليس مبهجا للغاية: الرجل الذى يرغب فى امرأة بعاطفية يكون ملتهب العواطف؛ بسبب المرأة، وعلى الرغم من عاطفته. نحن قلقون من المنطق المبنى على العاطفة، الباحث عن دعم آراء أملاها الحب أو الغيرة أو الكراهية بشتى الطرق. نحن قلقون بشأن انحراف العاطفة وبشأن ما يسمى أحادية– التركز الفكري. لكن ذلك بالضبط هو ما اختاره المعادى — للسامي مباشرة.

كيف يمكن للمرء اختيار أن يمنطق بشكل زائف؟ ذلك بسبب تطلعه لعدم القابلية للاختراق. الرجل العقلاني يئن بينما يتلمس الطريق للحقيقة؛ هو يعرف أن منطقه تجريبي، أن اعتبارات أخرى قد تقع لتلقى بالشك حوله. لا يرى أبدا بوضوح تام إلى أين هو متجه؛ هو "منفتح"؛ ربما حتى قد يبدو مترددا. لكن هناك أناس تجذبهم متانة حجر. يريدون أن يكونوا ضخاما وغير قابلين للاختراق؛ لا يرغبون فى التغير. إلى أين، فى الواقع، سيأخذهم التغيير؟ لدينا هنا خوف أساسى من الذات ومن الحقيقة. الذى يخيفهم ليس محتوى الحقيقة، التى لا يملكون لها مفهوما، لكنه شكل الحقيقة نفسه، ذلك الشئ من القيم التقديرية غير المحددة. إنه كما لو كان وجودهم الخاص فى حالة إيقاف متواصل عن العمل. لكنهم يرغبون فى الوجود دفعة واحدة وعلى الفور. لا يريدون أية آراء مكتسبة؛ يريدونهم أن يكونوا بالفطرة. بما أنهم خائفون من المنطق، يرغبون فى شغل نمط الحياة التى يلعب فيها المنطق والبحث مجرد دور ثانوي، حيث ينشد المرء فقط ما كان موجودا مسبقا، حيث يكون المرء فقط ما كان عليه مسبقا. ليس هذا شيئا سوى العاطفة. يمكن لتحيز انفعالي قوى فقط أن ينتج برقا مثل اليقين؛ هو وحده يمكن أن يكبح المنطق؛ هو وحده يمكن أن يظل منيعا إزاء التجربة ويدوم طوال العمر.

لقد اختار المعادى-للسامي الكراهية لأن الكراهية عقيدة؛ من البداية قد اختار التقليل من قيمة الكلمات والحجج. وكيف يشعر باطمئنان كامل كنتيجة لذلك. لأي حد تبدو له تافهة وعبثية المناقشات حول حقوق اليهود. لقد وضع نفسه على أرضية أخرى من البداية. إذا بدافع الفضول يقبل لوهلة الدفاع عن وجهة نظره، هو يعيرك ذاته لكنه لا يعطيك إياها. هو يحاول ببساطة إبراز بديهية يقينه على مستوى الخطاب. لقد ذكرت منذ لحظات مضت بعض ملاحظات المعادين للسامية، كلها سخيفة: " أنا أكره اليهود لأنهم يجعلون الخدم عصاة، لأن عامل فراء يهودي سرقني، الخ". لا تصدق أبدا أن المعادين للسامية غير واعيين تماما لسخافة ردودهم. هم يعلمون أن ملاحظاتهم تافهة، عرضة للتحدي. لكنهم يسلون أنفسهم، لأن خصمهم هو المجبر على استخدام الكلمات بمسئولية، بما أنه يؤمن بالكلمات. يملك المعادون للسامية حق الرد. حتى إنهم يحبون اللعب بالخطاب لأنهم، عبر إعطاء

مبررات سخيفة، يشوهون جدية محاوريهم. هم يبتهجون فى التعامل باعتقاد ردئ، طالما لا يسعون للإقناع بالحجة السلمية إنما للتهديد وللإرباك. إذا ضغطت عليهم بإحكام شديد، سيخرسون فجأة، مشيرين ببعض العبارات فى غطرسة لأن وقت المجادلة انتهى. ذلك لأنهم ليسوا خائفين من أن يتم إقناعهم. يخافون فقط أن يبدو سخفاء أو أن يضر إحراجهم فى أملهم بكسب شخص ثالث لجانبهم.

لو إذن ، كما تمكنا من الملاحظة، كان المعادى للسامية محصنا ضد المنطق والتجربة، فإن ذلك ليس بسبب قناعته القوية. الأحرى أن قناعته قوية لأنه اختار بداية وقبل أي شئ أن يكون حصينا.

لقد اختار أيضا أن يكون تهديديا. يخاف الناس من إثارته. لا أحد يعرف لأي مدى سيأخذه انحراف عاطفته- لكنه يعرف، لأن عاطفته ليست مستثارة عن طريق شئ خارجي. هو يسيطر على الأمر بيده؛ إنه طوع لإرادته: الآن يطلق عنان اللجام والآن يسحبه للوراء. إنه لا يخاف من ذاته، لكنه يرى فى عيون الآخرين صورة قلقه — صورته هو- ويجعل كلماته وإيماءاته تؤكدها. بامتلاك هذا النموذج الخارجي، هو ليس فى حاجة للبحث عن شخصيته داخل ذاته. لقد اختار أن يجد وجوده خارج ذاته كلية، دون أن يبحث فى الداخل أبدا، ألا يكون شيئا باستثناء الخوف الذى يثيره فى الآخرين.

الذى يشعر به حتى أكثر من المنطق هو وعيه الحميمى بذاته. لكن شخصا ما سيعترض: ماذا لو أنه على مثل هذه الحالة فقط فيما يخص اليهود؟ ماذا لو أنه بخلاف ذلك يتصرف مع ذاته بحس جيد؟ أرد بأن ذلك مستحيل. هناك حالة لتاجر سمك ، فى عام 1942[1]، تضايق من منافسة اثنين من تجار السمك اليهود كانا يخفيان عرقهما، وفى يوم جميل أخذ قلما فى يده وانتقدهما علانية. لقد تم التأكيد عليَّ بأن تاجر السمك هذا كان فى جوانب أخرى إنسان لطيف وبشوش، أفضل الأبناء.

---

1 - 1942: فى هذا العام كان الاحتلال النازى فى فرنسا يقوم بإلقاء القبض على اليهود والغجر ويرحلهم لمعسكرات الاعتقال الجماعية خصوصا لمعسكر "أوشفيتس" الشهير فى بولندا؛ فكان بعض اليهود يلجنون لإخفاء هويتهم، وربما المقصود هنا أن التاجر الفرنسى بسبب طمعه وضيقه من المنافسة معها، قام بانتقادهما علانية ليكشف هويتهما أمام الجميع وأمام سلطات الاحتلال الألمانى ليتم إلقاء القبض عليهما، على الرغم من علمه باحتمال تعرضهما للقتل.. لا لهدف سوى أن يزيحهما من طريق منافسته التجارية معه فى بيع السمك.

لكنني لم أصدق ذلك. الإنسان الذى يجد أنه من الطبيعي تماما انتقاد أناس آخرين لا يمكن أن يمتلك مفهومنا للإنسانية؛ هو حتى لا يرى الذين أصيبوا بالإيدز تحت الضوء نفسه الذى نراهم به. كرمه وطيبته لا تشبه طيبتنا، ولا كرمنا. لا يمكنك أن تحصر العاطفة فى نطاق واحد.

يعترف المعادى- للسامية عن طيب خاطر بأن اليهودى ذكى ومجتهد فى عمله؛ سيقر حتى بأنه الأدنى فى هذه الجوانب. هذا التنازل لا يكلفه شيئا، لأنه ، إذا جاز القول، وضع هاتين الصفتين بين أقواس اعتراضية. أو بالأحرى أنهما يستمدان قيمتهما من الشخص الذى يمتلكهما: كلما زادت الفضائل التى يملكها اليهودى زادت خطورته. لا تساور المعادى- للسامية أية أوهام بخصوص طبيعته، فهو يعتبر نفسه رجلا عاديا، عادى بتواضع، بشكل أساسي تحت المتوسط. لا يوجد مثال لمعادين للسامي يدَّعون التفوق الفردي على اليهود. لكنك يجب ألا تعتقد أنه خجلان من كونه دون المتوسط؛ هو يستمتع بها؛ بل حتى سأؤكد أنه اختارها. هذا الإنسان يخاف كل أنواع التفرد، تلك الخاصة بالعبقري بنفس قدر تلك التى للقاتل؛ هو إنسان الحشود. أيا كانت مكانته ضئيلة، يأخذ كل تدبير احتياطي لجعلها أكثر ضآلة، خشية أن يبرز من بين القطيع ويجد نفسه وجها لوجه مع ذاته. لقد جعل من نفسه معاديا للسامية لأن ذلك أمر لا يمكن للمرء أن يكون وحيدا فيه. الجملة، "أنا أكره اليهود" هى جملة تقال مع الجوقة؛ فى نطقها، يلحق المرء نفسه بتقليد وبمجتمع — تقليد ومجتمع ما دون المتوسط.

يجب أن نتذكر أن الإنسان ليس بالضرورة متواضعا أو بسيطا لأنه رضي بمستوى ما دون المتوسط. على العكس، يوجد كبرياء عاطفي بين من دون المتوسط، ومعاداة- السامية هى محاولة لإضفاء قيمة على المستوى دون المتوسط على هذا النحو، لخلق نخبة من العادي. بالنسبة للمعادى- للسامى، الذكاء هو يهودى؛ وبالتالي يمكنه ازدراؤه بكل هدوء، مثل كل الفضائل الأخرى التى يمتلكها اليهودى. هناك بدائل عديدة أخرى تشير إلى أن اليهودى يتنامى فى موقع ذلك المستوى ما دون المتوسط المتوازن الذى لن يملكه أبدا. الفرنسى الحقيقى، متجذر فى مقاطعته، فى بلده، ولد بمحاذاة عُرْفٍ عمره عشرون قرنا، مستفيدا من حكمة سلفية، ترشده العادات المجربة،

لا يحتاج الذكاء. تعتمد فضيلته على المشابهة للسمات التى أعارها عمل مئة جيل للأشياء المحيطة به؛ تعتمد على الملكية الخاصة. هى تستمر دون التصريح بأنها مسألة تتعلق بملكية خاصة مورثة، وليست ملكية خاصة يشتريها الفرد. المعادى- للسامي لديه عدم إدراك أساسي للملكية الخاصة الحديثة: المال، الأوراق المالية، الخ. تلك تعبيرات تجريدية، كيانات للمنطق مرتبطة بالذكاء المجرد للسامي. السند المالي لا يخص أحدا لأنه يمكن أن يخص الجميع؛ علاوة على ذلك، إنه رمز للثروة، وليس ملكية ملموسة. يمكن أن يقتنع المعادى-للسامية فقط بنوع من الملكية البدائية للأرض مبنية على علاقة حقيقة سحرية، والتى من خلالها يتوحد الشئ الممتلك والمالك برابطة من المشاركة الروحية؛ إنه شاعر الملكية الحقيقة. ذلك يغير مظهر المالك ويهبه إحساسا خاصا وملموسا. للتأكيد، تتجاهل هذه الحساسية الحقائق الأبدية أو القيم العالمية: العالمي هو يهودى، طالما أنها مسألة ذكاء.

الذى يمسك به حسه البارع هو بالضبط ما لا يدركه الذكاء. لأقولها بطريقة أخرى، المبدأ المحدد لمعاداة- السامية هو أن الامتلاك الملموس لشئ ما يعطى ولو عبر السحر معنى ذلك الشئ. قال موريس الشئ نفس عندما صرح بأن يهوديا لن يكون قادر للأبد على فهم هذه السطر لـ راسين[1]: فى الصحراء الشرقية، التى أصبحت سأمى.

لكن الطريق مفتوح لي، لجعلي على مستوى ما دون المتوسط، لفهم الأكثر براعة، الذى لم يستطع أكثر الذكاء نموا الإمساك به. لماذا؟ لأننى أمتلك راسين- راسين وبلدي وأرضى. ربما يتحدث اليهودى فرنسية أوضح مما أفعل، ربما يعرف تركيب الجملة والقواعد أفضل، ربما حتى يكون كاتبا. لا يهم، لقد تحدث هذه اللغة لمدة عشرين عاما فقط، وأنا منذ ألف عام. صحة هذا الأسلوب نظرية، مكتسبة؛ أخطائي فى الفرنسية متماشية مع عبقرية اللغة. نتعرف هنا المنطق الذى استخدمه بيرس فى مواجهة حملة المنح الدراسية. لا يوجد مجال للدهشة. ألا يأخذ اليهود كل

---

1 - راسين: جان راسين هو شاعر وكاتب مسرحي فرنسي، يعد أحد أشهر كتاب المسرح فى الأدب الفرنسى، ولد فى القرن السابع عشر عام 1639، اعتمد قوام مسرحه على التراجيديا التى تسبر غور النفس البشرية وتغور فى دواخلها السيكولوجية، أشهر مسرحياته هى: فيدرا. أما الاقتباس الذى أورده المؤلف فهو من مسرحيته "بيرنيس" التى تدور بشكل رئيسى حول حب الملكة اليهودية بيرنس والإمبراطور الرومانى تيتوس.

المنح الدراسية؟ كل هذا الذكاء، كل الذى يمكن للمال اكتسابه- يتركه المرء لهم، لكنه خواء كالريح. الأشياء التى تحتسب فقط هى القيم غير العقلانية، وتحديدا هذه الأشياء هى التى يرفضها اليهود باستمرار. وهكذا يأخذ المعادى للسامية موقفه منذ البداية على أرضية اللاعقلانية. هو معارض لليهودي، تماما مثل معارضة الوجدان للذكاء، المحدد للعالمي، الماضى للحاضر، الملموس للمجرد، الممتلك للملكية الحقيقة لمالك الأوراق المالية المتداولة.

إلى جانب هذا، ينتمى معادون كثر للسامية – ربما الأغلبية- إلى الطبقة الوسطي الدنيا للمدن؛ هم موظفون، عمال مكاتب، رجال أعمال صغار، لا يمتلكون شيئا. إنه من خلال وضع أنفسهم فى معارضة لليهودي يصبحون فجأة واعين لكونهم ملاكا: من خلال تقديم اليهودى بوصفه سارقا، يضعون أنفسهم الموضع الذى تحسد عليه الناس التى يمكن أن تسرق. طالما أن اليهودى يتمنى أن يأخذ فرنسا منهم، يستتبع ذلك أن فرنسا يجب أن تكون ملكهم. لذلك قد اختاروا معاداة – السامية بوصفها وسيلة لتأسيس وضعهم كملاك. يملك اليهودى نقودا أكثر منهم؟ كثير جدا فالأفضل: النقود يهودية، ويمكنهم أن يحتقروها مثلما يحتقرون الذكاء. يملكون أقل من المزارع–النبيل من بريجور[1] أو المزارع الشائع من بواسيه[2]؟ لا يهم. كل ما يجب عليهم فعله هو تغذية غضب انتقامى ضد لصوص إسرائيل[3] ليشعروا فورا بامتلاك البلد بكامله. الفرنسيون الحقيقيون، الفرنسيون الطيبون جميعهم متساوون، لأن كلا منهم يمتلك وحده فرنسا بكاملها وغير قابلة للتجزئة.

لذا قد أسمى معاداة- السامية عنجرفة إنسان فقير. وفى الواقع قد يبدو أن الأغنياء على الأغلب يستغلون هذه العاطفة لاستخداماتهم الخاصة بدلا من أن يتركوا أنفسهم لها – لديهم أشياء أفضل يفعلونها. إنه ذائع بشكل أساسي بين الطبقات

---

1 - بريجور: منطقة تقع فى جنوب غرب فرنسا Périgord تشتهر بكونها منطقة طبيعية تزدان بالأودية الخصبة التى تزخر بالمزارع.

2 - بواسيه: منطقة فى شمال فرنسا *Beauce*، تعرف بكونها منطقة زراعية طبيعية، وتقع ما بين نهرى: السين واللوار.

3 - نلاحظ خلط المؤلف المستمر بين اليهود وموقفهم فى فرنسا؛ وبين استخدامه هنا لمفردة "إسرائيل" فى دلالة توحى بأن المضطهد هو "إسرائيل" الكيان الصهيونى الذى كان مزمع إنشاؤه إبان كتابة هذا النص فى الأربعينيات قبل عام 1948.

الوسطي، لأنهم لا يملكون أرضا ولا منزلا، ولا قلعة، يمتلكون فقط بعض النقود المتوفرة وبعض الأوراق المالية فى البنك. لم يكن عن طريق الصدفة أن البرجوازية الصغيرة الألمانية كانت معادية للسامية فى عام 1925[1]. الاهتمام الرئيسي لهذه "البلوريتاريا بيضاء-اللون"[2] كان أن تميز نفسها عن البلوريتاريا الحقيقة. مدمرة من قبل الصناعة الكبرى، مخدوعة من العائلات الألمانية الإقطاعية(يونكر[3])، دون أن تمثل شيئا لتلك العائلات الكبيرة ولرجال الصناعة الكبار لأن قلبها كله قد خبا. لقد أيدت معاداة السامية بالحماس نفسه الذى أيدت به ارتداء زى بورجوازى: لأن العمال كانوا أميين، لأن العائلات الكبرى قد امتلكت ألمانيا وهم قد تمنوا امتلاكها أيضا. معاداة السامية ليس مجرد متعة الكراهية؛ هى تعطى متعا إيجابية أيضا. من خلال معاملة اليهودى باعتباره مخلوقا دونيا وهداما، وأؤكد فى الوقت نفسه أنني أنتمي للنخبة. هذه النخبة، على نقيض مع تلك التى فى العصور الحديثة والتى ترتكز على الجدارة أو العمل، تشابه إلى حد ما أرستقراطية المولد. لا يجب عليَّ فعل شئ لأستحق تفوقي، ولا أستطيع فقده كذلك. إنه يعطى مرة واحدة وللأبد. إنه شئ.

يجب ألا نخلط الجدارة الفردية بهذه الأولوية التى يتمتع بها المعادى — للسامية بسبب مبادئه. المعادى للسامية ليس مهموما للغاية بامتلاك جدارة فردية. يجب أن تنشد الجدارة، تماما مثل الحقيقة؛ إنها تكتشف بصعوبة؛ يجب على المرء أن يستحقها. ما أن تكتسب، تكون فى تساؤل دائم، خطوة خاطئة، خطأ، وتطير بعيدا. بدون فترة راحة، منذ بداية حياتنا وحتى النهاية، نحن مسئولون عن مدى الجدارة التى نتمتع بها. الآن يتجنب المعادى للسامية المسئولية كما يتجنب وعيه الخاص، ويختار لشخصيته صيرورة الصخرة، يختار لأخلاقه مستوى من القيم المتحجرة. أيا كان ما يفعله، يعلم أنه سوف يبقى على قمة السلم؛ أيا كان ما يفعله اليهودى، لن يصل لارتفاع أعلى من أول درجة.

---

1 - 1925: فى عشرينيات القرن العشرين غذى إفلاس الطبقة المتوسطة الألمانية و صغار الفلاحين الناتج عن التضخم الجامح: الكراهية بين الشعب الألمانى و اليهود؛ لشغل اليهود عددا كبيرا من مهن الطبقة الوسطى آنذاك، كما أنه منذ 1920 قررت الشركات الألمانية الطلابية التي تسمى "Burschenschaften" عدم قبول أي عضو يهودى او من أصول يهودية و كان يعاقب أي عضو بتزوج من اليهود.

2 - يقصد المؤلف هنا ببيضاء اللون أى: العنصرية.

3 - يونكر: لقب كان يطلق على الإقطاعيين الأثرياء فى مقاطعة بروسيا أبرز المقاطعات الألمانية قديما.

نبدأ فى إدراك معنى اختيار المعادى للسامية لذاته. هو يختار المتعذر علاجه بدافع الخوف من أن يكون حرا؛ هو يختار مستوى ما دون المتوسط بدافع الخوف من أن يكون وحيدا، وبدافع الكبرياء يجعل من مستواه ما دون المتوسط المتعذر العلاج أرستقراطية صلبة. تحقيقا لهذه الغاية يجد وجود اليهودى ضرورة قطعية، وإلا على من سيكون هو متفوقا؟ فى الواقع، إنه وجه لوجه مع اليهودى ومع اليهودى فقط يدرك المعادى للسامية أن له حقوقا. إذ من خلال معجزة ما تم إبادة كل اليهود كما يتمنى، لن يجد نفسه شيئا سوى بواب أو صاحب متجر فى مجتمع شديد الهرمية (الهيراركية) حيث نوعية "الفرنسي الحقيقي" ستكون ذات قيمة منخفضة، لأن الجميع سيمتلكونها. قد يفقد إحساسه بحقوقه فى وطنه لأنه لن يعود هناك من ينازعه فيها، وقد تختفي فجأة تلك المساواة العميقة التى تقربه من الرجل-النبيل ورجل الثروة، لأنها سلبية بشكل مبدئي. إحباطاته، التى نسبها للمنافسة غير الشريفة مع اليهودى، يجب أن تلصق تهمتها لسبب آخر، مخافة أن يجبر على النظر داخل ذاته. سيأخذ المخاطرة بالسقوط فى المرارة، فى الضغينة السوداوية للطبقات المميزة. لذلك يكون المعادى للسامي فى الموضع غير السعيد للحاجة الضرورية للعدو ذاته الذى يتمنى أن يدمره.

المساواة التى يبحث عنها المعادى للسامي بالكثير من الحماسة لا تملك شيئا مشتركا مع ذلك التساوى الموصوف فى مذهب الديمقراطية. يجب أن تتحقق الثانية فى مجتمع هرمي الاقتصاد، وأن تظل متوافقة مع وظائف متعددة. لكنها تتعارض مع هرمية الوظائف لأن المعادى للسامية يؤكد على مساواة الآريين[1]. لا يفهم شيئا عن تقسيم العمل ولا يعيره بالا. من وجهة نظره يمكن لكل مواطن أن يطالب بلقب فرنسي. رجل ، ليس لأنه يتعاون، فى مكانه أو فى مهنته، مع آخرين فى الحياة الاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية للأمة، إنما لأنه يملك، مثل كل الآخرين، حقا بالتقادم وبالميلاد فى عموم البلاد غير القابلة للتجزئة. لذلك المجتمع الذى يتخيله

---

1 - الآريون: الجنس الآرى فكرة للتفوق العنصرى سادت أوربا أواخر القرن التاسع عشر وبدايات العشرين؛ وبلغت أشدها فى العهد النازى، وتعتمد على فكرة التفوق العرقى والعنصرى للأقوام الأصلية التى تتحدث اللغات الهندية الأوروبية.. وعل فكرة أو مصطلح معاداة السامية؛ يحمل بعدا يعود فى جذوره المعرفية والتاريخية لحالة الرد فعل من يهود أوربا تجاه فكرة تفوق العرق الآرى ولغاته الهندأوروبية التى رفعتها أوربا فى وجههم، ومن ثم اعتبروا أن أوربا تعاديهم من خلال الفكرة نفسها، على اعتبار أن السامية فى الفكر الغربى واليهودى هى لغة أم تفرع منها مجموعة من اللغات من بينها العبرية التى تحدث بها اليهود.

المعادى للسامي هو مجتمع التجاور، كما يمكن للمرء أن يتخيل جيدا، بما أن مثله الأعلى للملكية هو الملكية الحقيقية والأساسية. إذن، فى الواقع، المعادون للسامية كثيرون، كل منهم يقوم بدوره فى تأسيس مجتمع قائم على التضامن الآلي فى قلب مجتمع منظم.

إن درجة توحد كل معادى للسامي مع مجتمعه، تماما مثل درجة مساواته، يحددها ما سأسميه درجة حرارة الجماعة. أوضح بروست[1]، على سبيل المثال، كيف جعلت معاداة – السامية الدوق أكثر تقاربا مع سائق عربته، كيف، بفضل كراهيتهم لـ درايفوس[2]،اقتحمت العائلات البرجوازية أبواب الأرستقراطية. المجتمع المتساوي الذى يؤمن به المعادى للسامية تشكله الغوغاء أو تلك المجتمعات التى تظهر للوجود عند إجراء إعدام بلا محاكمة أو أثناء فضيحة. المساواة فيهم هى نتاج لـ عدم–التمايز فى الوظائف. الرابطة الاجتماعية هى الغضب؛ لا تملك الجماعية هدفا غير أن تمارس على بعض الأفراد عقوبة قمعية منتشرة. الاندفاعات الجماعية والأنماط المقولبة تفرض على الأفراد بكل قوة ممكنة لأنه لا يتم الدفاع عن أي منهم عبر وظيفة محددة. وهكذا يغرق الشخص فى الزحام، وتكون طرق التفكير والتفاعل للمجموع من النوعية البدائية الخالصة. بالطبع، مثل هذه الجماعية لا تنبع فحسب من معاداة السامية؛ انتفاضة، جريمة، يمكن لظلم أن يتسبب فى اندلاعها فجأة. لكن تلك تشكلات عابرة سرعان ما تختفي دون أن تترك أي أثر.

بما أن معاداة – السامية نجت من أزمات كراهية–اليهود الكبرى، لذا يبقى المجتمع الذى يشكله المعادون – للسامية فى حالة كمون فى الفترات العادية، مع احتفال كل معادٍ– للسامي بوجوده. غير قادر عن فهم المنظمات الاجتماعية

1 - بروست: مارسيل بروست Marcel Proust؛ 10 يوليو 1871 - 18 نوفمبر 1922) روائي فرنسي عاش في أواخر القرن 19 وأوائل القرن 20 في باريس، من أبرز أعماله سلسلة روايات البحث عن الزمن المفقود.

2 - درايفوس: هى القضية الشهيرة التى اتهم فيها الضابط الفرنسى ألفريد درايفوس اليهودى الديانة؛ بالخيانة والتجسس لحساب الألمان عام 1894 وتمت إدانته فيها، وجعلت المجتمع الفرنسى ينقسم من خلالها لفريقين مع درايفوس أو مع اليهود ضمنا أو ضده وضد اليهود.. وبعد سجنه بفترة طويلة ظهرت براءة الضابط اليهودى لتثبت تحامل القضاء الفرنسى عليه، وتتحول القضية لرمز للظلم فى فرنسا والأخطاء القضائية التى ترتكب باسم الوطنية، وألقت الضوء على دور الصحافة والرأى العام فى تحقيق العدالة، كما تم توظيفها فى سياق خاص يتعلق بمعاداة السامية.

الحديثة، لديه حنين لأوقات الأزمات التى من خلالها يعود المجتمع البدائي للظهور ويحصل لدرجة حرارة انصهاره. يرغب أن تنصهر شخصيته فجأة داخل المجموع وأن تثار حماسته عبر السيل الجماعي. لديه هذا المناخ العام لبرنامج فى الذهن عندما يؤكد "وحدة كل الفرنسيين". بهذا المعنى معاداة السامية هى، فى الديمقراطية، شكل سرى لما يسمى نضال المواطن ضد السلطة. اسأل أيا من أولئك الشباب المشاغبين الذين يكسرون القانون برباطة جأش ويتحدون لضرب يهودي فى شارع مهجور: سيخبرك أنه يريد سلطة قوية لتزيل عن كاهله المسئولية الساحقة للتفكير فى ذاته. بما أن الجمهورية ضعيفة، يتم دفعه لكسر القانون بدافع حب الطاعة. لكن هل حقا هى السلطة القوية ما يتمنى؟ فى الحقيقة هو يطالب بنظام صارم للآخرين، ولنفسه دون مسئولية. يتمنى أن يجعل نفسه فوق القانون، وفى الوقت نفسه يهرب من وعيه بحريته وعزلته. هو من أجل ذلك يستفيد من حيلة: يشارك اليهود فى الانتخابات؛ يوجد يهود فى الحكومة؛ لذلك فسدت السلطة الشرعية على مستوى قاعدتها. فى واقع الأمر، هى لم تعد موجودة، لذا يكون تجاهل أحكامها شرعيا. وبالتالي لا يوجد عصيان- لا يمكن للمرء أن يعصى ما هو غير موجود. لذلك بالنسبة لمعادى — السامى توجد فرنسا حقيقة بحكومة حقيقية إنما هى شائعة ودون أعضاء محددة، وهى فرنسا نظرية، رسمية، يهودية النزعة، يكون اللائق فى مواجهتها أن تتمرد.

من الطبيعي أن يكون هذا التمرد الدائم من فعل جماعة؛ لا يجرؤ المعادى- للسامي تحت أي ظرف أن يفكر أو يتصرف من تلقاء نفسه. والجماعة ستكون غير قادرة على تصور نفسها بوصفها حزب أقلية، لأن حزب أقلية سيكون مجبرا على ابتكار برنامج وتحديد خط لحركته السياسية، والتى تشير كلها ضمنا للمبادرة، المسئولية، والحرية. لا ترغب الجمعيات المعادية- للسامية فى اختراع أي شئ؛ يرفضون تحمل المسئولية؛ سيصابون بالرعب إزاء تقديم أنفسهم باعتبارهم جزءا محددا من رأى فرنسي، لأنهم حينها سيضطرون لرسم برنامج ويسعون لوسائل شرعية للحركة. يفضلون تقديم أنفسهم كما يعبرون بكل نقاء، بكل سلبية، الوجدان الحقيقي للبلاد فى حالته غير القابلة للتجزئة.

لذا فمعادى السامي يكون، بدرجة متفاوتة، عدو السلطة القائمة. يود أن يكون العضو المنضبط فى جماعة غير منضبطة؛ يعشق النظام، لكن نظام اجتماعي. يمكن القول إنه يتمنى إثارة فوضى سياسية فى سبيل استعادة النظام الاجتماعي، النظام الاجتماعي فى نظره أن تكون مجتمعا، عبر فضيلة التجاور، ينادى بالمساواة والبدائية، مجتمعا بدرجة حرارة مرتفعة، مجتمعا يستثنى فيه اليهود. تمكنه هذه المبادئ من الاستمتاع بنوع غريب من الاستقلالية، التى أستطيع أن أسميها حرية معكوسة. تتحمل الحرية الأصلية المسئوليات، وحرية المعادى- للسامي تنبع من حقيقة انه يتهرب من كل مسئولياته. عائما ما بين مجتمع سلطوي لم يوجد بعد ومجتمع رسمي ومتسامح يتنصل منه، يمكن أن يفعل أي شئ يحلو له دون أن يبدو فوضويا، والذى قد يصيبه بالرعب. الجدية العميقة لأهدافه – تسمح له بعبثية معينة. هو همجى، يضرب الناس، يجادل، يسرق؛ كله فى سبيل قضية جيدة. إذا كانت الحكومة قوية، تذبل معاداة-السامية، إلا إذا كانت جزءا من برنامج الحكومة نفسها، بأي طريقة تغير فيها من طبيعتها. عدو اليهود، المعادى –للسامية عنده حاجة لهم. معادى-الديمقراطية، هو نتاج طبيعي للديمقراطية ويمكن أن يظهر نفسه داخل نطاق الجمهورية.

نبدأ فى إدراك أن معادة السامية أكثر من مجرد "رأى" بخصوص اليهود، لأنها تتعلق بشخصية المعادى- للسامى كلها. لكننا لم ننته منه بعد، لأنه لا يحصر نفسه فى تقديم الأثاث لتوجيهات أخلاقية وسياسية ، هو يملك منهج تفكير ومفهوما للعالم خاصا به تماما. فى الواقع، لا نستطيع القول ما الذى يؤكد عليه دون إشارة ضمنية لمبادئ ثقافية بعينها.

اليهودى، هو يقول، سئ تماما، يهودي تماما. فضائله، إذا كانت عنده أيٌّ منها، تتحول إلى رذائل بسبب حقيقة أنهم يمثلون: عمله الناتج عن يديه اللتين تحملان بالضرورة وصمته. إذا شيد جسرا، هذا الجسر، بكونه يهوديا، فهو [الجسر] سيىء من أول لآخر شبر. الفعل نفسه الذى ينفذه يهودي ومسيحي لا يأخذ المعنى نفسه فى الحالتين، لأن اليهودى يلوث كل ما يلمسه عبر أنا-أعرف-رغما-الذى هو جودة ملعونة. أول شئ فعله الألمان كان منع اليهود من الدخول لحمامات السباحة؛ بد

لهم الأمر أنه إذا تم غطس جسد إسرائيلي فى ذلك الجسد المحدود للماء، فإن الماء قد يتلوث كلية. يتحدثون بصرامة، يسمم اليهودى حتى الهواء الذى يتنفسه.

إذا ما حاولنا أن نُكَوِّن – فى سياق نظرى – المبدأ الذى ينشده المعادى للسامية، فسيصل الأمر إلى التالي: المجموع هو أكثر من حاصل جمع أجزائه ومغاير لها؛ المجموع يحدد المعنى والشخصية الضمنية للأجزاء التى تكونه. لا توجد للشجاعة فضيلة واحدة تدخل بحيادية إلى شخصية يهودية أو شخصية مسيحية بالطريقة التى يندمج بها الأوكسجين بحيادية مع النيتروجين والأرجون ليكون الهواء ومع الهيدروجين ليكون الماء. كل شخص هو كلية غير قابلة للتجزئة والتى تملك الشجاعة الخاصة بها، كرمها، طريقتها فى التفكير، الضحك، الشرب، والأكل.

ما الذى يوجد لقوله، عدا أن المعادى- للسامي اختار الارتداد لروح التركيبية فى سبيل أن يفهم العالم. إنها روح التركيبية التى تسمح له بأن يتخيل ذاته مشكلا وحدة سرمدية مع فرنسا بالكامل. إنه باسم هذه الروح ينتقد علانية الذكاء التحليلي والنقدي الخالص لليهود. ولكن يجب علينا أن نكون أكثر دقة. لمدة معينة، فى اليمين وفى اليسار، بين التقليديين وبين الاشتراكيين، كان السائد اللجوء المبادئ التركيبية باعتبارها ضد الروح التحليلية التى تصدرت مؤسسة البرجوازية الديمقراطية. لا يمكن للآن القول إن كلا الطرفين يتصرف وفق المبادئ نفسها، أو، إذا كانوا كذلك، فهم بالتأكيد يستخدمونها استخداما مختلفا. ما الفائدة التى يجنيها المعادى- للسامي من تلك المبادئ؟ نجد بشق الأنفس أي معادٍ — للسامية وسط العمال.

من السخف الإجابة عن هذا بأن ذلك لأنه لا يوجد يهود بين فئاتهم الاجتماعية. افترض أن هذا الوضع المزعوم حقيقة، فإن ذلك بالضبط ما قد يتذمرون منه. عرف النازيون ذلك جيدا، لأنهم عندما أرادوا مد دعايتهم للبلوريتاريا؛ أطلقوا شعار "الرأسمالية اليهودية". تفكر الطبقات العاملة، على الرغم من ذلك، فى الحالة الاقتصادية بشكل تركيبي، هى لا تستخدم فقط وسائل المعادين- للسامية. ترى أداء موحدا بلغة الوظائف الاقتصادية. البرجوازية، طبقة الفلاحين، البلوريتاريا- تلك هى الحقائق التركيبية التى تهتم بشأنها، وفى هذه المركبات تميز أبنية تركيبية ثانوية — اتحادات العمال —جمعيات أصحاب الأعمال — اتفاقات المنتجين- اتحادات احتكارية

للمنتجين- تجمعات. لذلك تؤسس التفسيرات التى تقدمها للظاهرة التاريخية لتتفق مع البنية المتمايزة لمجتمع قائم على تقسيم العمل. إن التاريخ، كما تراه الطبقات العاملة، هو نتاج لدور كيانات اقتصادية عضوية وتفاعل لجماعات تركيبية.

ينتمى أغلبية المعادين —للسامية، على النقيض، للطبقة الوسطي، هذا هو[1]، تجدهم من بين الرجال الذين لديهم مستوى معيشي مساوٍ أو أعلى لما لليهود، أو، إذا كنت تفضل، بين "غير-المنتجين" (أصحاب العمل، التجار، الموزعين، أعضاء المهن الحرة، الطفيليين). فى الواقع لا ينتج البورجوازى: إنه يوجه، يدير، يوزع، يشترى، ويبيع. وظيفته الدخول فى علاقة مباشرة مع المستهلك؛ بكلمات أخرى، يرتكز نشاطه على تجارة مستمرة مع البشر، فى حين يكون العامل، فى ممارسته لحرفته، على تواصل دائم مع الأشياء. يحكم كل إنسان على التاريخ بالتوافق مع المهنة التى يتبعها. يُشَكِّل عبر التأثير اليومي للمواد التى يعمل بها، يرى الإنسان العامل المجتمع بوصفه منتجا للقوى الحقيقية التى تعمل بموجب القوانين الصارمة. تدل "ماديته" الجدلية على أنه يتخيل العالم الاجتماعي بالطريقة نفسها التى يفعلها مع العالم المادي. من جهة أخرى، اختار البرجوازي- والمعادى للسامي تحديدا- أن يفسر التاريخ عبر فعل الإرادات الفردية. ألا يعتمد البرجوازي على هذه الإرادات نفسها فى تصريف شئونه؟ يتصرفون إزاء الحقائق الاجتماعية مثل البدائيين الذين يهبون الريح والشمس بعض الروح. إن المكائد، الجمعيات السرية، خيانة رجل واحد، والشجاعة وفضيلة أخرى — هم ما يحددون مسار عملهم، ذلك ما يحدد مسار العالم.

معادة السامية، ظاهرة برجوازية، تبدو لذلك اختيارا اتخذ لتفسير أحداث جماعية عبر مبادرة الأفراد. بلا شك يسخر البلوريتارى من "البرجوازي" فى الملصقات الدعائية والصحف تماما بالطريقة نفسها التى يسخر فيها المعادى — للسامي من "اليهودى".

لكن هذا التماثل الخارجي يجب ألا يخدعنا. بالنسبة للعامل، الذى يشكل البرجوازي هو وضعه البرجوازي، هذا هو، إنه أداء جماعى للعوامل الخارجية؛ والبرجوازي نفسه، يكون خاضعا للوحدة التركيبية لهذه التجسدات الخارجية الواضحة. إنه أداء

1 - هذا هو: أداة للتوكيد ولفت الانتباه يستخدمها المؤلف أحيانا.

جماعى لحالات متعددة من السلوك. بالنسبة للمعادى – للسامية، الذى يشكل اليهودى هو حضور "اليهودية" فيه، الأساس اليهودى مشابه لنظرية "فلوجستون"[(1)] أو لفضيلة التخدير التى للأفيون. يجب ألا ننخدع: التفسيرات المبنية على الوراثة والعرق أتت فى وقت لاحق؛ هى القشرة الخارجية العلمية النحيفة لهذه القناعة البدائية. لفترة طويلة قبل مندل[(2)] و جوبنيو[(3)] كان هناك رعب من اليهودى، وما كان باستطاعة الذين شعروا به تفسيره إلا عبر تعبير، مثل الذى لـ مونتين[(4)] عن صداقته لـ لابويسيه[(5)] : "لأنه هو هو، ولأنني أنا أنا". بدون حضور هذا الجوهر الفلسفي، ستكون النشاطات المنسوبة لليهودي غير مفهومة تماما. حقيقة، كيف يمكن أن نتصور حماقة العنيد التى لتاجر يهودي غنى، الذى، يتم إخبارنا، يبذل كل جهد لتدمير بلاده، فى حين أنه لو كان مسئولا، لتمنى رخاء بلاده التى يمارس فيها عمله؟ وإلا كيف يمكن لنا من ناحية أخرى فهم الأممية الشريرة للبشر الذين عائلاتهم، وجدانهم، عاداتهم، مصالحهم، وطبيعة ومصدر ثروتهم يجب أن تلتصق بمصير بلد محدد؟ يتكلم المتحدثون السطحيون عن رغبة يهودية فى السيطرة على العالم. هنا مجددا، إذا لم نكن نملك المفتاح، فإن تجسدات هذه الرغبة ستكون بالتأكيد غامضة بالنسبة لنا. يتم إخبارنا فى آن واحد تقريبا أنه خلف اليهودى تكمن الرأسمالية العالمية وإمبريالية احتكارات المنتجين ومصنعي الذخيرة، وأنه

---

1 - فلوجستون: نظرية علمية ألمانية شاعت فى القرن التاسع عشر، قدمت أصل المواد الفلزية باعتبارها مركبات أو فضلات اتحدت مع مادة أو مركب أساسى شاع تسميته باسم "فلوجستون"، والمقصود هنا من المؤلف: مشابهة فكرة الطبيعة اليهودية لهذه النظرية؛ باعتبارها الأساس فى أى حكم على الشخصية اليهودية والمكون الأساسى لها.

2 - مندل: هو عالم الوراثة الشهير جريجور مندل الذى عاش فى القرن التاسع عشر؛ واكتشف قوانين الوراثة وانتقال الصفات وتنحيها وتوارثها عبر الأجيال.

3 - جوبنيو: جوزيف آرثر دو كونت غوبينو (1816- 1882) أديب ودبلوماسي فرنسي اشتهر ببحوثه ودراساته حول "التفاوت بين الأجناس البشرية" فى مؤلفه الذى حمل العنوان نفسه، تأثر به أصحاب نظرية العنصرية الجرمانية حيث قدم تفسيرات لسيادة "السلالة النوردية" التى ينتمى لها هتلر، كما له نظريات فى معاداة الديمقراطية وضد الشعوب السامية. كتب الرواية والقصة واشتهر بمجموعاته القصصية التى منها: "الثريا"، "قصص آسيويه"،

4 - مونتين: ميشيل دي مونتين أحد أكثر الكتاب الفرنسيين تأثيرا في عصر النهضة الفرنسي، عاش فى القرن السادس عشر، ويعد رائد المقالة الحديثة في أوروبا. كان يقلد اليونانيين والكلاسيكيين في مقاربتهم لفكرة الحكمة، وتأثر كثيراً بكتابات أرسطو. نشأت بينه وبين الشاعر و الكاتب الفرنسى إتين دي لابويسيه إحدى أشهر الصداقات فى تاريخ الثقافة والحياة الفرنسية العامة والتى خلدها مونتين فى مقالاته وكتاباته.

5 - لابويسيه: أتين دي لابويسيه (1530- 1563) شاعر وكاتب وقاض فرنسي، صاحب النظرية الفوضوية، ومؤسس الفلسفة السياسية الحديثة في فرنسا، من أهم كتاباته: "مقالة في العبودية الطوعية"، ذُكر بأنه أعظم صديق وثيق للكاتب والمفكر البارز ميشيل دي مونتين، في واحدة من أبرز الصداقات التى دونت في التاريخ.

الواجهة لقرصنة البلشفية بسكين بين أسنانه. لا يوجد حرج أو تردد بشأن تحميل مسئولية الشيوعية للمصرفيين اليهود، التى قد تصيبهم بالرعب، أو المسئولية عن الإمبريالية الرأسمالية لليهود البائسين الذين يزحمون "شارع باقات الزهور"[1]. ولكن سيتضح كل شئ إذا صرفنا النظر عن أي توقع من اليهودى بالطبع عن سلوك يكون مسئولا ومنسجما مع مصالحه، إذا، بدلا من ذلك، أدركنا فيه أساس فلسفي يقوده للشر فى ظل كل الظروف. رغم حتى أنه بهذه الطريقة سيدمر نفسه. قد يشك المرء، أن هذا الأساس سحري. من جهة، هو جوهر، شكل أساسي، واليهودي، أيا كان ما يفعله، لا يستطيع تعديله، بطريقة أكثر مما تستطيع النيران منع نفسها من أن تشتعل. على الجهة الأخرى، هو ضروري من أجل المقدرة على كراهية اليهودى — لأن المرء لا يكره الظاهرة الطبيعية مثل الزلازل أو وباء الجراد — وذلك يملك أيضا فضيلة الحرية. الحرية التى عنها الكلام هى فقط المحدودة: اليهودى حر لارتكاب الشر، وليس الخير؛ يملك فقط مقدار الحرية بالشكل الذى يتطلبه تحمل المسئولية عن الجرائم التى يكون الموجد لها، لا يملك القدر الكافي منها لتحقيق إصلاح. إنها حرية غريبة، بدلا من أن تستبق وتشكل الجوهر، تظل خاضعة له، هى نوعية غير عقلانية منها، ومع ذلك تظل حرية.

يوجد مخلوق واحد فقط، على حد علمي، والذى هو إلى هذا الحد حر تماما ومع ذلك مقيد بالشر؛ إنه روح الشر ذاتها، الشيطان. وبالتالي يتم مشابهة اليهود بروح الشر. إرادته، على عكس الإرادة الكانطية[2]، هى تقود نفسها بعفوية، بلا مبرر، وبشكل عالمي إلى الشر. إنها الإرادة للشر. من خلاله يصل الشر إلى الأرض. كل ما هو سئ فى المجتمع (الأزمات، الحروب، المجاعات، الاضطرابات، والثورات) تلصق تهمتها به بشكل مباشر أو غير مباشر. يخاف المعادى —للسامية من اكتشاف أن العالم يدار— باضطراب،لأنه سيكون من الضروري عليه فى حينها أن يخترع ويعدل، فى مواجهة النتيجة أن الإنسان سيكون سيد أقداره، مثقلا بمسئولية معذبة

---

1 - شارع باقات الزهور: هو شارع "rue des Rosiers" الذى يقع فى مدينة باريس العاصمة الفرنسية، وفى قلب الحى اليهودى بالمدينة.

2 - الكانطية: نسبة إلى الفيلسوف الألمانى إيمانويل كانط، الذى اهتم بفكرة الإرادة البشرية وربطها كلية بالأخلاق والخير والواجب.

ومطلقة. لذلك يمركز كل الشرور الذى فى العالم حول اليهودى. إذا ما تحاربت الأمم مع بعضها، لا ينشأ الصراع من حقيقة أن مفهوم القومية، فى شكله الحالي، يقتضى ضمنا الإمبريالية وصدام المصالح. لا، ليس بسبب أن اليهودى هناك، وراء الحكومات، يتنفس المشاكل. إذا كان هناك صراع طبقى، فذلك ليس لأن المنظمة الاقتصادية تترك شيئا ليتم الرغبة فيه. هو بسبب أن الديماجوجية[1] اليهودية، المهيجين معقوفى- الأنف[2]، قد أغروا العمال.

وهكذا تبدو معاداة السامية فى النهاية شكلا من الديانة المانوية[3]. تشرح مسار العالم عبر صراع مبدأ الخير مع مبدأ الشر. لا يوجد بين هذين المبدأين تسوية معقولة؛ أحدهما يجب أن ينتصر والآخر يجب أن يباد. انظر إلى سيلين[4]: رؤيته للعالم كارثية؛ إن اليهودى فى كل مكان، وقد ضاعت الأرض، إن الأمر منوط بالآريين حتى لا يصلوا لحلول وسط؛ ألا يتصالحوا أبدا. وللآن يجب عليه أن يأخذ حذره: إذا ما تنفس، يكون قد فقد نقاءه بالفعل، لأن الهواء نفسه الذى يخترق قصبته الهوائية ملوث. ألا يُفهم هذا بوصفه خطبة لاذعة بواسطة مانى الديانة؟ إذا دعم سيلين الأطروحة الاشتراكية للنازيين، ذلك بسبب أنه قد دفع له ليفعل ذلك. فى قرارة قلبه لم يؤمن بهم. بالنسبة له لا يوجد حل سوى الانتحار الجماعي، عدم-التناسل ، الموت. آخرون — موريس[5] أو ال بى.بى.إف [1] — أقل تثبيتا للعزم. هم يتخيلون

---

1 - الديماجوجية: مصطلح سياسى يعنى محاولة التأثير على الجماهير وكسب تأييدها وحشدها استنادا اقضايا ومواضيع تبدو وطنية وشعبية وجماهيرية، وباستخدام الحيل والدعاية المتكررة من أجل تحقيق الأهداف السياسية الخاصة للبعض.

2 - معقوفو الأنف: الأنف المعقوف أحد السمات الجسدية والتشريحية التى ارتبطت تاريخيا باليهود باعتبارهم عرق - خاص بخلاف ارتباطهم بالديانة اليهودية — ينسب إلى نبى الله يعقوب عليه السلام.

3 - يقصد المؤلف هنا أن معاداة السامية تقسم العالم لجانبين جانب الخير وجانب الشر الذى يمثله اليهود؛ حيث يشابه بينها وبين الديانة المانوية التى تعتقد ان العالم يقوم على مركبين وصراع بين النور (الخير) والظلمة (الشر).

4 - سيلين: هو Louis-Ferdinand Céline لويس فريديناند سيلين، روائى وكاتب فرنسى (1894-1961) بدأت منذ أواسط ثلاثينيات القرن العشرين تظهر فى كتاباته روح العداء للوجود والسيطرة اليهودية على المجتمع الفرنسى.

5 - موريس: يقصد Charles Maurras المفكر الفرنسى الذى ارتبط بالقومية الكاثوليكية واقصى اليمين الفرنسى المتشدد، والذى كتب الشعر والنقد، وكان يرى أربعة أسباب أساسية ومجتمعة لتدهور فرنسا، وهى: البروتستانت — اليهود — الماسونيون- الأجانب.، وكان لديه نزوع للملكية الفرنسية ومعاداة للبرلمان، كما اعتبر من الحركة المضادة للثورة الفرنسية.

نضالا طويلا ومبهما غالبا، مع الانتصار النهائي للخير. إنه أهورامزدا[2] ضد أهريمان[3]. يدرك القارئ أن المعادى- للسامي لم يلجأ للديانة المانوية كمبدأ ثانوي للتفسير. إنه اختياره الأصلي الذى يفهمه من المانوية، الذى يفسر ويحدد معاداة- السامية. لذا يجب أن نسأل أنفسنا ما الذى يمكن أن يعنيه هذا الاختيار الأصلي لإنسان اليوم.

دعنا نقارن للحظة الفكرة الثورية للصراع الطبقي مع مانوية المعادى — للسامي. فى نظر الماركسى، ليس الصراع الطبقي من أي وجهة صراع بين الخير والشر؛ هو تضارب للمصالح بين مجموعات بشرية. السبب الذى يجعل الثوري يتبنى وجهة نظر البلوريتاريا هو، أولا وقبل كل شئ، لأنها طبقته، ثم لأنها مضطهدة، لأنها لحد ما الأكثر عددا وبالتالي يرتبط قدر البشرية بمصيرها الخاص، أخيرا لأن نتيجة انتصارها سوف تشمل بالضرورة إلغاء البناء الطبقي. هدف الثوري هو تغيير تنظيم المجتمع. لفعل ذلك سيكون ضروريا بلا شك تدمير النظام القديم. لكن ذلك لن يكون كافيا؛ والأكثر من ذلك سيكون بناء نظام جديد. إذا ما كنت الطبقات المميزة عبر احتمال مستحيل مستعدة للمشاركة فى إعادة البناء الاشتراكي وتقديم أدلة واضحة على حسن نيتها، فلن يكون هناك سبب وجيه لرفضها.

إذا كان من غير المحتمل جدا أنها ستقدم دعمها للاشتراكيين بحسن نية، ذلك بسبب أن وضعها ذاته كطبقة مميزة يمنعها من فعل ذلك، ليس بسبب أن روحا داخلية شريرة لا يمكن تعريفها تجبرها على فعل الشر رغما عنها. على أية حال، إذا ما انفصلت أجزاء من هذه الطبقة عنها، يمكن استيعابهم باستمرار فى الطبقة المضطهدة، وسيحكم عليهم من خلال أفعالهم، وليس من خلال جوهرهم. "أنا لا اهتم البتة

---

1 - بى.بى.إف: اختصار يرمز إلى الحزب الشعبى الفرنسى. الذى استمر وجوده فى الفترة من 1936-1945 وعرف بنزعته الفاشية والنازية وموقفه المعادى لدور اليهود رابطا إياهم بحركة الماسونية العالمية، وأسسه أعضاء سابقون فى الحزب الشيوعى الفرنسى.

2 - أهورامزدا: يمثل أهورامزدا الإله الأوحد للخير فى الديانة الزرادشتة وهو عندهم إله النور ويتحلى بصفات النور والعقل والطيب والحق والسلطان والتقوى والخير والخلود.

3 - أهريمان: هو الإله الذى يمثل الشر والذى ياتى مصاحبا ومضادا فى الوقت نفسه لإله الخير فى الديانة الزرادشتية: أهورامزدا.

بجوهرك الداخلي" قال لي ذلك بوليتزر[1] ذات يوم. على الجهة الأخرى، المعادى — للسامي المانى يركز على التدمير. ما يراه ليس تضاربا فى المصالح إنما الضرر الذى تسببه قوة شريرة فى المجتمع. لذلك يختص الخير قبل أي شئ بتدمير الشر. يختبأ أسفل مرارة المعادى — للسامي الإيمان المتفائل بأن الضرر سيتم إعادة– تأسيسه من تلقاء نفسه، حالما يتم القضاء على الشر. فمهمته بالتبعية سلبية خالصة: لا توجد مسألة بناء مجتمع جديد، ولكن فقط تطهير القائم. فى سياق تحقيق هذا الهدف سيكون تعاون اليهود حسنى النية بلا فائدة وحتى مميت، وبأى حال لا يمكن ليهودي أن يكون رجل نية حسنة، فارسا–رحالا من أجل الخير، المعادى للسامية هو رجل مقدس. اليهودى هو رجل مقدس بطريقته أيضا — مقدس مثل غير القابلين للمس، مثل المتوحشين تحت حرمانية التابو. لذا يرفع الصدام لمستوى ديني، ونتيجة النزال لا يمكن إلا أن تكون سوى دمار مقدس. عديدة هي مميزات هذا الوضع. بداية، هي تفضل خمول العقل. لقد رأينا أن المعادى– للسامي لا يعرف شيئا حول المجتمع الحديث. قد يكون غير قادر على تصور خطة بناءة؛ لا يمكن لحركته أن تصل للمستوى المنهجي؛ تبقى قابعة على أرضية العاطفة. كمشروع طويل الأجل يفضل انفجار غضب مشابه للهياج الجاري في جزر الملايو[2]. نشاطه العقلي محصور في التأويل؛ يبحث في الأحداث التاريخية عن حضور قوة شريرة. خارجة من هذا النبع هذه الافتراءات الطفولية والمتقنة، التي تعطيه مشابهته لأصحاب "البارانويا" المتطرفين. إضافة إلى ذلك، تدفع مسارات معاداة — السامية بشكل تطوري في اتجاه تدمير بعض الرجال، من غير أصحاب المؤسسات. سيعتبر حشد من المعادين–للسامية أنها فعلت ما يكفى عندما تكون قد ذبحت بعض اليهود وحرقت قليلا من المعابد اليهودية (السيناجوج). هي تمثل، بذلك،

---

1 - بوليتزر: جورج بوليتزر (1903-1942) هو فيلسوف ومنظر ماركسى فرنسى من أصول مجرية، من أهم كتبة: مبادئ أولية فى الفلسفة- أصول الفلسفة الماركسية، وكان من أبرز أعضاء الحزب الشيوعى الفرنسى.. والمقصود هنا انتقاد سارتر للنظره المادية الماركسية للإنسان التى تهمل فكرة الذات والجوهر الفردى الخاص، وتضع الإنسان فى سياق رد الفعل الكامل والمطلق للظروف الخارجية؛ خصوصا ظروف كل كل إنسان الطبقية او موقعه فى نمط الإنتاج السائد فى مجتمعه، هذا رغم توافق سارتر مع العديد من أطروحات الطرح الماركسى واختلافه أيضا مع العديد منها، وهو ما ظهر فى مؤلفات أخرى لسارتر تناولت موقفه من الماركسية.

2 - جزر الملايو: شبه جزيرة ملايو هي الإقليم الغربي من الاتحاد الماليزي، ويسكن حوالي ثلثي سكان ماليزيا في هذا الإقليم، وفى فترة الأربعينيات التى كتب فيها المؤلف هذا النص؛ مرت تلك البلاد بفترة من المعارضة للاحتلال البريطانى الذى كان يسيطر عليها حتى حصلت على استقلالها الكامل بعد عدة محاولات.

صمام أمان للطبقات المالكة، التي تشجعها ومن ثم تستبدل كراهية خطيرة ضد نظامهم السياسي بكراهية خيرة ضد أناس بعينهم.

علاوة على كل شئ هذه الثنائية الساذجة تكون مطمئنة بشكل ملحوظ لمعادى —السامي نفسه. إذا كان كل ما يجب عليه فعله هو إزالة الشر، ذلك يعنى أن الخير أمر مسلم به مسبقا. ليس عليه أن يسعى له بمعاناة، أن يخترعه، أن يتمعن فيه بصبر عندما يعثر عليه، أن يثبت فعاليته في التطبيق، أن يتحقق منه من خلال عواقبه، أو، أخيرا، أن يحمل على عاتقه مسئوليات الاختيار الأخلاقي الذي قام به.

ليس مصادفة أن الفورانات الكبيرة لغضب المعادى- للسامية تخفى تفاؤلا أساسيا. لقد ألقى بحظوظه على الشر كي لا يضطر لأن يلقى بحظوظه على الخير. كلما كان المرء مستهلكا في محاربة الشر، كلما كان أقل إغراء ليضع الخير موضع التساؤل. لا يحتاج المرء للحديث بشأنه، ومع ذلك يظل مفهوما دائما في خطاب المعادى — للسامي ويظل مفهوما في فكره. عندما يكون قد أنجز مهمته بوصفه مدمرا مقدسا، ستعيد الجنة المفقودة تأسيس نفسها. تواجه المعادى — للسامي العديد من المهام حاليا بما يجعله لا يملك الوقت الكافي للتفكير فيها. إنه في طور الاختراق، يحارب، وكل فورانات غضبه هي حجة ليتحاشى البحث المضني عن الخير.

لكن ذلك ليس كل شئ، فالآن نقترب من منطقة التحليل النفسي. تخفى الديانة المانوية انجذابا متأصلا نحو الشر. بالنسبة للمعادى للسامية الشر هو قدره، نصيبه من السعى. هؤلاء الذين يأتون في المرتبة التالية؛ سيشغلون أنفسهم بالخير، إذا كان هناك فرصة. لأنه بالنسبة للمعادى للسامية، هو في المرتبة الأمامية للمجتمع، يحارب مديرا ظهره للقيم النقية التي يدافع عنها. عمله يختص بالشر، واجبه أن يميط اللثام عنه، أن ينتقده علانية، ويقيس مداه. ذلك هو سبب هوسه الشديد بتكديس النوادر التي تكشف فسق اليهودي، شهوته للمال، حيله، وخياناته. إنه يغسل يديه في القذارة. فلتقرأ ثانية كتاب "فرنسا اليهودية"[1] ل درومو[1]؛ كتاب ال"أخلاقية

---

1 - فرنسا اليهودية: هو كتاب " La France Juive" للكاتب الفرنسى إدوارد درومو، والذى صدر عام 1886 واعتبر ورقة دعاية سياسية ضد اليهود ووصف بمعاداة السامية، وصدر فى جزءين، كما تمت إعادة طباعته مرة أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية عام 1938، اعتمد الكتاب على ثلاثة مداخل فى مقاربته لمعاداة

الفرنسية العالية" ذلك هو مجموعة من القصص الخسيسة والفاحشة. لا شئ يعكس الطبيعة المركبة للمعادى للسامي أفضل منه. طالما أنه عبر الخوف من البروز عن الحشد، لم يتوق إلى اختيار الخير الخاص به، سامحا للخير الخاص بكل شخص آخر بأن يُفرض عليه، أخلاقيته لم تبن أبدا على بديهية القيم أو على ما يسميه أفلاطون[2] الحب. إنها تظهر نفسها فقط عبر أشد التابوهات صرامة، عبر الضرورات الأكثر قساوة ومجانية.

إن الشر هو ما يمعن التفكير فيه بلا انقطاع، ذلك لأنه يملك تجاهه حدسا وتقريبا ذوقا. وبالتالي يتخم نفسه لحد الهوس بحكاية الفحش أو بالأفعال الإجرامية التي تثير وترضى نزعاته المنحرفة؛ لكن طالما أنه ينسبهم في الوقت نفسه لأولئك اليهود سيئي السمعة الذين يزدريهم كثيرا، فهو يرضى نفسه دون أن يُفضح. أعرف في برلين بروتستانتيا[3] أخذت رغبته الجنسية شكل السخط. يثير منظر ملابس استحمام النساء فيه الغضب؛ شجع بإرادته هذا الغضب وأمضى وقته عند حمامات السباحة. على هذه الشاكلة يكون المعادى — للسامي، وأحد عوامل كراهيته هو انجذاب جنسي عميق تجاه اليهود.

يعكس سلوكه فضولا فَتَنَهُ الشر، أعتقد أنه علاوة على كل شئ، يمثل سادية أساسية. تكون معاداة — السامية مبهمة تماما إذا لم يتذكر المرء أن اليهودي، الذى هو موضع للكثير من اللعنة برئ تماما، قد أقول حتى مسالم. لذلك يتألم المعادى —

اليهود، أولا: العرق مشيرا للتباين العرقى بين اليهود والآريين، ثانيا: المال رافضا السيطرة اليهودية على الرأسمالية والبنوك، ثالثا: الدين مشيرا لدور اليهود فى قتل المسيح عليه السلام.

1 - درومو: هو إدوارد أدولف درومو Édouard Adolphe Drumont كاتب وصحفى فرنسى (1844-1917)؛ قام فى عام 1889 بتأسيس إحدى حركات معاداة السامية "نخبة فرنسا المعادية للسامية"، وقام بتأسيس جريدة "العالم الحر" عام 1892 وعمل رئيسا لتحريرها وحملت أفكاره نفسها عن رفض الدور اليهودى والسعى لإزاحته من المجتمع الفرنسى.

2 - أفلاطون: فيلسوف المثالية اليونانى الشهير، الذى أعطى الحب فى حد ذاته كفكرة غير حسية بعدا يفوق العلاقة الجسدية بين الرجل والمرأة.

3 - بروتستانت: البروتستانتية أحد المذاهب المسيحية التى نشات إبان عصر النهضة الأوربية، رافضة الكثير من تقاليد الكنيسة الكاثوليكية القديمة، ومحاولة التخفيف من سلطان الكهنوت المسيحى لتعطى الإنسان المسيحى الأوربى قدرة على بناء علاقة دينية متحررة لحد ما من الشكل النمطى لدور الكنيسة كوسيط فى الديانة المسيحية بين الإنسان والسماء.

للسامية ليحدثنا عن المنظمات اليهودية السرية، عن الماسونيين[1] الأحرار المرعبين والمستترين. وعلى الرغم من ذلك يقابل اليهودي وجها لوجه، إنه تقريبا في أغلب الحالات مخلوق ضعيف أُعِدَّ بسوء ليتعامل مع العنف ولا يمكن حتى أن يدافع عن نفسه. يدرك المعادى - للسامي تماما الضعف الفردى لليهودى، والذي يقوده للمذابح الجماعية (البوجرام) مقيد الأيدي والأقدام — حقيقة، إنه يلعق لحم ضلوعه وهو حي مقدما.

كذلك لا يمكن مقارنة كراهيته لليهودي بالكراهية التي شعر بها إيطاليو عام 1830م[2] تجاه النمساويين، أو بالتي شعر بها فرنسيو عام 1942م[3] تجاه الألمان. في هذين المثالين كانت حالة لمضطهدين، لرجال قساة، غلاظ، وأقوياء كانت لهم جيوش، وأموال، وسلطة وكانوا يستطيعون إيذاء الثوار بأكثر مما يمكن للثوار أن يحلموا بإيذائهم. في الكراهيات التي من مثل هذا النوع لا يوجد مكان للنزعات السادية. لكن طالما أن الشر، بالنسبة للمعادى - للسامي، متجسدا في أناس غير مسلحين ومسالمين، فإن هؤلاء لا يجدون أنفسهم أبدا تحت الحاجة المؤلمة لأن يكونوا بطوليين. إنه من الظريف أن تكون معاديا- للسامي. يمكن للمرء أن يضرب ويعذب اليهود بلا خوف. على أشد تقدير يمكن أن يلجئوا لقوانين الجمهورية، لكن تلك القوانين ليست صارمة جدا.

---

1 - الماسونيون: الماسونية أو تنظيم "البناءون الأحرار" هو منظمة سرية ترتبط بأفكار حول العمل الخفى لمحاولة السيطرة على العالم، وتوجيهه نحو وجهة بعينها يسعى لها التنظيم، يرتبط فى العديد من الأدبيات باليهود وبالحروب الصليبية وهناك من يرجعه لمدى تاريخى أبعد من ذلك.

2 - عام 1830: كانت المناطق الإيطالية تخضع فى القرن التاسع عشر للسيطرة والاحتلال النمساوى والفرنسى بالتقاسم، وسرعان مع تخلص الإيطاليين من الاحتلال الفرنسى، ليصبح الاحتلال النمساوى هو العقبة الباقية فى سبيل تحقيق الاستقلال والوحدة للولايات الإيطالية، وفى عام 1930 شهدت المناطق الإيطالية تمردا كبيرا فى مواجهة الاحتلال النمساوى، والذى واجه التمرد بالقمع الشديد حيث استعملت النمسا كل أنواع القمع والقهر العسكرى والاعتقالات لمنع وحدة الولايات الإيطالية واستقلالها.

3 - 1942: هو العام الذى اشتدت فيه عمليات المقاومة الفرنسية ضد قوات الاحتلال النازى، ومن ثم أخذت قوات الاحتلال النازى عدة اجراءات انتقامية واعتمدت على كافة طرق القمع والقهر والتنكيل كوسيلة لردع المقاومة الفرنسية المتصاعدة تجاهها، وشاع حينها الإعدام والاعتقال والسجن تجاه المواطنين الفرنسيين من رجال المقاومة والثوار، غير أن ذلك لم يأت بالنتيجة التى كان يتوقعها الألمان، بل زاد من المقاومة وصلابتها وعزيمتها فى مواجهتهم، وزاد من حجم الكراهية الشعبية للاحتلال النازى والمتعاونين معه من الفرنسيين.

الانجذاب السادي الذي يشعر به المعادى للسامية نحو اليهودي، قوى للغاية لدرجة أنه ليس مخالفا للمألوف أن ترى واحدا من ألد أعداء إسرائيل[1] هولاء يحيط نفسه بأصدقاء يهود. للتأكيد، هو يقول إنهم "يهود استثنائيون" يصر على أن " هؤلاء ليسوا مثل البقية". (في استديو الرسام الذي ذكرته في وقت سابق، رجل لم يتحدث بأي شكل ضد المجزرة في لوبلين[2]، حيث كانت عيانا بيانا صورة ليهودى مقرب إليه، أطلق الجستابو عليه الرصاص). مثل هذه الاحتجاجات باسم الصداقة ليست مخلصة، لأن المعادين – للسامية لا يتصورون، حتى في تصريحاتهم، العفو عن "اليهود الأخيار"، وبينما يعترفون ببعض الفضائل في الذين يعرفونهم، لن يقروا أن محاوريهم ربما قد تمكنوا من مقابلة آخرين مماثلين في الاستقامة. في الواقع يستمتعون بحماية هؤلاء الأشخاص المعدودين من خلال نوع من التناقض لساديتهم؛ يستمتعون في الإبقاء على الصورة الحية للناس الذين يُلعنون تحت أنظارهم. المرأة المعادية – للسامية عادة ما تملك خليطا من الاشمئزاز والانجذاب الجنسي تجاه اليهود. كانت امرأة أعرفها تملك صلات حميمة مع يهودي بولندي. قد تذهب للسرير معه عادة وتسمح له بأن يضم كتفيها ونهديها، لكن لا شئ أكثر من ذلك. تستمتع بالشعور به مقدرا وخاضعا، مقدسة رغبته المذلولة والمحبطة بعنف. بعد ذلك تقوم بجماع جنسي عادى مع رجل آخر.

يوجد في الكلمتين "يهودية جميلة" دلالة جنسية خاصة جدا، مختلفة تماما عن التي تحتويها الكلمتان "رومانية جميلة" ، "يونانية جميلة"، أو "أمريكية جميلة" على سبيل المثال. تحمل هذه الجملة هالة من الاغتصاب والذبح. "اليهودية الجميلة" هي التي جرها من شعرها القوزاق[3] تحت حكم القياصرة عبر شوارع قريتها المحترقة.

---

1 - نلاحظ استمرار الخلط بين قضية اليهود واضطهادهم فى أوربا، وبين توظيف اسم "إسرائيل" كمشروع لحل المسألة اليهودية على حساب العرب فى فلسطين.

2 - لوبلين: إحدى المدن البولندية "Lublin" التى جرى فيها تجميع اليهود من قبل الاحتلال الألمانى خلال الحرب العالمية الثانية، وجرت فيها عام 1942 أحداث ووقائع للقتل واستهداف لليهود بالغاز بعد تجميعهم.

3 - القوزاق: هم جماعات عرقية تنتمى فى أصلها لمن يطلق عليهم "السلافيون" الذين هم بدورهم أحد الأقوام الذين يتحدثون باللغات السلافية أحد فروع مجموعة اللغات الهندو أوربية، وينتمى القوزاق للسلافيين الشرقيين الذين استقروا فى نهاية المطاف فى شمال أسيا وجنوب شرق أوربا. فى عصر القياصرة الروس كان القوزاق أشبه بمجموعة وظيفية منظمة مسلحة تخدم أهداف الإمبراطورية الروسية، وبات القوزاق من أشجع الجنود وأمهر الفرسان وأسهموا كقوة موالية للقيصر الروسي في الحروب بالقوقاز وأسيا الوسطى

وتحتفظ الأفعال الخاصة التي تتم للكف عن عد مرات الجلد، بمكان شرفي لليهودية. لكنه ليس من الضروري إمعان النظر في الأدب المعد لفئة قليلة. انطلاقا من "ريبكا" في رواية "إيفانهو"[1]، وصولا لـ اليهودية الخاصة بـ رواية"جيل"[2]، بدون أن ننسى أعمال "بونسان دو توراى"[3]، تملك اليهودية وظيفة معروفة-جيدا حتى في أكثر الروايات جدية[4]؛ تنتهك أو تضرب بشكل متكرر، تنجح أحيانا في الهرب من العار بواسطة الموت، ولكن ذلك نوع من العدالة؛ وهؤلاء الذين يحافظون على أخلاقيتهم يكونون خدما طيعين أو نساء مذلولات يحببن مسيحيين غير مبالين والذين يتزوجون نساء آريات. أعتقد أني لست في حاجة للمزيد لأشير للمكانة التي تحتفظ بها اليهودية بوصفها رمزا جنسيا في الفلكلور.

إنه مدمر في الوظيفة، سادى خالص القلب، هو المعادى – للسامي، في صميم قلبه، هو مجرم. ما يتمناه، ما يجهز له، هو موت اليهودي.

للتأكيد، لا يطالب كل أعداء اليهودي بموته علانية، لكن الإجراءات التي يقترحونها –تهدف كلها لتغييبه، إذلاله، عقابه- هي بدائل للاغتيال الذي يفكرون

---

1 - إيفانهو: هى أشهر روايات الكاتب الإنجليزى السير "والتر سكوت"، وعرفت كذلك باسم "الفارس الأسود وكتبها عام 1919، وتدور أحداثها فى العصور الوسطى فى القرن الثانى عشر بعد فشل الحملة الصليبية الثالثة، والصراع الذى دار على العرش داخل انجلترا آنذاك بين الملك ريتشارد قلب الأسد وأخيه جون ، وتقدم الرواية شخصية اليهودى فى صورة "إسحاق "المرابى وابنته "ريبيكا" واللذين يتعرضان للأسر ضمن احداث الرواية مع إيفانهو؛ ورغم انحياز المؤلف للشخصية اليهودية إلا أنها تبرز لنا العديد من سمات الصورة النمطية لليهودى البخيل والمحب للمال؛ والذى انتهى به المطاف منبوذا من الجميع؛ حين رحل وغادر انجلترا مع ابنته "ريبكا" وتزوج إيفانهو من حبيبته "روفينا".

2 - رواية جيل: هى رواية فرنسية كتبت أثناء الحرب العالمية الثانية ونشرت عام 1939 للكتاب الفرنسى بيير دريو لاروشيل Pierre Drieu La Rochelle (1893-1945)، تتبع حياة رجل فرنسى يحمل نفس اسم الرواية، يشعر بالاشمئزاز تجاه العالم البورجوازى خلال الحرب العالمية الأولى، ويتزوج امرأة يهودية من أجل ثروتها ويصبح مهتما بالحركة السريالية، ليطور خلطته الخاصة من المسيحية والفاشية.

3 - بونسان دو توراى: Ponson du Terrail هو روائى فرنسى عاش فى القرن التاسع عشر (1829-1871)، وكان غزير الإنتاج أصدر ما يزيد عن السبعين عملا، وتناول اليهود فى اعماله، ومن الأعمال التى تناول فيها اليهود روايته : "La Juive du Château-Trompette".

4 - تتضح هنا فكرة مهمة فى طرح سارتر ومقاربته للمسألة اليهودية ؛ فالكتاب فى مجمله كان نقدا لما يمكن أن نسميه: "الصورة النمطية لليهودى فى أوربا"، ونلاحظ هنا تركيزه على رصد الصورة فى الأدب و الأدب الروائى تحديدا، ولكن المشكلة أن سارتر وظف هذه الصورة النمطية وأحداث الاضطهاد المشار لها ضدهم، فى تبرير فكرة منح اليهود وطن قومى فى فلسطين! وتم وضع الصهيونية فى سياق تعويض اليهود عما جرى لهم على يد النازى، ولم ينظر له سارتر باعتبارها سلبا لحق الفلسطينين فى دولتهم التى استقروا على شكلها السياسى والاجتماعى منذ آلاف ومئات السنين، وقع سارتر هنا فى فخ التفكير ذى الزاوية الواحدة ولم ينظر للأمر بعدالة من طرفه الآخر.

فيه داخل أنفسهم. إنهم قتلة رمزيون. فقط، يملك المعادى — للسامي ضميره إلى جانبه: هو مجرم في سبيل قضية جيدة. ليس الأمر خطأه، بالتأكيد، إذ مهمته كانت اقتلاع الشر عبر فعل الشر. لقد فوضته فرنسا سلطات محكمتها العليا للعدل. بلا شك هو لا يملك الفرصة كل يوم لاستخدامها، ولكن يجب ألا نخدع بهذا الشأن. سورات الغضب تلك التي تسيطر عليه فجأة، تلك الخطب اللاذعة الراعدة التي يلقيها على "اليهود" هي عقوبات إعدام متعددة. لقد اختار المعادى —للسامي أن يكون مجرما، ومجرم نقى القلب. هنا مجددا يتهرب من المسئوليات. على الرغم من أنه يلوم غرائزه الإجرامية، قد وجد وسائل للتعبير عنها دون أن يعترف لنفسه بذلك. هو يعلم أنه شرير، لكن طالما انه يفعل الشر في سبيل الخير، طالما شعوب بأكملها تنتظر خلاصها على يديه، فإنه ينظر لنفسه بوصفه فاعلا مقدسا للشر. عبر نوع من القلب لكل القيم، التي نجد نماذجها في ديانات بعينها — على سبيل المثال، في الهند، حيث توجد دعارة مقدسة- يوائم المعادى- للسامي بين التقدير، الاحترام، والحماسة، وبين الغضب، الكراهية، السرقة، القتل، وبين كل أشكال العنف. سكران بفعل الشر، يستشعر في نفسه ضياء القلب وراحة البال، اللذين يحققهما ضمير مستريح، والرضي عن واجب نفذ بإتقان.

لقد اكتملت الصورة. إذا شخص ما من الذين يؤكدون عن طيب خاطر أنهم يبغضون اليهود لم يتعرف على نفسه فيها، فإن ذلك لأنهم لا يبغضون اليهود في الواقع الحقيقي. ولا يحبونهم أيضا. بينما قد لا يصيبونهم بأقل ضرر، فإنهم لن يرفعوا أصابعهم الصغيرة كي يحموهم من العنف. هم ليسوا معادين — للساميين. هم ليسوا أي شئ؛ ليسوا بشرا. طالما من الضروري التظاهر بكونك شيئا، يجعلون من أنفسهم صدى، همهمة، و، بدون تفكير في الشر- بدون التفكير في أي شئ- يذهبون لتكرار معادلات معلومة تعطيهم الحق في دخول غرف معيشة محددة. لذلك يعرفون متعة ألا تكون شيئا سوى ضوضاء فارغة، أن تملأ أدمغتهم بإثباتات ضخمة يجدونها معتبرة بكل تأكيد لأنهم قد استعاروها. معاداة — السامية هي مجرد، تبرير لوجودهم. تفاهتهم تصل إلى حد أنهم سيتخلون بحماسة عن هذا التبرير من أجل أي تبرير غيره، شريطة أن يكون الأخير أكثر "تميزا". لأن معاداة — السامية مميزة، مثل كل

التمثلات لروح جمعية وغير عقلانية تسعى لخلق فرنسا سحرية ومحافظة. يبدو لكل هؤلاء المغفلين أنه عبر تكرار التصريح بحماسة تنافسية أن اليهود مؤذون للبلاد فإنهم يقومون بطقس شعائري يسمح لهم بالدخول للجانب المتقد للدفء والمقدرة الاجتماعية. بهذا المعنى حافظت معاداة- السامية على شئ من طبيعة التضحية البشرية[1].

إن لها ، علاوة على ذلك ، ميزة معتبرة لدى هؤلاء الناس الذين يدركون عدم استقرارهم العميق والذى يقلقون بشأنه. إنها تسمح لهم بأن يرتدوا ظواهر العاطفة و، كما كان سائدا منذ الحركة الرومانتيكية، يخلطون هذا بالشخصية. معاديو — سامية الدرجة الثانية أولئك يمكن أن يزودوا أنفسهم بشخصية عدوانية بتكلفة بسيطة. اعتاد أحد أصدقائي أن يخبرني عن احد أبناء عمومته الكهول الذي جاء ليتعشى مع عائلته والذين قالوا عنه، بطريقة معينة: "لا يمكن لجولز أن يتقيد بالإنجليزية" لا يتذكر صديقي أنهم، قالوا أي شئ أبدا غير ذلك عن ابن العم جولز. لكن ذلك كان كافيا. كان هناك تفاهم ضمني بين جولز وعائلته: لقد تجنبوا الحديث بشكل متفاخر عن الإنجليزية أمامه، وهذا التحفظ أعطى له مظهرا خارجيا للوجود في نظر من حوله وفى الوقت نفسه أمدهم ذلك بشعور مقبول بالمشاركة في طقس مقدس. ثم من حين إلى آخر بعد نقاش حذر، قد يرمى شخص ما، كما لو كان بشكل غير مقصود، تلميحا عن بريطانيا العظمى أو مستوطناتها. سيشعر ابن العم جولز، متظاهرا بالتحول للغضب الشديد، وكأن الحياة تدب فيه للحظة، وسيكون الجميع سعداء.

العديد من الناس معادون -للساميين بالطريقة التي كان بها ابن العم جولز لديه أنجلو-فوبيا[2]، للتأكيد، مدركون للمضمون الحقيقي لموقفهم. انطباعات باهتة، أعواد تهزها الريح، ما كانوا بالطبع ليخترعوا معاداة — السامية، إذا لم يكن المعادى-للسامي

---

1 - التضحية البشرية: يشير سارتر هنا لطقس عرف فى بعض الممارسات الدينية القديمة عند بعض الجماعات البشرية؛ التى كانت تقدم البشر قرابين تقربا للآلهة وطلبا لرضائها.

2 - أنجلوفوبيا: الشعور بالخوف المرضى أو الحساسية المفرطة تجاه بريطانيا وما يخصها، والتحامل ضد المواطنين الإنجليز واللغة الإنجليزية عموما.. وهى حالة كانت شائعة فى فرنسا بسبب الصراع التاريخى والحروب المتعددة بين الإنجليز والفرنسيين على فرض السيادة واللغة والثقافة القومية، وفى المقابل كان هناك أيضا فرانسوفوبيا لدى الإنجليز لذات الأسباب.

الواعي موجودا بالفعل. لكنهم من خلاله يؤكدون بلامبالاة على بقاء معاداة- السامية ويحملونها للأمام عبر الأجيال.

نحن الآن في موضع لفهم المعادى- للسامي. إنه رجل خائف. ليس من اليهود، للتأكيد، لكن من نفسه، من وعيه الخاص، من حريته، من غرائزه، من مسئولياته، من عزلته، من التغيير، من المجتمع، ومن العالم- من كل شئ عدا اليهود. إنه جبان لا يريد أن يعترف بجبنه لنفسه؛ قاتل يقمع ويستشعر ميله للقتل دون أن يكون قادرا على كبح جماحه، ومع ذلك الذي يجرؤ على القتل يكون دمية أو يكون محميا من خلال الشكل المجهول للغوغاء: ساخطا لا يجرأ على التمرد على الخوف من الوعي بثورته. باعتناق معاداة- السامية، هو لا يتخذ موقفا ببساطة، هو يختار ذاته باعتباره شخصا. هو يختار ديمومة ومناعة حجر، انعدام المسئولية الكامل للمحارب الذي يطيع قادته — وليس له قائد. هو يختار ألا يكتسب شيئا، ألا يستحق شيئا؛ يفترض أن كل شئ معطى له بوصفه حقا بالميلاد — وأنه ليس نبيلا. يختار أخيرا خيرا يكون ثابتا ونهائيا للأبد، يتجاوز حدود التساؤل، بعيد المنال؛ لا يجرؤ على اختباره بسبب الخوف من أن يجبر على تحديه وأن يضطر للبحث عنه في شكل آخر. يخدمه اليهودي باعتباره ذريعة فقط؛ إن نظيره في مكان آخر سوف يستخدم لذلك الزنجي أو الرجل صاحب البشرة الصفراء. وجود اليهودي يسمح بالكاد لمعادى — السامي بإخماد قلقه في بدايته من خلال إقناع نفسه بأن مكانه في العالم قد حدد مقدما، بأنه ينتظره، وبأن التقاليد تعطيه الحق كي يشغله. معاداة — السامية، اختصارا، هي خوف من الحالة الإنسانية. المعادى — للسامي هو إنسان يتمنى أن يكون حجرا بلا شفقة، سيلا هائجا جارفا، صاعقة مدمرة- أي شئ عدا الإنسان.

2

يملك اليهود صديقا واحدا إنه، على الرغم من ذلك، الديمقراطي. لكنه مدافع ضعيف. بلا شك يدعى أن كل البشر لهم حقوق متساوية؛ لكن تصريحاته ذاتها تظهر ضعف موقفه. في القرن الثامن عشر[1]،قام نهائيا وللأبد، باختياره: الروح التحليلية. لا يملك حسا تجاه التركيبية الملموسة التي يواجهه التاريخ بها. هو لا يعترف باليهودي، ولا العربي، والزنجي، ولا البورجوازى، ولا العامل، لكن فقط الإنسان- إنسان دائما كما هو في كل الأزمنة وكل الأماكن. هو يحلل كل الجماعيات إلى عوامل فردية. بالنسبة له الجسد المادي هو مجموعة من الجزيئات؛ جسد اجتماعي، مجموعة من الأفراد. ويعنى بالفرد التجسد في مثال واحد للسمات الكونية التي تشكل الطبيعة البشرية.

لذلك يستمر المعادى- للسامي والديمقراطي في حوارهما بلا كلل دون أن يفهم أي منهما الآخر أبدا، أو دون أن يدركا أنهما لا يتحدثان بخصوص الأشياء نفسها. إذا لام المعادى- للسامي اليهودي على جشعه، فسيرد الديمقراطي بأنه يعرف يهودا ليسوا جشعين ومسيحيين جشعين. لكن المعادى- للسامي لن يتأثر. الذي كان يقصده أن هناك جشعا "يهوديا"، جشعا يحدده هذا المجمل التركيبي، الشخص اليهودي. يمكن أن يوافق دون حرج أنه من الممكن لبعض المسيحيين أن يكونوا جشعين، بالنسبة له هو مجرد مسيحي. الجشع والجشع اليهودي ليسوا متماثلين. بالنسبة للديمقراطي، على النقيض، يملك الجشع طبيعة عالمية وثابتة يمكن أن تضاف لباقة السمات التي تشكل فردا وتظل باقية كما هي تحت كل الظروف. لا يوجد شكلان لتكون جشعا: واحد يحققه أما الآخر فلا. إن الديمقراطي، مثل العالم، يفشل في رؤية الحالة الخاصة؛ الفرد بالنسبة له هو مجرد مجموع لسمات عالمية. يستتبع ذلك أن دفاعه عن اليهودى ينقذه بوصفه إنسانا لكنه يقضى عليه بوصفه يهوديا. على النقيض من المعادى- للسامي، لا يخاف الديمقراطي من نفسه؛ ما يخافه هو الأشكال

---

1 - القرن الثامن عشر: هو القرن الذى بدأت فيه "الأنظمة الديمقراطية" الحديثة بمفهومها المعاصر فى الظهور والتوالى تباعا ؛ مع تطور أشكالها وتباينها وتطبيقاتها المتعددة فى مختلف دول أوربا.

الجمعية الكبرى التي يكون في مواجهة خطر تفكيكها لأجزاء. لذلك اختار أن يجرب حظه مع الروح التحليلية لأنها لا ترى هذه الحقائق التركيبية. بتبني وجهة النظر هذه، يخاف من استيقاظ "وعى يهودي" داخل اليهودي؛ لذلك، يخاف من أن اليهودى قد يكتسب وعيا بالجماعية اليهودية – بالضبط كما يخاف من "وعى طبقي" قد يستيقظ داخل العامل. دفاعه هو إقناع الأفراد أنهم يوجدون في حالة منعزلة. "لا يوجد يهود"، هو يقول، "لا توجد مسألة يهودية". ذلك يعنى أنه يريد أن يفصل اليهودي عن دينه، عن عائلته، عن مجتمعه العرقي، من أجل أن يغمسه في بوتقة الصهر الديمقراطية التي سينبثق منها عاريا ووحيدا، فرديا جزيئا منعزلا مثل كل الجزيئات الأخرى.

هذا الذي، في الولايات المتحدة، يسمى سياسة الاستيعاب؛ وقد سجلت قوانين الهجرة فشل هذه السياسة وفي المجمل، فشل وجهة النظر الديمقراطية. كيف يمكن أن تكون خلافا لذلك؟ بالنسبة لليهودي، الوعي والفخر بكونه يهوديا، يؤكدان زعمه بكونه عضوا بالمجتمع اليهودي، بدون تجاهل في هذا الشأن للروابط التي توحده مع المجتمع القومي، قد لا يكون هناك الكثير من الاختلاف بين المعادى – للسامي والديمقراطي. الأول يرغب في تدميره بوصفه إنسانا وألا يترك به شيئا سوى اليهودى، المنبوذ، النجس؛ الديمقراطى يرغب في تدميره بوصفه يهوديا وألا يترك به شيئا سوى الإنسان، الموضوع التجريدي والعالمي لحقوق الإنسان وحقوق المواطن.

لذلك من المحتمل أن تكتشف لونا خفيفا من معاداة– السامية عند أكثر الديمقراطيين ليبرالية؛ هو عدائي تجاه اليهودى، تجاه المدى الذي يفكر فيه اليهودى في نفسه بوصفه يهوديا. هو يعبر عن عدائيته عبر نوع من التسامح، سخرية التسالي، بينما يقول عن صديق يهودي تلمح جذوره السامية بوضوح: " تماما الأمر نفسه هو يهودى جدا". أو عندما يعلن: "الشئ الوحيد الذي آخذه على اليهود هو عشائريتهم؛ إذا سمحت لواحد بالدخول، سيحضر عشرة آخرين معه". كان الديمقراطي فى أثناء الاحتلال[1] ناقما بعمق وإخلاص إزاء الاضطهادات المعادية–

1 - يقصد الاحتلال الألمانى لفرنسا فى أثناء الحرب العالمية الثانية.

للسامية، لكنه سيتنهد من حين إلى آخر: "سيعود اليهود من المنفى بغطرسة لا مثيل لها ونهم للثأر وأنا أخاف من انفجار جديد لمعاداة- السامية". الذي يخاف منه حقيقة هو أن تكون الاضطهادات قد ساعدت في منح اليهودي وعيا أكثر وضوحا بنفسه.

يلوم المعادى للسامية اليهودي لكونه يهوديا، يلومه الديمقراطي بتعمده اعتبار نفسه يهوديا. ما بين عدوه ومدافعه، يكون اليهودي في موقف صعب: على ما يبدو لن يستطيع القيام بشئ أكثر من اختيار الصلصة التي سيُلتهم بها[1]. يجب أن نسأل أنفسنا الآن السؤال: هل اليهودي موجود؟ وإذا كان موجودا، ما كنهه؟ هل هو يهودي أولا أم هو إنسان أولا؟ هل يقع حل المشكلة في إبادة كل الإسرائيليين[2] أم في الاستيعاب التام لهم؟ أو هل من الممكن العثور على طريقة أخرى للتعبير عن المشكلة وحلها؟

---

1 - يقصد أن الأمر سيان بالنسبة لليهودى؛ عدوه المعادى للسامية أو صديقه الديمقراطى ففى كل من الحالتين سينتهى الأمر به للخساره، وأن الأمر مجرد شكل خارجي يشبهه المؤلف بنوع الصلصة التى توضع مع الطعام، الذى فى النهاية سيأكل على أية حال وبأية صلصة ونكهة.

2 - يستمر سارتر فى الخلط بين الاستخدام التاريخى لمصطلح "الإسرائيليين" وبين توظيفه الصهيونى كما سيلى.

3

نحن على اتفاق مع المعادى- للسامي في نقطة واحدة: نحن لا نؤمن بـ "الطبيعة البشرية"[1]؛ لا يمكن أن نتخيل المجتمع باعتباره محصلة لجزيئات منعزلة؛ نحن نؤمن بضرورة أخذ الظاهرة: البيولوجية، النفسية، والاجتماعية في الاعتبار في روح من التركيبية. لكننا ننصرف عن المعادى — للسامية عندما يصل الأمر لتطبيق هذه الروح التركيبية. نحن لا نعرف بالتأكيد أى "أساس" يهودي ولسنا من أتباع الديانة المانوية. ولا نعترف بأن الفرنسي "الحقيقي" يستفيد بسهولة من التجربة أو التقاليد التي تركت له من أسلافه؛ نظل ميالين للشك بشدة في موضوع الوراثة النفسية، ونحن على استعداد لاستخدام المفاهيم العرقية في المناطق، التي تلقوا فيها برهانا تجريبيا- في البيولوجيا وعلم الأمراض، على سبيل المثال.

بالنسبة لنا، يعرف الإنسان أولا وقبل أي شئ بوصفه وجودا "في موقف". ذلك يعنى أنه يشكل مجملا تركيبيا مع موقفه — بيولوجيا ، اقتصاديا، سياسيا، ثقافيا، الخ. لا يمكن التمييز بينه وبين موقفه، لأنه يشكله ويحدد إمكانياته؛ لكن بشكل عكسي، إنه هو الذي يعطيه معنى عبر صنعه، والاختيارات التي يحتويها ومن خلالها. أن تكون في موقفا، كما نراه، هو أن تختار الذات في موقف، ويختلف البشر عن بعضهم في مواقفهم وأيضا في اختياراتهم هم بأنفسهم يصنعون أنفسهم. الذي يشترك البشر في امتلاكه ليس "طبيعة" إنما حالة، مجموعة من الحدود والقيود: حتمية الموت، ضرورة العمل من أجل اكتساب العيش، الحياة في عالم مسكون بالفعل من أناس آخرين. هذه الحالة لا تزيد بشكل رئيسي عن كونها الموقف الإنساني الأساسي، أو، إذا كنت تفضل، مجموعة السمات المجردة المشتركة في كل المواقف. اتفق لذلك مع الديموقراطي في أن اليهودي هو إنسان مثل من سواه من البشر، لكن ذلك لا يخبرني بشئ على وجه الخصوص — عدا أنه حر، وأنه في الوقت نفسه في عبودية، أنه ولد، يستمتع

---

1 - يرى سارتر فى فلسفته الوجودية أن الإنسان هو ابن لموقفه وظروفه واختياراته؛ ولا يعول كثيرا على فكرة الطبيعة البشرية المسبقة للبشر من حيث كونها شرا محضا أو خيرا محضا، وهنا تأتى مقولته الشهيرة: "الوجود يسبق الماهية"؛ فهو يقصد أن وجود الإنسان وحياته واختياراته هى التى تحدد وجوده وطبيعته؛ وليس العكس أن هناك طبيعة ما للإنسان هى التى تحدد له بشكل مسبق شكل حياته واختياراته.

بالحياة، يعاني، ويموت، أنه يحب ويكره، كما يفعل كل البشر. لا أستطيع أن أستقى أكثر من ذلك من هذه البيانات مفرطة العمومية. إذا ما رغبت في معرفة من هو اليهودي، يجب أن أستفسر بداية عن الموقف المحيط به، مادام وجودا في موقف. أحذر أنني سوف أقصر وصفى على اليهود في فرنسا، لأن مشكلة اليهودي الفرنسي هي مشكلتنا[1].

أنا لن أنكر أن هناك عرقا يهوديا. ولكن يجب أن يفهم كل منا الآخر على الفور. إذا ما فهم بـ"عرق" المركب غير القابل للتعريف الذي يتقاذفه مختلطا الحابل والنابل، كل من: السمات الجسدية والفكرية والصفات الأخلاقية، فأن أومن به بشكل لا يزيد عن إيماني بـ "ألواح-ويجا" (ouija-boards)[2]. الذي، لافتقاري لمصطلح أفضل، سأسميه السمات العرقية، هي مكونات جسدية موروثة محددة يقابلها المرء بشكل أكثر تكرارية بين اليهود عما هو بين غير-اليهود. هنا مازال من المستحسن أن تكون فطنا: ربما من الأسوأ الأفضل أن نقول أعراقا يهودية. نعرف انه ليس كل الساميين يهودا، وهو ما يعقد المشكلة. ونعرف أيضا أن بعض اليهود الشقر من روسيا ينفصلون عن يهود الشعر —الصوفي من الجزائر أكثر قليلا من "الآريين" من شرق بروسيا. في واقع الأمر، يملك كل بلد يهوده وصورتنا للإسرائيلى[3] تتطابق بصعوبة مع كل صور جيراننا.

عندما عشت في برلين في بداية النظام النازي، كان لدى صديقان فرنسيان أحدهما كان يهوديا والآخر لم يكن كذلك. اليهودي كان من "النوع السامي الملحوظ": لديه أنف معقوف، أذنان بارزتان، شفاه ممتلئة. قد يتعرف عليه رجل فرنسي دون تردد. لكن بما انه كان أشقر الشعر، نحيلا، ورابط الجأش، خدع الألمان تماما. كان يسلى نفسه أحيانا بالخروج — مع رجال الـ " إس إس"[4]، الذين لم

---

1 - على الرغم من تصريح ساتر بذلك؛ إلا انه سوف يرى – ضمنا وتصريحا- فى الدولة القومية لليهود فى فلسطين حلا لهذه المشكلة وللمسألة اليهودية عموما كما سيلى.

2 - لوح خشبي، يشاع عنه قواه السحرية والروحية، في معرفة الأسرار والمستقبل والإجابات وما إلى ذلك.

3 - نلاحظ استمرار سارتر فى الخلط بين اليهودى والإسرائيلى.

4 - الـ "إس إس": منظمة كانت تابعة للحزب النازى أنشئت فى عشرينيات القرن العشرين 1925 وكانت مكلفة بحماية هتلر، وفي سنة 1939 أصبحت وحدة شبه عسكرية مستقلة تضطلع بمهام بوليسية في صلب تنظيم الحزب النازى.

يشكوا في عرقه. قال له أحدهم يوما ما: "أستطيع أن أعرف اليهودي من على بعد مئة ياردة". صديقي الآخر كان كاثوليكيا من كورسيكا[1]، ابنا وحفيدا لكاثوليكيين[2]، لكنه كان لديه شعر أسود ومجعد بعض الشئ، أنف بربوني[3]، بشرة شاحبة، وكان قصيرا وسمينا. ألقى عليه الأطفال في الشارع الحجارة وأسموه "يهوذا". ذلك لأنه شابه إلى حد بعيد نمطا محددا لليهودي الشرقي والذي كان شائعا في الصورة النمطية الألمانية.

أيا ما يكون ذلك، حتى الاعتراف بأن كل اليهود لهم سمات جسدية مشتركة قد يكون تسرعا في الاستنتاج من ذلك، إذا لم يكن عبر القياس المبهم، بأنهم يجب أن يظهروا سمات الشخصية نفسها. أو الأفضل: العلامات الجسدية التي تشبه جروح المسيح والتي يمكن أن يلاحظها المرء في السامي هي مكانية، لذا توضع جانبا ويمكن فصلها. يمكنني في ملاحظة لحظية أن أجد أي واحدة منهم في "الآري". أيجب أن أستنتج، إذن، أن هذا "الآري" يملك نوعية نفسية تنسب بشكل مألوف لليهود؟ لا بشكل جلي. لكن في هذه الحالة تتداعى كل النظرية. إنها تفترض مقدما أن اليهودي هو مجمل لا يتجزأ، في حين قد بينًا للتو أنه فسيفساء بها كل عامل يمثل قطعة حصى يمكن أن نأخذها ونضعها في نمط آخر. لذلك لا نستطيع الاستدلال على الأخلاقي من الجسدي ولا افتراض علم نفس-جسدي بالمثل. إذا ما أخبرت بأنني يجب أن آخذ في اعتباري مجموعة السمات الجسدية، سأجيب: أن هذه المجموعة ليست محصلة لسمات عرقية، وأن تلك المجموعة لا يمكن بأي حال أن تمثل المعادل المكاني لتركيبية جسدية – ليس أكثر من تشبيه فكرة بتجمع خلايا مخية – أو عندما نتحدث عن المظهر الجسدي لليهودي، نفهم مجموعا كليا توفيقيا يخضع للحدس. في هذه الحالة، للتأكيد، قد يكون هناك بنية "جشطالت"[4] بالمعنى الذي يفهمه

---

1 - كورسيكا: جزيرة فرنسية فى البحر المتوسط تقع جنوب شرق فرنسا، وإلى الغرب من إيطاليا شمال جزيرة سردينيا الإيطالية.

2 - الكاثوليكية: هى المذهب المسيحى الرئيسى والأكثر شيوعا فى العالم واكبر طوائف المسيحية عددا، وتتبع الكنيسة الرومانية التى مقرها الفاتيكان فى إيطاليا.

3 - أنف بربوني: نسبة إلى "آل بربون" وهى عائلة ملكية أوربية سيطرت أولا على أجزاء من فرنسا، ثم مدت سيطرتها إلى أسبانيا وأجزاء من إيطاليا ويرجع نسبهم إلى الفرنسى: لويس الأول دوق بوربون .

4 - جشطالت: الجشتالت إحدى نظريات علم النفس والإدراك؛ نشأت فى ألمانيا وتعتمد على فكرة الإدارك الكلى لمجموع اجزاء موقف ما؛ والتى تعطى النتيجة الأفضل لفهمه وإداركه إجمالا ويشكل كلى بما ينتج القدرة

"كولر"[1] للكلمة، و يلمح المعادون- للسامي لهذا عندما يتظاهرون بأنهم "يشمون يهوديا"، "يشعرون بوجود يهودى"، الخ. فقط، من المستحيل أن نرى عوامل جسدية منفصلة عن الدلالة النفسية المختلطة بهم.

ها هو يهودى يجلس على عتبة بابه في "شارع باقات الزهور". أتعرف عليه فورا كيهودي: له لحية مجعدة وسوداء، أنف معقوف قليلا، أذنان بارزتان، نظارة مكسوة بالصلب، قبعة سوداء صغيرة مسدلة فوق عينيه، ملابس سوداء، إيماءات سريعة وعصبية، وابتسامة غريب وطيبة حزينة. كيف يمكنني أن أفكك الجسدي عن الأخلاقي؟ لحيته سوداء ومجعدة؛ تلك سمة جسدية. ولكن الذي يصدمني علاوة على كل شئ أنه يتركها تنمو؛ يعبر عبر ذلك عن تعلقه بتقاليد المجتمع اليهودي؛ يوضح أنه قد جاء من بولندا، وأنه ينتمي لمهاجرين من الجيل الأول. هل ابنه أقل يهودية بكونه حليق –الذقن؟ إن سمات أخرى، مثل شكل أنفه وموضع أذنيه، هي تشريحية بينما غيرها، مثل اختيار الملبس والتعبير الجامد والعرف، تكون نفسية واجتماعية. إذن ما الذي يكشف لي هذا الرجل كإسرائيلي، إذا لم تكن هذه المجموعة المتلازمة التي يختلط فيها لحد بعيد: النفسي والجسدي، الاجتماعي، الديني والفردي، ما إذا لم تكن هذه التركيبية الحية، التي لا يمكن بشكل واضح أن تنتقل وراثيا والتي، في النهاية، تتطابق مع شخصية كاملة؟ لذلك يجب علينا أن نتصور: السمات الوراثية والجسدية لليهودي؛ بوصفهما عنصرا واحدا من بين غيرهم في موقفه [الوجودى][2]، وليس كحالة تحدد طبيعته.

على الاستبصار وإدارك المعنى، وازدهرت فى مقابل الفكر التحليلى البنيوى الذى يحاول دراسة العناصر والنظر لتفاضيل وأجزاء الموقف لفهمه وسبر غوره؛ والمراد هو تأكيد سارتر على الفكرة الجامدة والكلية لليهودى التى يشكلها المعادى للسامى كتصور مسبق وفكرة كلية جاهزة.

1 - كولر: Koehler أحد العلماء الذين ارتبطت بهم نظرية الجشتالت؛ فرغم أن مؤسس النظرية كان العالم ماكس فريتمر إلا أنها عرفت باسم كولر- كوفكا، وكان كوفكا عالما آخر انضم لهما وشارك فى إجراء التجارب التى أكدت على مكانة النظرية فى اوربا وامريكا.

2 - يستمر سارتر هنا فى تطبيق مفهومه الوجودى للحياة؛ معتبرا أن الظروف المحيطة باليهودى أو ما يشكل إجمالا ما يسميه: الموقف، هو ما يخلق لليهودى شخصيته ويحدد طبيعته، مؤكدا على أن السمات الدينية والعرقية والاجتماعية المتوارثة ليست سوى عنصر واحد فقط من الظروف المحيطة باليهودى.. وليس لها الدور الحاسم فى تشكيل شخصية اليهودى واختياراته، حيث يأخذ سارتر موقفا سلبيا من مفهوم الشخصية القومية أو الجماعية الموروثة عموما.

إن الفشل في تحديد اليهودي من خلال عرقه، سيعرفه من خلال دينه أو من خلال الوجود الصارم للمجتمع القومي الإسرائيلي[1]، هنا تصبح المسألة معقدة. بالتأكيد كان هناك في وقت سحيق في الماضي مجتمع ديني وقومي يسمى إسرائيل. لكن تاريخ هذا المجتمع هو تاريخ تفسخ عبر فترة 25 قرنا من الزمان. بداية فقد سيادته؛ كان الأسر البابلي، ثم السيطرة الفارسية، ثم الفتح الروماني. يجب ألا ننظر لهذا باعتباره أثرا للعنة – إلا إذا كانت هناك لعنات جغرافية. موقف فلسطين، هو تقاطع طرق لكل دروب التجارة للعالم القديم، وسحق ما بين إمبراطوريات قوية، إنه كافٍ لتفسير هذا الاضمحلال البطئ لهذه السلطة. قويت الرابطة الدينية بين يهود الشتات، وأولئك الذين ظلوا في أرضهم؛ أخذت إحساس وقيمة الرابط القومي. لكن هذا "التحول" يجب الشك فيه، إنه يدل على روحانية روابط جماعية، والروحية، فوق كل اعتبار، تعني الضعف. في مدة قصيرة بعد هذا، علاوة على ذلك، أحدث مقدم المسيحية التقسيم؛ سبب ظهور هذه الديانة الجديدة أزمة كبرى في العالم الإسرائيلى، واضعا المهاجرين اليهود في مواجهة الذين ظلوا في مملكة يهودا[2]. على عكس "الشكل القوى" الذي كانت عليه المسيحية في البداية، بدت الديانة العبرية مباشرة كشكل ضعيف، في طريقها للتحلل. استطاعت الحفاظ على نفسها فقط عبر سياسة معقدة من الامتيازات والعند. زادت من اضطهاد اليهود وشتاتهم في عالم العصور الوسطي[3]؛ وبشكل خافت للغاية زادت بفعالية تقدم التنوير والروح النقدية.

---

1 - نلاحظ تبنى سارتر لمقولات الدعاية الصهيونية ومصطلاحاتها؛ فوجود اليهود أو قوم موسى أو بنى إسرائيل فى أرض كنعان (فلسطين) لم يرتبط فى اى عصر باسم "المجتمع الإسرائيلى"، إنما هذا المصطلح تم اعتماده من قبل الصهيونية واختياره من بين عدة أسماء أخرى كانت مقترحة إبان مناقشة المشروع وقبل إعلان الدولة، حتى ان هرتزل أبا الصهيونية السياسية سمى كتابه: دولة اليهود، قبل الاستقرار على اسم إسرائيل، حيث كان مقترحا عدة أسماء منها: يهودا(نسبة لاسم المملكة القديمة)، عيبر(نسبة للغة العبرية)، تسيون (صهيون).. وكان الشائع فى التوراة مصطلح "أرض إسرائيل" وارتباطه بالوعد الإلهى لبنى إسرائيل، وتم تبنيه استنادا لأطروحات صهيونية دينية تحلم باستعادة المجد والظهور السياسى مجددا من النيل للفرات.

2 - السيادة السياسية التاريخية لليهود على فلسطين (كنعان) انقسمت لفترتين رئيسيتين؛ مملكة داود وسليمان عليهما السلام ومعهما شاؤل والتى قاربت المئة عام فقط، والفترة الثانية انقسام السيادة السياسية القصيرة جدا إلى مملكة يهوذا فى الجنوب و السامرة فى الشمال اللتين لم تدم لهما أيضا سيادة سياسية طويلة لفترة متصلة من الزمان على فلسطين، قبل أن تذوب السيادة السياسية لبنى إسرائيل فى أرض كنان بشكل نهائى.

3 - للمرة الأولى وربما سهوا؛ يعترف هنا سارتر بدور مباشر وواضح لـ "الأساس" اليهودى الذى ينكره طيلة الكتاب! فيعترف سارترأن هناك شكلا أو نمطا تاريخيا معينا هو الذى حافظ فكرة اليهود كجماعة بينهم أشياء مشتركة بالرغم من تشتتهم، وهذا النمط باعتراف سارتر تم عبر: "امتيازات وعند"، وهو الذى كان السبب فى زيادة – أو ربما خلق – العداء والاضطهاد تجاه اليهود، فى هذه الفقرة وعند محاولة سارتر لمقاربة التحليل

يملك اليهود الذين يحيطون بنا اليوم اتصالا طقسيا ولطيفا بديانتهم. سألت أحدهم مرة لماذا قام بختان ابنه. أجاب: "لأن ذلك أسعد أمي، ولأنه الشئ الصحيح لفعله". "ولماذا تتمسك به أمك؟" "بسبب أصدقائها وجيرانها". أدركت أن التفسيرات المفرطة في العقلانية تخفى حاجة سرية وراسخة لتعلق الذات بالتقليد و، في غياب ماض قومي، لإعطاء الأشخاص جذورا في ماض من الشعائر الدينية والعادات[1]. لكن ذلك مجرد نقطة: الدين هو مجرد وسائل رمزية. كانت الديانة اليهودية على الأقل في أوربا الغربية غير قادرة على مقاومة الهجمات التي شنتها العقلانية والروح المسيحية؛ اعترف اليهود الملحدون الذين سألتهم بأن حوارهم حول وجود الله استمر في مواجهة الدين المسيحي. كان الدين الذي هاجموه والذي أرادوا أن يحرروا منه الأنفس هو المسيحية؛ إلحادهم لا يختلف عن إلحاد روجر مارتن دو جار[2]، الذي قال إنه حل نفسه من ارتباط العقيدة الكاثوليكية. إنه ليس ظرفيا أن يكون اليهود ملحدين بالتلمود؛ إن القسيس، بالنسبة لهم جميعا، يعنى راعى الكنيسة ، وليس الحاخام[3].

لذلك تبدو حقائق المشكلة كما يلى: مجتمع تاريخي واقعي قومي وديني بشكل أساسي؛ لكن المجتمع اليهودي، الذي كان في وقت يمثل الاثنين، حرم شيئا فشيئا من

التاريخى فى المسألة اليهودية، وجد بنفسه نقطة البداية فى بناء نموذج "الصورة النمطية لليهودى" فى أوربا، والحقيقة أن هذا التحليل والاعتراف من سارتر يهدم العديد من مقولات أطروحته القائمة على اعتبار أن اليهود شعب رد فعل لظروف خارجية، وتؤكد على وجود سمات تاريخية كانت هى نقطة البداية فى بناء نموذج الشخصية اليهودية الذى ينكره سارتر طيلة الكتاب! ويحاول بدلا من ذلك نفى وجود هذه الشخصية وأن العالم الأوربى هو الذى خلقها ويجبر اليهودى على اتباعها! وهذا لا يعنى بالقطع الموافقة على أى نوع من العقاب والتصفية العرقية الجماعية ضد اى شعب أو جماعة من الجماعات البشرية، مثل التى مارسها هتلر او غيره، ولكن ضد أن يوظف ذلك لسرقة أرض جماعة أخرى (الفلسطينين) لا ذنب ولا جريرة لهم.

1 - نلاحظ استمرار سارتر – ورغما عن أطروحته – فى تقديم أسباب وتفاصيل النموذج التاريخى للشخصية اليهودية وسماتها وكيفية خلقها واستمرارها من جانب اليهود، وهو النموذج الذى ينكر وجوده فى مقاربته الأساسية.

2 - روجر مارتن دو جار: هو Roger Martin du Gard روائى وكاتب فرنسى حاصل على جائزة نوبل فى الآداب عام 1937، عاش فى الفترة من 1881-1958، أهم أعماله هى روايته التى صدرت فى ثمانية أجزاء "آل تيبو" (Les Thibault)، وعرف مارتن بالتقلب والحيرة الفكرية والنفسية طوال حياته؛ واعتنق المذهب اللاأدرى الذى يقول بعدم قدرة الإنسان على حسم موقفه بشكل نهائى من وجود الخالق – جل تعالى- أو عدمه فى الحياة البشرية، وهى فى النهاية مذهب لا دينى يحسب على المواقف الإلحادية؛ ولكنه لا يعلن صراحة مثل الملحدين عدم وجود الخالق، بل يكف عن المسألة ويرى عدم القدرة على حسمها.

3 - يقصد سارتر أن الحاخام أو "الرابى" الذى هو زعيم الطائفة الدينية أو رجل الدين المتخصص الذى يفتى فى الأمور الدينية ويقضى بين اليهود تاريخيا؛ أصبح غير ذى صفة عند اليهود! وانه أصبح عندهم يحمل شكلا رمزيا أقرب لراعى الكنيسة (vicar) فى المسيحية.

هاتين السمتين الواقعيتين. يمكن أن نسميه مجتمعا تاريخيا نظريا. فرض شتاته تكسر العادات المشتركة، والملاحظ علاوة على ذلك أن قرون شتاته وعجزه السياسي العشرين قد منعت امتلاكه لماض تاريخي. إذا كان الأمر حقيقيا، يقول هيجل، إن المجتمع يكون تاريخيا بالدرجة التي يتذكر فيها تاريخه، بالتالي المجتمع اليهودي هو الأقل تاريخية على الإطلاق، لأنه لا يحتفظ بذاكرة لشئ سوى حالة الشهادة الطويلة التي تعبر عن سلبية طويلة[1].

ما الذي، إذن، يخدم الحفاظ على مظهر خارجي للوحدة في المجتمع اليهودي؟ للإجابة عن هذا السؤال، يجب أن نعود لفكرة الموقف.إنه ليس ماضيهم، دينهم، أو أرضهم التي توحد أبناء إسرائيل. إذا ما كانوا يملكون رابطا مشتركا، إذا كانوا يستحقون جميعا لقب اليهودي، فلأن المشترك بينهم هو موقف اليهودي، أي، أنهم يعيشون في مجتمع يعاملهم على اعتبار أنهم يهود.

في كلمة واحدة، إن اليهودي قابل للاستيعاب تماما من جانب الأمم المعاصرة، لكن يتم تعريفه كيهودي لا ترغب هذه الأمم في استيعابه. الذي قلب الرأي ضده في الأصل، أنه كان قاتل المسيح. هل توقفنا في أي وقت لنتمعن في الموقف الذي لا يطاق لرجال حكم عليهم بالعيش في مجتمع[مسيحى] يهيم بالإله الذي قتلوه؟ كان اليهودي لذلك أصلا قاتلا أو ابنا لقاتل — في عيون مجتمع لديه مفهوم ما قبل منطقي عن المسئولية يساويها بالحتمية — كان ذلك للحد الذي كان فيه "تابو"[2]. كان جليا أننا لا يمكن أن نعثر على التفسير لمعاداة- السامية المعاصرة هنا؛ لكن إذا كان المعادى — للسامي قد اختار اليهود كهدف لكراهيته، فإن ذلك بسبب الاشمئزاز الديني الذي كان يثيره اليهودي دائما.

---

1 - هنا يُطرح السؤال: ما هو التاريخ الشعبى و القومى؟ هل هو الأحداث والتفاصيل المسجلة وفقط؛ أم هو الاختيارات والموروث والعادات وما ينتقل من جيل لجيل بالوعى والتلقين؛ يهمل سارتر هنا دور المتخيل والغيبى والعقائدى والشعبى الفلكلورى.. يهمل سارتر اختيار جماعة ما، ويحاول أن يسلب الشخصية اليهودية كل سماتها التى اختارتها وحافظت عليها باختيارها عبر التاريخ، لصالح أن يجعلها هو بنفسه: تتشبع بحالة الشهادة والمظلومية والرد فعل للآخرين! هذا مع الأخذ فى الاعتبار انه اعترف فى فقرة سابقة بوجود النمط التاريخى للشخصية اليهودية الذى تشكل عبر "العند والامتيازات"!

2 - تابو: أى فكرة تحظى بنوع من القداسة، وتعتبر من الأعراف والتقاليد الثابتة فى المجتمع، والتى من المحظور النقاش فيها، فالتابو يشبه الخط الأحمر الذى لا يمكن للمجتمع أن يتجاوزه أو أن يناقشه، والمقصود هنا أن صورة اليهودى كانت شيئا ثابتا وغير قابل للمناقشة فى أوربا.

هذا الاشمئزاز كان له أثر اقتصادي عجيب. إذا تسامحت كنيسة العصور الوسطي مع اليهود في حين كان يمكن لها استيعابهم بالقوة أو ذبحهم، فذلك لأنهم كانوا يشغلون وظيفة اقتصادية حيوية. ملعون، لقد تبعوا ملعونا، لكنه مهنة لا استغناء عنها دون إمكانية لامتلاك الأرض أو الخدمة في الجيش، المتحكم في عملية مرور الأموال، والتي لا يستطيع أن يتولاها مسيحي دون أن يدنس نفسه. وهكذا سرعان ما تم تعزيز اللعنة الأصلية بلعنة اقتصادية، وعلاوة على كل شئ كانت الأخيرة هي التي استمرت. نلوم اليهود اليوم على اتباعهم أنشطة غير إنتاجية، دون الأخذ في الاعتبار حقيقة أن استقلالهم الذاتي الواضح داخل الأمة ينبع من حقيقة أنه تم إجبارهم في الأصل على هذه المهن، عبر منعهم من كل ما سواها. لذلك فإنه ليس من المبالغة القول إن المسيحيين هم الذين صنعوا اليهودي من خلال الإيقاف القاطع لاستيعابه ومن خلال تزويده، برغم أنفه، بوظيفة ازدهر فيها منذ حينها.

هنا توجد، أيضا، حقيقة مجرد ذكرى؛ التفرقة في الوظائف الاقتصادية هي اليوم بالشكل الذي لا يستطيع فيه المرء تخصيص نطاقا محددا من النشاط لليهودي؛ في الغالب من الممكن ملاحظة أن استبعاده الطويل من بعض المهن قد حوله عنهم حتى عندما كان يملك الفرصة للاشتغال بهم. لكن المجتمع المعاصر تشبث بهذه الذكرى وجعلها الذريعة والأساس لمعاداته – للسامية. لذلك، لكي نعرف ماهية اليهودي المعاصر، يجب أن نسأل الضمير المسيحي، يجب ألا نسأل "ما هو اليهودي؟" ولكن ما الذي صنعته أنت من اليهود؟" اليهودي هو الذي يعتبره الآخرون يهوديا: هذه هي الحقيقة البسيطة التي يجب أن نبدأ منها. بهذا المعنى يكون الديمقراطي ضد المعادى –للسامي على الفور، لأن المعادى – للسامي هو الذي خلق اليهودي. لكن سيكون من الخطأ القول إن الريبة، الفضول، والعداء المقنع الذي يجده الإسرائيليون حولهم ليس أكثر من تمثلات متقطعة لقلة من المتهورين. بشكل أولى، كما رأينا، معاداة السامية هي تعبير عن مجتمع بدائي، برغم سريتها وانتشارها، والتي تظل كامنة في الشرعية الجماعية. لا يجب علينا أن نفترض، لذلك، أن هيجان كريم في العاطفة، عدة كلمات قليلة، وضربة قلم ستكون كافية لإخمادها. ذلك قد يشبه تخيلك بإمكانية إلغاء الحرب من خلال إدانة آثارها في كتاب.

بلا شك يثمن اليهودي التعاطف الذي يثار معه كقيمة صائبة، لكن ذلك لا يمكنه أن يمنع رؤيته لمعاداة-السامية كبنية دائمة في المجتمع الذي يعيش فيه. هو يعلم، علاوة على ذلك، أن الديمقراطيين وكل هؤلاء الذين يدافعون عنه لديهم ميل لمعالجة معادة-السامية بتساهل إلى حد ما. أولا وقبل أي شئ، نحن نعيش في جمهورية، حيث الحرية لكل الآراء. بالإضافة إلى ذلك، لا تزال خرافة الوحدة القومية تمارس تأثيرا ملحوظا على الفرنسيين بحيث يكونون على استعداد لأفدح التنازلات في سبيل تفادى الصراع الداخلي، خصوصا في فترات التوتر الدولي — والتي توجد ، بالطبع، بالضبط عندما تكون معاداة- السامية في أشد عنفها. ساذج وعامر بالنية الطيبة، وحتميته، يقدم الديمقراطي كل التنازلات؛ لا يقدم المعادى — للسامي أيا منها. لديه ميزة غضبه. يقول الناس، "لا تستثره". يتكلمون بنعومة في حضوره.

في عام 1940، على سبيل المثال، أخذ العديد من الفرنسيين جانب حكومة بيتان[1]، والتي لم تفشل في تقديم الوعظ بشأن الوحدة — ونعرف تحت أية تحفظات. دشنت هذه الحكومة عدة إجراءات معادية-للسامية. لم يعترض أنصار حكومة بيتان (البيتانيون)، لقد شعروا بعلة تماما فى شعورهم بالراحة، لكن ما الذي كان يمكن فعله؟ إذا ما كان يمكن إنقاذ فرنسا على حساب بعض التضحيات، ألم يكن من الأفضل أن يغلق المرء عينيه؟ لم يكن هؤلاء الناس معادين-للساميين بالطبع؛ حتى إنهم تحدثوا لليهود الذين قابلوهم بمواساة وأدب. ولكن كيف يمكن لهؤلاء اليهود ألا يدركوا أنه كان يتم التضحية بهم في سبيل وهم فرنسا موحدة وبطريركية[2]؟

اليوم[3] هؤلاء اليهود الذين لم يرحلهم الألمان أو يقتلوهم يعودون لمنازلهم. العديد كانوا من بين الأعضاء الأوائل للمقاومة؛ آخرون كان لديهم أبناء أو أبناء عمومة في

---

1 - حكومة بيتان: بعد هزيمة ألمانيا لفرنسا عام 1940، تم تقسيم البلاد لجزءين، احدهما محتل والآخر محرر بشكل صورى وتحت نفوذ الألمان، حيث تولى فيليب بيتان Philippe Pétain وهو قائد عسكرى فرنسى رئاسة الحكومة التى انتقلت لمدينة فيشى الفرنسية عقب مفاوضات هدنة مع الألمان، وكانت حكومة متعاونة مع الألمان وتمت محاكمة بيتان بتهمة الخيانة العظمى بعد الحرب.

2 - بطريركية: فى المسيحية تعنى رئيس الأساقفة فى الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية؛ وفى معناها العام تشير لفكرة النظام الذى يعتمد على سلطة الأب والحديث باسم الجماعة والتقاليد الراسخة، والمقصود هنا يأتى فى نفس السياق: أى فرنسا التى تحافظ على التقاليد والجماعة وما هو تاريخى.

3 - كتبت في أكتوبر عام 1944.. وكان الكتاب بأكلمه يتحدث عن فترة ما بعد الحرب فى فرنسا وفى سياق ظروف عودة اليهود الفرنسيين ومناصرة سارتر لها.

جيش لوكلير[1]. الآن تحتفل كل فرنسا وتتآخى في الشوارع؛ الصراع الاجتماعي وكأنه تم نسيانه مؤقتا؛ تخصص الجرائد أعمدة كاملة لقصص سجناء الحرب والمرحلين. هل نقول أي شئ بخصوص اليهود؟ هل نفكر في هؤلاء الذين ماتوا في غرف الغاز في لوبلين؟ ولا كلمة. ولا سطر في الجرائد. ذلك لأننا يجب ألا نثير المعادين-للسامي؛ وأكثر من أي وقت مضى، نحتاج للوحدة. سيخبرك الصحفيون الذين يجيدون التعبير: "في سبيل مصلحة اليهود أنفسهم، لن يجدي الآن الحديث عنهم كثيرا" لمدة أربع سنين قد عاش المجتمع الفرنسي بدونهم؛ وكذلك الأمر أيضا كي لا تؤكد بقوة حقيقة أنهم عادوا للظهور مجددا.

هل يعتقد أحد أن اليهود لا يعرفون ما الذي يجرى، إنهم لا يفهمون أسباب هذا الصمت؟ بعضهم يوافق، ويقول: "كلما كنا غير ملحوظين، كان أفضل". أيمكن لفرنسي، موقن من نفسه، من دينه، ومن عرقه، أن يفهم الحالة النفسية التي تملى مثل هذا التصريح؟ أليس واضحا أنه بالوصول لهذه الحكمة المنزوية، في سياسة طمس-الذات هذه، أن اليهود يجب أن يكونوا لسنين على معرفة بهذه العدائية، النظرات القبيحة التي تراقب دائما، اللامبالاة التي لديها الاستعداد دائما للتحول لشفقة- أهذا في الوطن الخاص بهم؟ لذلك قاموا بعودة مستترة، وفرحتهم بكونهم أحرارا ليست جزءا من فرحة الأمة. ستسهم الحكاية القصيرة التالية في توضيح ما الذي عانوه بهذا الخصوص. فى نشرة "ليتر فرانسيس" الأدبية[2]، وببساطة في سعى من أجل الكمال، كتبت شيئا أو أكثر عن معاناة سجناء الحرب، المرحلين، السجناء السياسيين، وعن اليهود. شكرني العديد من اليهود بأشد الأساليب تأثيرا. إلى أي حد يجب أن يكونوا قد شعروا بالتخلي عنهم تماما، ليفكروا في شكر كاتب لأنه بالكاد ذكر كلمة "يهودى" في مقالة!

---

1 - جيش لوكلير: هو الجيش الذى نسب لأحد القادة العسكريين وأبطال الحرب الفرنسيين أثناء مقاومة الاحتلال الألمانى، وهو الجنرال فيليب ماري فيكونت دي أوتكلوك والذى اتخذ له اسما حركيا: جاك فيليب لوكلير، وهو الذى حرر باريس من الاحتلال الألمانى، وعرف بجرأته وبراعته فى القيادة.

2 - ليتر فرانسيس: هى نشرة أدبية فرنسية "Lettres Françaises" أسست عام 1941 وكانت فى الأصل مجلة سرية للمقاومة الفرنسية فى المناطق التى احتلها الألمان، وكانت واحدة من المنشورات المتعددة لحركة المقاومة المعروفة باسم: الجبهة القومية.

لذلك اليهودي في موقف اليهودي لأنه يعيش في وسط مجتمع يعامله على أنه يهودى. له أعداء مفعمون بالعاطفة، ومدافعون يفتقدون للعاطفة. يعتنق الديمقراطي الاعتدال؛ يعاتب أو ينصح بينما تحترق المعابد اليهودية (السيناجوج). هو متسامح بحكم صنعته؛ هو، حقيقة، متفاخر بالتسامح ويوسع نطاقه حتى لأعداء الديمقراطية. ألم يكن النمط الشائع بين راديكالي اليسار هو اعتبار "موريس"[1] عبقريا؟ كيف يمكن للديمقراطي أن يفشل في فهم المعادى – للسامي! الأمر كما لو كان مأخوذا بكل من يتآمرون على سقوطه. ربما في صميم قلبه يتوق للعنف الذي حرم نفسه منه.

على أية حال، الصراع ليس عادلا. إذا ما كان الديمقراطي سيضع بعض الحماس في دفاعه عن اليهودي، لوجب عليه أن يكون من أتباع الديانة المانوية أيضا، ويساوى اليهودي بمبدأ الخير. ولكن كيف يمكنه أن يفعل ذلك؟ إن الديمقراطي ليس أحمق. هو يجعل من نفسه محاميا لليهودي لأنه يراه بوصفه عضوا في الإنسانية؛ وطالما أن للإنسانية أعضاء آخرون عليه أن يدافع عنهم أيضا، فإن الديمقراطي لديه الكثير ليفعله؛ لذا يشغل نفسه باليهودي عندما يكون لديه وقت. لكن المعادى – للسامي لديه عدو واحد فقط، ويستطيع أن يفكر فيه طوال الوقت. لذلك هو الذي يسيطر على الأمر. إنه يتم الهجوم عليه بشدة، ويدافع عنه بضعف، يشعر اليهودي بالخطر في مجتمع تكون معاداة –السامية فيه هي الإغراء المستمر. هذا ما يجب أن ننظر إليه بشكل أكثر قربا.

اليهود الفرنسيون في الأغلب الأعم أعضاء في الطبقة العليا أو الدنيا. عموما، هم يتتبعون المهن سأسميها مهن الرأي، بالمعنى الذي لا يعتمد النجاح فيه على مهاراتهم في معالجة المواد الخام ولكن على الرأي الذي يملكه الرجال الآخرون فيهم. سواء كان الرجل محاميا أو بائع سلع صغيرة، فإن زبائنه يأتون إذا كان يبعث السرور في النفس. يستتبع ذلك أن المهن التي نتحدث عنها تكون زاخرة بالطقوس؛ من الضرورة أن تغوى، أن تخلب لب العقل، وأن تحتفظ بالثقة. الزى المناسب، الصرامة الواضحة في الإدارة، الشرف، ترتكز كلها على هذه الأصول، على الآلاف من

---

1 - يقصد Charles Maurras تم تعريفه من قبل.

خطوات الرقص الصغيرة التي من الضروري القيام بها لتجذب زبونا. لذلك الذي يأتي في المقدمة قبل أي شئ آخر هو السمعة. الرجل يصنع سمعته؛ يعيش عليها؛ ذلك يعنى أنه يعتمد تماما بالأساس على رجال آخرين، حيث على الفلاح بشكل أولى أن يتعامل مع أرضه، والعامل مع مواده وأدواته.

لذلك يجد اليهودي نفسه في موقف متناقض: يناسبه الأمر تماما أن يكسب سمعة بسبب الأمانة، تماما كما يفعل الآخرون وبالطريقة نفسها التي تضاف بها هذه السمعة لسمعة أولية مفادها كونه يهوديا — والتي فرضت عليه "السكتة الدماغية" التي لا يستطيع أن يحرر نفسه منها مهما كان الذي قد يفعله. العامل اليهودي في المنجم، في مسبك المعادن، على عجلة قيادة شاحنة، يمكن أن يزيف كونه يهوديا؛ لا يمكن لرجل الأعمال اليهودي أن يتركه يضاعف من أفعاله اللامبالية، وكيف لربما يمكن أن يسمى يهوديا جيدا. لكن اليهودي باق ويجب أن يبقى.

على الأقل يعرف علام يدور الأمر عندما يتم تسميته شريفا أو غير شريف؛ يتذكر الفعل الذي يبرر هذه المصطلحات. عندما يُدعى باليهودي، فإن الأمر خلافا لذلك؛ آنذاك ليس بخصوص مسألة حالة محددة إنما بنغمة بعينها يتم التعبير عنها في كل أفعاله. لقد سمع مرارا وتكرارا أن اليهودي يفكر مثل اليهودي، ينام، يشرب، ويأكل مثل اليهودي، يكون شريفا أو غير شريف من خلال خُلق يهودى. وينظر اليهودي ليهوديته بعبثية. هل أي منا واع لأسلوبه السلوكي؟ هل يمكن لأي منا أن ينظر له من الخارج؟

رغم ذلك تظهر هذه الكلمة الصغيرة: "يهودى" في حياته في يوم من الأيام الصافية ولن تغادر أبدا. بعض الأطفال بحلول الوقت الذي يبلغون فيه السادسة يكونون قد تشاجروا بالفعل مع زملاء دراستهم الذين يسمونهم "يهودا". قد يظل آخرون في حالة جهل لمدة طويلة. لم تعرف فتاة يهودية صغيرة في عائلة أعرفها حتى معنى كلمة يهودى إلا بعد أن وصلت إلى سن الخامسة عشرة. فى أثناء الاحتلال كان هناك طبيب يهودى عاش منعزلا فى بيته في "فوانتينبلو"[1]، وربى أولاده دون أن

---

1 - فوانتينبلو: Fontainebleau منطقة فى فرنسا تقع على بعد 55.5كم من وسط باريس العاصمة الفرنسية.

يخبرهم بكلمة عن أصلهم. ولكن مع ذلك يتغير مساره، يوما ما يجب أن يعلموا الحقيقة: أحيانا من ابتسامات هؤلاء المحيطين بهم، أحيانا من إشاعة أو إهانة. كلما تأخر الاكتشاف، كانت الصدمة عنيفة. فجأة يلاحظون أن الآخرين يعرفون شيئا عنهم لا يعرفونه، أن الناس يتجاوبون معهم بأسلوب قبيح ومزعج غير معتاد عليه في عائلتهم. يشعرون بأنفسهم في شتات، معزولين عن مجتمع الأطفال العاديين الذين يجرون ويلعبون بسكينة وأمان حولهم – هؤلاء الأطفال المحظوظين الذين ليس لهم نعت خاص. ويعودون للبيت، ينظرون لأبيهم، يفكرون: "هل هو يهودى أيضا؟" كيف يمكن أن يفشلوا في الاحتفاظ بآثار هذه الثورة الأولى طيلة حياتهم؟ كان هناك المئات من الأوصاف للاضطرابات التي تحدث للطفل عندما يكتشف أن والديه بينهما علاقات جنسية. لكن ما الذي يجب أن يحدث لليهودي الصغير عندما يختلس نظرة على والديه ويفكر: "إنهم يهود"؟

في البيت، يتم إخباره بأنه يجب أن يكون فخورا بكونه يهوديا. وما عاد يعرف ما الذي يصدقه؛ ممزق بين الإذلال، المعاناة، والفخر. يشعر بأنه يتم تجزيؤه، ولكنه مازال لا يدرى ما الذي يقسمه؛ لديه يقين من شئ واحد فقط؛ بغض النظر عما يفعله، هو يهودى وسيظل كذلك.

لقد كنا ساخطين، وعلى حق، بشأن "النجمة الصفراء"[1] القذرة التي فرضتها الحكومة الألمانية على اليهود. الذي بدا غير محتمل بهذا الشأن أنه جذب الانتباه لليهودي، أنه أجبره على الشعور بذاته بوصفه يهوديا باستمرار في عيون الآخرين، كان هناك بعضهم حاولوا بكل الطرق الممكنة أن يوضحوا تعاطفهم مع المميزين التعساء، لكن عندما شرع الناس أصحاب النية الطيبة جدا في رفع قبعاتهم لليهود الذين قابلوهم، شعر اليهود أنفسهم أن هذه التحيات كانت مؤلمة لأقصى درجة. تحت نظرات الدعم والتعاطف شعروا بأنفسهم يتحولون لموضوعات: موضوعات للمواساة، للشفقة، لأى شيء تشاء – فقط موضوعات. لقد أمدوا الليبراليين

1 - النجمة الصفراء: هى شارة على شكل نجمة سداسية فرض الألمان على اليهود ارتداءها فوق الملابس بداية من عام 1938.

الفضلاء بحدث لتقديم إيماءة عامة، للتصريح بـ "مانيفستو" (بيان رسمي). كانوا مجرد مناسبة لذلك.

الليبرالي، عندما يقابل يهوديا، كان حرا، حرا تماما ليصافح يده أو ليبصق في وجهه؛ يمكن أن يقرر وفقا لأخلاقياته، وفق الطريق الذي اختار أن يكون عليه، لكن اليهودي لم يكن حرا في أن يكون يهوديا. لذلك فضلت أقوى الأرواح بين اليهود إيماءة الكراهية على إيماءة الإحسان، لأن الكراهية عاطفة وتبدو أقل حرية، بينما الإحسان يجسد نفسه من الأعلى لهولاء الأدنى. في النهاية أصبحنا نفهم كل ذلك جيدا، بما يجعلنا نشيح بأعيننا عندما نقابل يهوديا يرتدى نجمة. كنا غير مرتاحين، محرجين من نظرتنا الخاصة، التى، ما إذا وقعت عليه، جعلت منه يهوديا رغما عن نفسه ورغما عن أنفسنا. التعبير الأسمى للتعاطف والصداقة يكمن هنا في الظهور بتجاهل، لأنه أيا كان الجهد الذي سنبذله للوصول للشخص، سيظل المرء محصورا بالقلة التي سنقابلها. برغم ذلك تصل الشرائع النازية لمداها الأقصى في موقف قد سبق لنا وكيفنا أنفسنا معه للغاية. قبل الهدنة، للتأكيد، لم يحمل اليهودي نجمة. لكن اسمه، وجهه، إيماءاته، وآلاف السمات الأخرى التي تميزه بوصفه يهوديا؛ المشي في الشوارع، دخول مقهى، متجر، غرفة رسم، لقد أدرك ذاته مُعَلَّما باعتباره يهوديا. إذا ما اقترب منه شخص ما بأسلوب منفتح وودود بعض الشئ، لعلم على الفور أنه أصبح موضعا لعملية توضيحية للتسامح، أن محادثه قد اختاره كحجة كي يعلن للعالم، ولنفسه: "انظر لى، أنا أملك أفكارا ليبرالية، أنا لست معاديا — للسامى، أنا أعرف الأفراد فقط، لا الأعراق".

لكن في قرارة نفسه، يعتبر اليهودي نفسه تماما مثل الآخرين. يتكلم اللغة نفسها؛ لديه المصالح الطبقية نفسها، المصالح القومية نفسها؛ يقرأ الصحف نفسها التي يقرؤها الآخرون، يصوت كما يصوتون، يتفهم آراءهم ويتشاركها. على الرغم من ذلك يجعلونه يفهم أنه غير منتم، أن لديه "طريقة يهودية" في الحديث، في القراءة، في التصويت. وإذا سأل عن تفسير، يرسمون بورتريه حيث لا يتعرف على نفسه. لا يمكن أن يكون هناك شك من أن البورتريه له، طالما يؤكد ملايين الناس أنه كذلك. ما الذي يستطيع فعله؟ سوف نرى فيما بعد أن جذر حالة القلق اليهودية هى الضرورة

التي فرضت على اليهودي بتعريض نفسه لاختبارات- للذات لا تنتهي وأخيرا بافتراض شخصية وهمية، غريبة ومألوفة في آن واحد، تطارده والتي ليست سوى ذاته- ذاته كما يراها الآخرون. يمكنك القول إن هذا قدر الجميع، إن كلا منا له شخصية مألوفة بالنسبة للمقربين منه ولا نراها نحن بأنفسنا. بلا شك: هذا هو التعبير لعلاقتنا الأساسية بالغير. لكن اليهودى يملك شخصية مثل بقيتنا، وعلى رأسها كونه يهوديا. إنها تحسب بالمعنى المتضاعف للعلاقة الأساسية بالغير. اليهودي يتم الإفراط — في تحديده.

إن الذي، في نظره، يجعل موقفه غير مفهوم بشكل أكبر أنه يتمتع بكامل حقوقه كمواطن، على الأقل طالما المجتمع الذي يعيش بداخله كان في حالة توازن. في فترات الأزمة والاضطهاد، يكون أكثر سعادة بمئة مرة، لكن على الأقل يمكنه التمرد، و، عبر ديالكيتيك مشابه لذلك الذي يصفه هيجل في عمله السيد والعبد، إنه يستطيع استعادة تحرره عبر معارضة الاضطهاد وإنكار "طبيعته اليهودية" الملعونة من خلال المقاومة المسلحة ضد هؤلاء الذين يرغبون في فرضها عليه[1].

إنما حين يكون كل شئ هادئا، ضد من سيتمرد هو؟ إنه يقبل المجتمع المحيط به، يشترك في اللعبة ويوافق على كل المراسم، ويرقص مع الجميع رقصة الاحترام. إلى جانب ذلك، إنه ليس عبدا لأحد؛ إنه مواطن حر في ظل نظام يسمح بالمنافسة الحرة؛ إنه ممنوع بلا كرامة اجتماعية، أو منصب رسمي في الدولة. يمكن أن يتم تقليده وشاح فيلق الشرف، يمكن أن يصبح محاميا عظيما أو وزيرا في مجلس الوزراء. لكن في اللحظة نفسها عندما يصل إلى مؤتمرات قمة المجتمع الشرعي، مجتمع آخر — غير متبلور، غامض، وفى كل مكان- يظهر أمامه كما لو كان في ومضات البرق الخاطفة ويرفض أن يتقبله. لأي مدى من الوضوح يجب أن يشعر بزهو الشرف والحظ، عندما لن يكسبه أفضل النجاحات حق الدخول للمجتمع الذي يعتبر نفسه المجتمع الحقيقي. باعتباره وزيرا في مجلس الوزراء، سيكون وزيرا يهوديا في مجلس الوزراء، في

1 - فى هذه الفقرة بالذات وجد البعض أساسا لتلميح سارتر بذعم استخدام الصهيونية للعنف المفرط ضد الفلسطينيين؛ من خلال إيمانه بفكرة التحرر من خلال القوة كوسيلة للتخلص من قهر الاضطهاد؛ وهنا نعود مجددا لإشكالية مكان نشاة المشكلة اليهودية فى أوربا، واختيار مكان الحل بالشكل الصهيونى فى فلسطين العربية!

لحظة سيكون "صاحب الفخامة" وفوق النقد. وعلى الرغم من ذلك لا يقابل أية مقاومة محددة؛ الناس تبدو، بالأحرى، في رحلة طيران أمامه؛ تتسع هاوية غير محسوسة، وعلاوة على كل شئ، تخفض كيمياء غير مرئية من قيمة كل ما يلمسه.

في مجتمع بورجوازى إنها الحركة المستمرة للناس، التيارات الجماعية، الأنماط، العادات، كل هذه الأشياء، التي بتفاعلها تخلق القيم. قيمة الأشعار، الأثاث، المنازل، المناظر الطبيعية المستمدة في جزء كبير من التكثفات العفوية التي تقع على تلك الأشياء مثل الندى الخفيف؛ إنها قومية بشكل قاطع وناشئة عن الحراك الطبيعي لمجتمع تقليدي وتاريخي. أن تكون فرنسيا لا يعنى أن تكون ولدت في فرنسا وفقط، أن تصوت وتدفع الضرائب؛ إنه قبل كل شئ أن تحظى باستخدام ومعنى تلك القيم. وعندما يشارك رجل في صنعهم، فإنه يكون مطمئنا بدرجة ما على نفسه، لديه تبرير للوجود من خلال نوع من الالتحام بوحدة المجتمع. أن يعرف كيف يقدر قطعة من الأثاث من عصر "لويس السادس عشر"[1]، روعة مقولة لـ "شامفور"[2]، منظر طبيعي لـ "إيل دو فرانس"[3]، لوحة لـ "كلود لوران"[4]. أن تتأكد وتشعر أن المرء ينتمي للمجتمع الفرنسي؛ هو أن تجدد ضمنيا عقدا اجتماعيا مع كل أعضاء ذلك المجتمع. بضربة واحدة يختفي غموض الحالة الطارئة لوجودنا ويفسح مجالا لضرورة

---

1 - لويس السادس عشر: هو آخر ملوك فرنسا قبل الثورة الفرنسية، واتسم الأثاث فى هذه الفترة بالملكية والروعة والدقة فى التصميم والاهتمام بالتفاصيل.

2 - شامفور: هو لويس شامفور (1741-1794) كاتب فرنسي عاش فى القرن الثامن عشر، اشتهر بكتابة "epigrams" وهى الحكمة التى تعبر بشكل ساخر عن مضمونها، وكذلك الأمثال "aphorisms"، وتضمنت كتاباته أيضا: الكوميديا، والمقالات السياسية، والنقد الأدبى، والخطابات.

3 - إيل دو فرانس: هى Ile de France إحدى المناطق الإدارية الفرنسية، وترجمتها "جزيرة فرنسا" وتقع فى شمال وسط فرنسا وعاصمة المنطقة هى العاصمة الفرنسية ذاتها مدينة باريس.

4 - كلود لوران: رسام فرنسى عاش فى القرن السابع عشر (1600-1682)، عرف برسوماته الخلابة للمناظر الطبيعية وتميزت أعماله بإحساس مرهف، إلى جانب التقانة والمهارة العالية في تنفيذها، وتتسم لوحاته بالدقة والتناسق والإحساس المتميز بتحرك الضوء وتبدلاته.

وجود من خلال الحق. كل فرنسي تأثر بقراءة "فيون"[1] أو عبر التطلع لقصر "فيرساى"[2] يصبح موظفا عاما وموضوعا للحقوق القانونية.

اليهودي الآن هو رجل يتم رفض وصوله لتلك القيم وفق أساس مبدئي. بلا ريب يكون العامل في الورطة نفسها، لكن موقفه مختلف. يمكنه أن يرفض بازدراء قيم الطبقة الوسطي وثقافتها؛ يمكنه أن يحلم باستبدال قيمه بها. ينتمي اليهودي طبقيا، نظريا، للناس أنفسهم الذين يلفظونه؛ يتشارك في ذوقهم وأسلوبهم للحياة. يلمس تلك القيم لكنه لا يراهم؛ يجب أن يكونوا قيمه وهم يرفضونه. يتم إخباره بأنه أعمى. بالطبع هذا زائف. أيجب علينا أن نصدق أن " Bloch,Crèmieux, Suarès, Schwob, Benda"[3] يفهمون الروائع الفرنسية العظيمة أقل من بقال مسيحي أو شرطي مسيحي؟ أيجب علينا تصديق أن ماكس جاكوب[4] كان أقل قدرة للتعامل مع لغتنا من موظف "آرى" بالبلدية؟ وهل بروست[5] ، نصف-يهودى، فهم راسين لمجرد نصف- الطريق؟ وفيما بين شوكيه[6] الآري، محتفلا

---

1 - فيون: هو فرانسوا فيون أحد أشهر وأفضل شعراء فرنسا المعروفين فى العصور الوسطى، عاش فى أواسط القرن الخامس عشر (1431-1463) وعرف أيضا بأعمال اللصوصية والصعلكة والقتل والبلطجة وهرب من السلطات عدة مرات بسبب أفعاله، كتب أشهر أعماله فى السجن ، ورغم ذلك أتاحت له قصائده بتمردها دخول التاريخ، وألهم أجيالا عديدة من الفنانين والمبدعين.

2 - قصر فيرساى: يعد أهم القصور الملكية الفرنسية يقع فى مدينة فيرساى التى تقع على 25 كم غربا من وسط مدينة باريس العاصمة الفرنسية، وشيد فى فترة حكم الملك لويس الرابع عشر.

3 - مجموعة من الأدباء والكتاب الفرنسيين اليهود.. للمزيد انظر الموقع التالى:
http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/judaica/ejud_0002_0007_0_06790.html

4 - ماكس جاكوب: شاعر فرنسى يهودى (1876-1944) اهتم أيضا بالرسم والكتابة والنقد، مات فى العام نفسه الذى الف فيه سارتر هذا الكتاب (1944)، وعرف بقدرته الشعرية الفائقة التى تمكنت فى كتابته لقصيدة النثر من أن تحررها من إرث الموسيقى والوزن وملامح الرمزية والرومانتيكية القديمة؛ تلك القيم التى تكسرت فى أوربا مع فظائع الحرب العالمية الأولى ومن بعدها الثانية.

5 - مارسيل بروست سبق تعريفه.

6 - شوكيه: تحمل هذه الشخصية احتمالان الأول: نيكولاس شوكيه هو عالم رياضيات فرنسى عاش فى القرن الخامس عشر؛ اخترع مجموعة من تفسيراته الخامسة لمفاهيم الجبر، والمقصود هنا من المقارنة فى فهم ستنادل الذى عاش بعد هذا العالم بثلاثة قرون هو السخرية من فكرة التعالى الآرى.. ولكن هناك احتمال ثان للشخصية: فربما كان سارتر يقصد شخصية فرنسية أخرى عاشت فى نفس الفترة التاريخية، واستحضرها لإجراء المقابلة الساخرة، فهناك شخصية أخرى تحمل اسم: أرثر شوكيه (1853-1925) وكان مؤرخا فرنسيا وما يرجح احتمال قصد سارتر لهذه الشخصيةو الثانية؛ هو قوله أسلوبه الردئ وهو ما قد ينطبق على كتابة المؤرخ وأسلوبه.

بأسلوبه الردئ، و"ليون بلوم"[1] اليهودي، أيهما قد فهم "ستنادل"[2] بشكل أفضل؟

ولكنه ليس من الأهمية بمكان أن هذه فكرة خاطئة؛ الحقيقة أنها خطأ جماعي. يجب أن يقرر اليهودي بنفسه ما إذا كانت خطأً أم صوابا؛ في الواقع يجب أن يثبتها. و على الرغم من كل شئ سيرفض الناس دائما الدليل الذي سيقدمه. يمكنه أن يذهب للمدى الذي يريده في فهم عمل فني، عرفٍ، عصرٍ، وأسلوب. الذي يشكل القيمة الحقيقية في الموضوع المعنى، هو قيمة متاحة فقط للفرنسي الخاص ب فرنسا "الحقيقة"، هو بالضبط يقع في ال"ما وراء"[3] ولا يمكن التعبير عنه بالكلمات. بعبثية يمكنه أن يجادل فيما يخص ثقافته، إنجازاته؛ إنها ثقافة يهودية؛ إنها إنجازات يهودية. هو يهودى بدقة بالشكل الذي لا يجعله يشك فيما ينبغي فهمه. لذلك تجرى محاولة لإقناعه أن المعنى الحقيقي للأشياء يجب أن يفوته دائما؛ يتشكل حوله نطاق غير محسوس، وهو فرنسا الأصيلة، بقيمها الأصيلة، ببراعتها الأصيلة، بأخلاقياتها الأصيلة، ولا مكان له بها.

يستطيع، بالفعل، أن يحصل على كل الأشياء التي يريدها، الأراضي والقلاع إذا كان يملك الوسيلة؛ لكن في اللحظة نفسها التي يصبح فيها مالكا شرعيا، تعانى الملكية من تغير خفيف في المعنى والقيمة. يمكن فقط لفرنسي، ابن فرنسي، ابنا أو حفيدا لفلاح، أن يملكها حقيقة. أن تملك كوخا في قرية، ليس كافيا أن تقوم بشرائه بنقود ورقية. يجب على المرء أن يعرف كل الجيران، آباءهم وأجدادهم، الحقول المحيطة، أشجار خشب الزان والبلوط في الغابة؛ يجب على المرء أن يعرف كيف يعمل، ويصيد السمك، ويصطاد؛ يجب على المرء أن يصنع شقوقا في الأشجار في طفولته ليجدها قد كبرت في عمره المديد، ربما تكون موقنا أن اليهودي لا يستوفى هذه الشروط. في هذا الصدد، ربما لن يكون الفرنسي مستوفيا أيضا، لكن يتم منحه تساهلا معينا، توجد طريقة فرنسية وطريقة يهودية في خلط القمح والشوفان.

---

1 - ليون بلوم: هو اول سياسى فرنسى يهودى واشتراكى يتولى رئاسة الوزراء، حيث تولى رئاسة الوزراء مرتين أثناء الحرب عام 1937، 1938، كما تولى رئاسة الحكومة مرة أخرى بعد الحرب من 1946-1947.

2 - ستنادل: أحد أهم الروائيين الفرنسيين، اسمه الحقيقي ماري هنري بيل، من العلامات البازة للأدب الفرنسى عموما فى القرن التاسع عشر، أهم أعماله هى الرواية المعروفة "الأحمر والأسود"، وعرف بأسلوبه الاجتماعى النقدى الساخر.

3 - يقصد غير الملموس وغير الواقعى، أو غير المادى، أو الغيبى.

لذلك يظل اليهودي هو الغريب، الدخيل، غير المستوعب في القلب الصميم للمجتمع. كل شئ في متناوله، على الرغم من ذلك لا يمتلك شيئا؛ لأنه، يتم إخباره، ما يمتلكه المرء لا يشترى. كل ما يلمسه، كل ما يناله يصبح منخفض القيمة في يديه؛ أشياء الأرض، الأشياء الحقيقة، هي تلك التي لا يمتلكها. هو يعلم جيدا أنه أسهم مثله مثل غيره في صنع مستقبل المجتمع الذي يلفظه. لكن ماذا لو كان المستقبل ليصبح ملكه، فقد رفض على الأقل الماضي. إذا ما استدار للماضي، يرى أن عرقه ليس له دور فيه. كل سلسلة ملوك فرنسا، ووزرائهم، قوادهم العظام، الفنانين، رجال التعليم — لم يكن أيٌّ منهم يهوديا. ولم يتسبب اليهود في الثورة الفرنسية.

إن سبب كل هذا بسيط. حتى القرن التاسع عشر كان اليهود، مثل النساء، في حالة وصاية؛ لذلك مساهمتهم في الحياة السياسية والاجتماعية، مثل تلك التي للنساء، تعد حديثة العهد. إن أسماء "أينشتين" و"برجسون" و"شاجال" و"كافكا"[1] تعد كافية لتوضيح ما الذي كان يمكن أن يجلبوه للعالم إذا ما تم تحريرهم [اليهود] مبكرا. لكن ذلك ليس من الأهمية بمكان؛ الحقيقة هناك. تزودهم ذاكرتهم الجمعية بذكريات غامضة للمذابح (البوجرام)، للأحياء اليهودية (الجيتو)، بالهجرات الجماعية، بالمعاناة الرتيبة الشديدة، عشرون قرنا من التكرار، وليس من الثورة. اليهودي رغم ذلك ليس تاريخيا، وبرغم ذلك فهو أقدم الشعوب، أو تقريبا كذلك. ذلك الذي يعطيه الإحساس بالديمومة عتيق وبرغم ذلك شاب: يملك حكمة وليس تاريخا.

"لا تعر اهتماما لذلك" ستقول أنت ذلك. "يجب علينا فقط أن نرحب به دون تحفظ؛ تاريخنا سيكون تاريخه، أو على الأقل تاريخ ابنه". لكن ذلك ما نحرص على عدم القيام به. لذلك فإنه يظل طافيا، غير موقن، مجتثا.

علاوة على ذلك، دعه لا يعود نحو إسرائيل ليجد مجتمعا وماضيا عوضا عن هؤلاء الذين رفضوه[2]. ذلك المجتمع اليهودي المبنى لا على الأمة، والأرض، والدين

1 - مجموعة من المبدعين اليهود: أينشتين هو العالم الشهير الذى اخترع النظرية النسبية، برجسون فيلسوف فرنسى حصل نوبل، شاجال أحد أبرز رسامى القرن العشرين ولد فى روسيا وحصل على الجنسية الفرنسية، كافكا روائى وقصاص شاع صيته فى الأدب الألمانى والعالمى.

2 - هنا يعلن سارتر موقفه صراحة من المشروع الصهيونى، وعودة اليهود إلى فلسطين على أساس التمكين السياسى لهم، ونلاحظ هنا مدى الخلط بين المشكلة والحل! فهناك فى أوربا حدث الاضطهاد وأحداثه! لكن

– على الأقل ليس في فرنسا المعاصرة – ولا المصالح المادية، ولكن فقط على هوية موقف، ربما فعلا يكون رابطة روحية حقيقية للعاطفة، للثقافة، والتعاون المشترك.[1] لكن أعداء اليهودي سيقولون على الفور إن تلك الرابطة عرقية، وهو ذاته، في افتقاد للتفرقة، ربما قد يستخدم كلمة العرق. حينئذ في ضربة واحدة سيكون قد قدم المبرر للمعادى – للسامي: "أنت تدرك جيدا أن هناك عرقا يهوديا؛ إنهم أنفسهم يعترفون به، وبالإضافة إلى ذلك يتزاحمون معا في أي مكان". وفي الواقع، إذا ما أراد اليهود خط فخر شرعيا من هذا المجتمع، يجب عليهم حقا أن ينتهوا إلى تمجيد السمات العرقية، طالما لا يستطيعون أن يتفاخروا بأي عمل جماعي يكون على وجه التحديد يهوديا، أو في حضارة يهودية تماما، أو في روحانية مشتركة.

لذلك يفوز المعادى – للسامي بكل الطرق. في كلمة واحدة، إن اليهودي دخيل في مجتمع فرنسي، مجبر على أن يظل معزولا. إذا لم يقبل، يتم إهانته. لكنه يقبل، لا يتم استيعابه بأكثر سهولة بسبب ذلك؛ إنه متسامح – ودائما ريبة تدفعه في كل مناسبة "ليبرهن على ذاته".

في حالة الحرب أو الاضطراب الأهلي، ليس على الفرنسي "الحقيقي" براهين ليقدمها؛ هو يحقق ببساطة التزاماته العسكرية أو المدنية. لكن الأمر ليس مماثلا بالنسبة لليهودي. قد يكون على يقين من أن الناس ستقوم بتعداد صارم لعدد اليهود في الجيش. لذلك يجد نفسه فجأة في موضع رد عن كل رفاقه – في الدين. حتى ولو كان قد تجاوز السن العسكري سوف يشعر بضرورة التطوع – سواء ما إذا فعل شيئا بهذا الخصوص أو لم يفعل- لأن الناس يتظاهرون في كل مكان بأن اليهود كسالى. شائعة بلا أساس، قد يقول بعضهم. ليس على الإطلاق. في تحليل لعقدة يهودية

سارتر يريد أن يكون التعويض على حساب الفلسطينين وفى مكان آخر غير أوربا، التى اشتكى من موقفها من اليهود!.

1 - هذه الفقرة هى أكثر فقرات الكتاب تعبيرا عن موقف سارتر الفلسفى من الصهيونية ودعمه لها؛ فهو يرى أن الصهيونية هى الموقف الحر لليهودى المضطهد فى اوربا! يرى انه فعل الاختيار والمسئولية لليهودى المضطهد فى أوربا، يرى انها تخلق اليهودى الوجودى على طريقته، وليس اليهودى المضطهد.. يرى سارتر فى الصهيونية رد الفعل تجاه الاضهاد النازى، ولم ير فيها العدوان والعنصرية، لقد كان مستلبا ورد فعل لأزمة يهود فرنسا بما جعله لا يرى أزمة الشعب الفلسطينى المضطهد والذى جاء يهود أوربا لسلبه وطنه وحقه فى الحياة وحريته فى الوجود والاختيار.

قدمه ستيكل[1]، والذي لديَّ المزيد لأقوله عنه فيما بعد، أقرأ هذه الفقرة: "قال المسيحيون" — كانت امرأة يهودية نمساوية هي التي تتحدث — "يحاول اليهود الخروج مما هو أقل بقدر ما يستطيعون. آنذاك أراد زوجي التطوع". الآن هذا يشير لبداية الحرب [العالمية الأولى] في عام 1914م، ولم تكن النمسا قد خاضت حروبا منذ حرب عام 1866م[2]، والتي جرت مع جيش نظامي. هذا الافتراء في حق اليهود النمساويين، والذي كان منتشرا في فرنسا أيضا، هو ببساطة الثمرة التلقائية للشك في اليهودي.

في عام 1938م[3]، في وقت الأزمة الدولية التي حُلت في ميونخ، استدعت الحكومة الفرنسية قطاعات معينة فقط من الاحتياطي. حتى حينها لم يكن قد تم تحريك غالبية الرجال القادرين على حمل السلاح. وبالفعل، على الرغم من ذلك، كان يتم رمى الحجارة عبر نافذة متجر واحد من أصدقائي، تاجر يهودى في "بيلفيل"[4]، على خلفية أنه كان كسلان. لذلك اليهودي، إذا ما ترك سالما في حاله، يجب أن يتحرك سابقا كل الناس؛ في حالة المجاعة، يجب أن يكون أكثر جوعا من الآخرين؛ إذا ما ضربت كارثة عامة البلاد، يجب أن يكون الشخص الذي تضربه بأقصى قوة.

هذا الإجبار الأبدي ليبرهن على أنه فرنسي يضع اليهودي في موقف الذنب. إذا لم يفعل في كل ظرف أكثر من كل شخص آخر، أكثر بكثير من أي أحد آخر، سيكون مذنبا، سيكون يهوديا قذرا — وقد يقول أحدهم، على طريقة المحاكاة

---

1 - ستيكل: وليم ستيكل (1868-1940)عالم نفس نمساوى يعتبره البعض أفضل تلاميذ سيجموند فرويد مؤسس علم التحليل النفسى.

2 - 1866: وهو العام الذى شهد الحرب النمساوية البروسية، التى نشبت بين الإمبراطوية النمساوية ومن حالفها من الممالك والمقاطعات الألمانية من جهة، وبين مملكة بروسيا الألمانية ومن حالفها من الممالك والمقاطعات الألمانية ومعهم مملكة إيطاليا من جهة اخرى، وعرفت باسم حرب الإخوة أو حرب الأسابيع السبعة.

3 - 1938: فى هذا العام طالب هتلر بضم أجزاء من تشيكوسلوفاكيا بحجة وجود مواطنين ألمان يُساء معاملتهم، وبعد مفاوضات تم عقد اتفاقية ميونخ لمنح هتلر ما طلبه مع تعهده بعدم المطالبة بالمزيد من أرض أوربا، لكنه سرعان ما غزا بولندا 1939مما دفع فرنسا وبريطانيا لإعلان الحرب ودارت بعدها عجلة الحرب العالمية الثانية.

4 - بيلفيل: Belleville أحد أحياء العاصمة الفرنسية باريس.

الساخرة باستخدام "الباروديا الشعرية" لـ "بومارشيه"[1]: كي نحكم بمقياس الصفات، نُسائل اليهودي ما إذا كان سيتم استيعابه بوصفه فرنسيا "حقيقيا"، كم فرنسي سيستحق أن يكون يهوديا في بلده؟

بما أن اليهودي يعتمد على الرأي في سبيل مهنته، حقوقه، وحياته، فإن موقفه يكون غير مستقر تماما. قانونيا هو ليس عرضة للهجوم، إنه تحت رحمة أهواء المجتمع "الحقيقي" وعواطفه. يراقب بحذر تقدم معاداة – السامية؛ يحاول التنبأ بالأزمات ويقيس الاتجاهات بالطريقة نفسها التي يراقب بها الفلاح الطقس ويتنبأ بالعواصف. هو يحسب بلا انقطاع آثار الأحداث الخارجية على موقفه الخاص. قد يكدس الضمانات القانونية، والأغنياء، والشرفاء؛ هو فقط الأقل حصانة في هذا الشأن، و يعلم ذلك. لذلك يبدو له في آن واحد وفى الوقت نفسه أن جهوده تتوج دائما بالنجاح – لأنه يعرف النجاح المذهل لعرقه – وأن لعنة قد جعلت منهم خاوين، لأنه لن ينال أبدا الأمن الذي ينعم به أكثر المسيحيين تواضعا. ربما هذا أحد معاني رواية "المحاكمة"[2] لليهودي كافكا. مثل بطل هذه الرواية، ينشغل اليهودي في محاكمة طويلة. هو لا يعرف قاضيه بالكاد ولا محاميه؛ ولا يعرف بماذا يتهم، وعلى الرغم من ذلك يعرف أنه يعتبر مذنبا؛ يؤجل الحكم باستمرار – لمدة أسبوع ، أسبوعين – يستغل هذه التأجيلات لتحسين موقفه بألف طريقة، لكن كل إجراء اتخذ عشوائيا يدفعه أكثر قليلا نحو الذنب. قد يبدو موقفه الخارجي ذكيا، لكن المحاكمة اللانهائية تضيعه بشكل خفي، ويحدث في بعض الأحيان، كما في الرواية، أن يقبض عليه الرجال، ويأخذوه بالزعم أنه قد خسر قضيته، ويقتلونه في منطقة ما غامضة في الضواحي.

يكون المعادون – للسامي على صواب في قولهم إن اليهودي يأكل ويشرب، يقرأ، ينام، ويموت مثل اليهودي. ما الذي يمكنه أن يفعله غير ذلك؟ لقد سمموا

---

1 - بومارشيه: بيير أوجستن كارون دي بومارشيه (1732 – 1799)، كاتب مسرحي فرنسي عاش فى القرن الثامن عشر، اشتهر بمسرحيته "زواج فيجارو" عام 1784م والتى شنت حملة على امتيازات النبلاء فى عصره.

2 - رواية المحاكمة: إحدى روايات المؤلف الألمانى اليهودى الشهير فرانز كافكا، والتى محور فكرتها اعتقال بطل الرواية ومحاكمته على جريمة مجهولة لم تحددها أحداث الرواية ووقائعها.

طعامه بمهارة، نومه، وحتى موته. كيف يؤول الأمر بالنسبة له على نحو مغاير، معرض كل لحظة لهذا السم؟ فورما يخطو بالخارج، فورما يقابل الآخرين، في الشارع أو في أماكن عامة، فورما يشعر حوله بنظرة من تسميهم الجرائد اليهودية "الآخرين" — نظرة مزيج من الخوف، الازدراء، اللوم، والحب الأخوي — يجب أن يقرر: هل يقبل أم لا أن يكون الشخص الذي يجبرونه على لعب دوره؟ وإذا قبل، فإلى أي مدى؟ إذا رفض، فهل سيرفض كل القرابة مع الإسرائيليين الآخرين، أو فقط العلاقة العرقية؟

أيا كان ما يفعله، لقد تم تحديد مصيره نيابة عنه. يمكن أن يختار أن يكون شجاعا أو جبانا، حزينا أو شاذا جنسيا؛ يمكن أن يختار قتل المسيحيين أو أن يحبهم؛ لكن لا يمكن أن يختار ألا يصبح يهوديا. أو ، بالأحرى، أو إذا اختار ذلك، إذا ما أعلن أن اليهود ليس لهم وجود، إذا ما أنكر بعنف ويأس الشخصية اليهودية فيه، فإنه في ذلك بالضبط يكون يهوديا. أنا من هو ليس يهوديا، لا يوجد لدى ما أنكره، ولا ما أبرهنه؛ ولكن إذا قرر اليهودي أن عرقه غير موجود، فإن الأمر منوط به ليثبت ذلك. أن تكون يهوديا يعنى أن يتم الإلقاء بك داخل — أن يتم التخلي عنك لأجل — موقف اليهودي؛ وفى الوقت نفسه تصبح مسئولا — ومن خلال شخص واحد — عن مصير الشعب اليهودي وطبيعته. لأن، أيا كان ما يقوله أو يفعله اليهودي، وسواء كان لديه مفهوم واضحا أو مبهما لمسئولياته، الأمر كما لو كانت كل أفعاله خاضعة لحتمية "كانطية"[1]، كما لو كان يجب عليه أن يسأل نفسه قبل كل فعل: "إذا ما تصرف كل اليهودي كما سأفعل، ماذا سيحدث للحياة اليهودية؟" وبالنسبة للأسئلة يسال نفسه (ما الذي قد يحدث إذا كان كل اليهود صهاينة، أو إذا، على العكس، تم تحويلهم جميعا للمسيحية؟ إذا ما أنكر كل اليهود أنهم يهود؟ الخ.)[2] يجب أن يجد ردا، وحيدا وبلا عون، من خلال اختيار ذاته.

إذا ما تم الاتفاق أن الإنسان يمكن تعريفه بوصفه مخلوقا يملك الحرية في إطار حدود موقف، إذن لأصبح من السهل رؤية أن ممارسة هذه الحرية قد تعتبر أصلية أو

---

1 - كانطية: نسبة إلى الفيلسوف إيمانويل كانط.

2 - يؤكد سارتر هنا على مفهومه للصهيونية واعتبارها النقيض أو رد الفعل لفكرة اضطهاد اليهود؛ من خلال دفعهم للمسيحية والتخلى عن يهوديتهم! وهنا يبرز جوهر المشكلة السياسى عند سارتر حين اعتبر فلسطين هى التعويض عن أحداث النازى ضد يهود اوربا، ولم يضع فى حسبانه الفلسطينيين وحقهم فى الوجود الحر.

غير أصلية وفقا للاختيارات التي تتخذ في الموقف. الأصالة، وذلك ليس في حاجة لكلام تقريبا، تختص بامتلاك وعى حقيقي وجلي للموقف، في افتراض المسئوليات والمخاطر التي يشملها، في تقبله باعتداد أو بذل، أحيانا في رعب أو كراهية.[1]

لا ريب أن الأصالة تتطلب الكثير من الشجاعة وما هو أكثر من الشجاعة. لذلك ليس من المدهش أن يعثر عليها المرء نادرا. معظم أعضاء الطبقة الوسطي ومعظم المسيحيين ليسوا أصلاء، بالمعنى الذي يرفضون فيه أن يصلوا بالكامل للمستوى المتوقع لحالة طبقتهم الوسطي أو مسيحيتهم ولأنهم دائما ما يخفون أجزاء محددة من أنفسهم عن أنفسهم. عندما وضع الشيوعيون كجزء من برنامجهم "تحويل الجموع للراديكالية" عندما أوضح ماركس أن الطبقة البوليتارية يتعين عليها أن تصبح واعية بذاتها، ما الذي يعنيه ذلك إذا لم يكن العامل، أيضا، ليس أصيلا في البداية؟

ولا يهرب اليهودي من هذا الدور: الأصالة بالنسبة له هى أن يعيش لحد الثمالة في حالته باعتباره يهوديا؛ عدم الأصالة هو إنكارها أو محاولة الهروب منها. عدم الأصالة بلا ريب أكثر إغراء له عما هى عليه بالنسبة للآخرين، لأن الموقف الذي يجب عليه أن يطالب به ويعيشه بسيط للغاية لأنه موقف الشهيد. الأقل تفضيلا بالنسبة للرجال يكتشف بطريقة عادية في موقفهم هو التضامن الصلب مع رجال آخرين. الحالة الاقتصادية لرجل ذي راتب يعيش في منظور من الثورة، أو حالة أعضاء في كنيسة مضطهدة، تشمل في ذاتها وحدة عميقة من المصالح المادية والروحية. ولكن قد أوضحنا أن اليهود لا يملكون مجتمعا من المصالح ولا مجتمعا من المعتقدات. لا يمتلكون أرض الآباء نفسها؛ ليس لديهم تاريخ. الرابطة الوحيدة التي تربطهم هي عداء وازدراء المجتمعات التي تحيط بهم. لذلك اليهودي الأصيل هو الذي يصر على زعمه في وجه الازدراء الذي يظهر تجاهه.

الموقف الذي يتمنى أن يفهمه ويعيشه كلية، في وقت السلام الاجتماعي، هو تقريبا غير مفهوم: إنه شعور عام، إحساس ماكر للوجوه والكلمات، تهديد مخفي داخل الأشياء، رابطة تجريدية توحد بينه وبين الرجال الذين يختلفون عنه للغاية في كل

---

1 - يؤكد سارتر هنا موقفه الفلسفى من الصهيونية باعتبارها ممارسة للموقف الوجودى الحر ليهود العالم المضطهدين؛ دون اعتبار لحق الفلسطينيين الوجودى الذى سلب منهم.

النواحي الأخرى. كل شئ يتآمر حقيقة ليظهره في أم عينيه على أنه رجل فرنسي بسيط. لأن ازدهار شئونه يعتمد بالتوازي على شئون بلاده، مصير أبنائه يرتبط بالسلام، بعظمة فرنسا، وباللغة التي يتحدثها وبالثقافة التي سمحت له بأن يضع حساباته ومنطقه في المبادئ الأقرب للأمة بكاملها. لذلك يجب عليه فقط أن يطلق سراح نفسه حتى ينسى أنه يهودى، إذا لم يلاحظ في كل مكان هذا السم غير الملاحظ — الوعي العدائي للآخرين.

المدهش ليس بالتأكيد أنه يوجد يهود غير أصلاء؛ بل بالأحرى، في قياس نسبي، هم أقل من المسيحيين غير الأصلاء. على الرغم من ذلك، فإنه عبر الاستفادة من بعض السمات المحددة في سلوك يهود غير أصلاء قد شكل المعادى للسامي الميثولوجيا (التصور الأسطوري) العامة لليهودي. الذي يُوصف اليهود غير الأصلاء أنهم يتعاملون مع موقفهم عبر الهروب منه؛ لقد اختاروا إنكاره أو إنكار مسئولياتهم، أو إنكار عزلتهم، التي تبدو غير محتلة بالنسبة لهم. ذلك لا يعنى بالضرورة أنهم يريدون تدمير مفهوم اليهودي أو أنهم ينكرون بوضوح وجود واقع يهودى. لكن إيماءاتهم، ووجدانهم وحركتهم تهدف سرا لتدمير هذا الواقع.

في كلمة واحدة، اليهود غير الأصلاء هم رجال يعاملهم الرجال الآخرون على أنهم يهود، والذين قد قرروا الهروب من ذلك الموقف الذي لا يحتمل. والنتيجة أنهم يظهرون أنواعا متعددة من التصرف ليست كلها موجودة في الوقت نفسه في الشخص نفسه، لكن كل منها قد تتمثل باعتبارها ـممر طيران[1]. عبر جمع وتجميع كل ممرات الطيران المختلفة وغير المتوافقة عادة تلك، يقتفى المعادى للسامي أثر بورتريه وحشي، الذى من المفترض أن يمثل اليهودي عامة؛ في الوقت نفسه هو يفسر هذه الجهود الحرة بالهرب من موقف مؤلم كالسمات المتوارثة، المنقوشة على جسد إسرائيل و، بالتالي، غير قابلة للتعديل.

إذا ما أردنا أن نرى المشكلة بوضوح، يجب أن نفكك هذا البورتريه إلى قطع، لنستعيد استقلال "ممرات الطيران" هذه، ونعرضهم في سمتهم الحقيقة كمجازفات في

---

1 - ممر طيران: يستخدم سارتر هذا المصطلح مبعنى مشابه لفكرة النمط السلوكى أو المسار المحدد سلفا والذى يحكم من يتبعه.

السلوك بدلا من سمات فطرية. يجب فهم أن وصف ممرات الطيران تلك يتم تطبيقه ببطء على اليهودي غير الأصيل (المصطلح "غير الأصيل" لا يشير للوم أخلاقي، بالطبع)، وأنه يجب استكماله عبر وصف لليهودية الأصيلة. وأخيرا، يجب أن نتمسك بفكرة أن موقف اليهودي هو الذي يجب أن يخدمنا تحت كل الظروف بوصفه طرف خيط دالا. إذا ما فهمنا هذه الطريقة وإذا ما طبقناها بصرامة، ربما تمكنا من استبدال خرافة الديانة المانوية العظيمة عن إسرائيل ببضع حقائق، على الرغم من كونها أكثر تشظيا، أكثر دقة. ما هي السمة الأولى في الميثولوجيا المعادية —للسامية؟ إنها، يتم إخبارنا، أن اليهودي هو مخلوق معقد يقضى وقته في تحليل- الذات والوضع الدقيق. سريعا ما نسميه "مثير-خلافات" دون حتى أن نسأل أنفسنا ما إذا كان ميله للتحليل والاستبطان متوافقا مع دهاء التجارة والعدوانية العمياء التي تنسب له أيضا. فيما يخصني، أدرك أن الجهد للهرب من الإنتاج في بعض اليهود — في القسم الأكثر ثقافة - هو تقريبا سلوك انعكاسى باستمرار. ولكن مجددا يجب أن يفهم كل منا الآخر. هذا السلوك الانعكاسي ليس موروثا. إنه ممر طيران[1]، ونحن الذين نجبر اليهود على الهروب.

يتحدث ستيكل، مع عدة محللين نفسانيين آخرين عن "عقدة يهودية"، والكثيرون هم اليهودى الذى أشار لـ "عقدة نقصهم". لا أرى ضررا في استعمال هذا التعبير إذا ما فهمنا أن هذه العقدة لم تستقبل من الخارج، وأن اليهودي يخلق هذه العقدة عندما يختار أن يحيا موقفه بطريقة غير أصيلة. لقد سمح لنفسه بأن يتم إقناعه من المعادين- للسامي؛ هو بداية ضحية لدعايتهم. يعترف معهم أنه، إذا كان هناك يهودى، فهو يجب أن يكون عنده السمات التي منحها إياه الحقد الشعبي، وأن جهده هو التأسيس لنفسه باعتباره شهيدا، بالمعنى الصحيح للمصطلح، ألا وهو، أن يبرهن في شخصه على أنه لا يوجد يهود.

إن القلق يأخذ عادة شكلا خاصا معه؛ يصبح خوفا من التصرف أو الشعور كيهودي. نحن معتادون على ضعاف الأعصاب أولئك الذين يطاردهم الخوف من

---

1 - يقصد نمط سلوكى محدد مسبقا يتم وضع اليهود فيه جبرا.

القتل، من القفز من نافذة، من التلفظ بكلمات بذيئة. بعض اليهود يقارنون على نحو ما بأولئك الناس، برغم أن قلقهم نادرا ما يرتبط بمستوى علم الأمراض. لقد سمحوا لأنفسهم بالتسمم عبر النمط الذي يملكه الآخرون عنهم، ويعيشون في خوف من أن تتطابق تصرفاتهم مع هذا النمط. مكررين مصطلحا استخدمناه مبكرا، يمكن القول إن تصرفهم يتم الإفراط- في تحديده من الداخل بشكل مستمر. لا تملك تصرفاتهم الدوافع التي يمكن أن ترتبط فقط بتلك التي عند غير اليهود — المصلحة، العاطفة، الإيثار، الخ.- لكنهم يسعون أيضا لتمييز أنفسهم جذريا عن التصرفات المصنفة كـ"يهودية". كم عدد اليهود الذين هم كرماء عن عمد، غير مبالين، وحتى رائعين لأن اليهودي ببساطة يتم اعتباره عادة رجل نقود؟ هذا لا يدل بأية حال أنه يجب عليهم النضال ضد "نزعات" للجشع — لا يوجد سبب، بالبداهة، لليهود ليكونوا أكثر جشعا من المسيحيين — ذلك يعنى بالأحرى أن لفتاتهم في الكرم تم تسميمها عبر القرار أن يكونوا كرماء. يكون الاختيار هنا مشوشا باستمرار وعن عمد. الغاية المطلوبة هي الحصول على نتيجة معينة في العالم الخارجي وفى الوقت نفسه ليبرهن لذاته، وليبرهن للآخرين، أنه ليس هناك شيء اسمه سرقة يهودية.

لذلك هناك الكثير من اليهود غير الأصلاء يتظاهرون أنهم غير يهود. أبلغني العديد من اليهود برد فعلهم الغريب بعد الهدنة. نعلم أن دور اليهود في المقاومة كان محط الإعجاب؛ ذلك لأنهم شكلوا الكوادر الأساسية قبل أن يتحرك الشيوعيون؛ لمدة أربع سنين قدموا برهانا على الشجاعة وروحا من الحسم واللذين من السرور الاعتراف بهما. على الرغم من ذلك، تردد بعضهم كثيرا قبل "المقاومة"، لأن المقاومة بدت لهم متوازية تماما مع المصالح اليهودية بما جعلهم مترددين في البداية في الانخراط فيها؛ كانوا يريدون التأكد أنهم لا يقاومون بوصفهم يهودا وإنما بوصفهم فرنسيين. هذه الوسوسة تظهر بشكل كاف المنزلة الرفيعة الخاصة لمناقشاتهم: العنصراليهودي يتخلل في كل مناسبة ومن المستحيل بالنسبة لهم اتخاذ قرار مبنى على التحليل الخالص للوقائع وفقط. في كلمة، يقعون بشكل طبيعي في حالة من الوعي-بالذات الانعكاسي. مثل الشخص الرعديد، مثل الشخص كثير الوساوس، اليهودي ليس مرتاح البال ليتصرف أو ليفكر؛ يتصور نفسه يتصرف، يتصور نفسه يفكر. يجب أن نلاحظ، على الرغم

من ذلك، أن الانعكاس اليهودى هو عملي في حد ذاته، طالما أنه لا ينشأ من فضول لا مبال أو من الرغبة في التغيير الأخلاقي. إنه ليس الإنسان إنما اليهودي هو الذي يسعى اليهود للتعرف عليه في ذواتهم من خلال التأمل؛ ويرغبون في التعرف عليه من أجل أن ينكروه. ليست المسألة معهم التعرف على بعض العيوب ومحاربتها، لكنها مسالة فهم من خلال تصرفهم حقيقة أن هذه العيوب ليست فيهم. لذلك يمكننا أن نفسر هذه السمة المحددة من السخرية اليهودية والتي تظهر نفسها عادة على حساب اليهودي نفسه والتي هي محاولة أبدية ليرى ذاته من الخارج. اليهودي، لأنه يعلم أنه تحت المراقبة، يأخذ المبادرة ويحاول النظر لذاته من خلال عيون الآخرين. هذه الموضوعية تجاه ذاته مازالت حيلة أخرى لعدم الأصالة: بينما يمعن التفكير في ذاته "ملتصقا" بالآخر، يشعر بنفسه كأثر لذلك منفصلا عن ذاته؛ يصبح شخصا آخر، محض شاهد.

على الرغم من ذلك، يعلم أن هذا الانفصال عن ذاته لن يكون ساري المفعول إلا إذا أقره الآخرون. ذلك هو السبب في أن يعثر المرء به عادة على ملكة الاستيعاب. هو يمتص كل المعرفة بشره والذي يجب ألا نخلطه بالفضول اللا مبالى. يأمل في أن يصبح "إنسانا"، لا شئ سوى إنسان، إنسان مثل كل البشر، عبر تبنى كل أفكار الإنسان، واكتساب وجهة نظر إنسانية للكون. هو يثقف نفسه من أجل أن يدمر اليهودي في ذاته، كما لو كان يتمنى أن يطبق عليه – ولكن في شكل معدل – مقولة تيرنس[1]: " أنا أكون إنسانا؛ ولا شئ إنساني، لذلك، أكون غريبا بالنسبة لي" (Nil huma alienum puto ergo homo sum).

في الوقت نفسه يحاول أن يفقد ذاته في صيحة ابتهاج المسيحيين. لقد رأينا أن المسيحيين لديهم المهارة والجرأة للتظاهر أمام اليهودي أنهم ليسوا عرقا آخر، لكن ببساطة وبراءة هم بشر؛ إذا كان اليهودي مفتتنا بالمسيحيين فإن ذلك ليس بسبب فضائلهم، التي يقدرها قليلا، إنما بسبب أنهم يمثلون المجهولية، الإنسانية دون عرق. إذا

---

1 - تيرنس: هو الكاتب المسرحى الرومانى القديم Terence الذى عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد، وهذا الاقتباس هو أحد أهم وأشهر مقولاته إن لم يكن أشهرها جميعا، وقد ورد فى مسرحيته " Heauton Timorumenos" والتى ترجمتها للإنجليزية: "the Self-Tormentor" والتى يمكن أن تترجم "معذب الذات" أو "جلاد الذات".

ما حاول اختراق أكثر الدوائر الحصرية، فإن ذلك ليس بسبب طموح غير محدود والذي يتم لومه عليه عادة — أو، بالأحرى، ذلك الطموح ليس له سوى معنى واحد فقط: أن اليهودي يسعى للاعتراف به بوصفه رجلا بين الرجال الآخرين. إذا ما أراد أن يتغلل في كل مكان، ذلك لأنه لا يستطيع أن يرتاح طالما بقى مكان وحيد يقاوم وجوده والذي، عبر مقاومته، يجعل منه يهوديا في نظره. المبدأ وراء هذا الحافز نحو الاستيعاب هو مبدأ وجيه: أن اليهودي يطالب بحقوقه باعتباره فرنسيا. لسوء الحظ تحقق هذه المغامرة يعتمد على أساس غير ملائم. يريد من الناس أن تستقبله ك"إنسان"، لكن حتى بداخل الدوائر التي تمكن من دخولها، يتم استقباله بوصفه يهوديا. إنه اليهودي الغنى أو صاحب النفوذ الذي يجب مرافقته، أو اليهودي "الجيد"، اليهودي الاستثناء، الذي يرافقه المرء على الرغم من عرقه.

ليس اليهودي غير مدرك لهذا، لكنه إذا اعترف لنفسه أنه تم استقباله بوصفه يهوديا ستفقد مغامرته كل معناها ويصبح مثبط العزيمة. لذلك يتحرك وفق إيمان مزعزع: إنه يخفى الحقيقة عن نفسه، على الرغم من أنه يعرفها في صميم قلبه. يتغلب على موضع في أهليته كيهودي؛ يحتفظ به بالطريقة التي تجعله تحت تصرفه، ألا وهي، بالطريقة "اليهودية"، لكنه يعتبر أن كل انتصار هو رمز لدرجة أعلى في عملية الاستيعاب. ذلك يقتضى بشكل آلي أن معاداة — السامية، والتي هي تقريبا رد فعل مباشر على الدوائر التي اخترقها — لا تسمح له بأن يبقى طويلا غير مدرك لما قد يرغب كثيرا في تجاهله. وعلى الرغم من ذلك عنف المعادى — للسامي له التأثير التناقضى لدفع اليهود لفتح أوساط أخرى وجماعات أخرى. باختصار، إن طموحه هو بشكل أساسي بحث عن الأمن، تماما كما ميله لتقليد الأعلى منه — عندما يكون مقلدا للأعلى— والذى يكون جهدا لاستيعاب قيم قومية (الصور، الكتب، الخ.).

لذلك يتحرك بسرعة وذكاء خلال كل المستويات الاجتماعية، لكنه يبقى النواة في الدوائر التي قبلته، واستيعابه على قدر ذكائه على قدر سرعة زواله. عادة ما يتم لومه على ذلك. وفقا لملاحظة من "أندريا سيجفريد"[1]، فإن الأمريكيين يعتقدون أن

---

1 - أندريا سيجفريد: أكاديمى وكاتب سياسى فرنسى (1875-1959) اشتهر بكتاباته واهتمامه بالسياسات الأمريكية والبريطانية والكندية.

معاداتهم للسامية تنشأ من حقيقة أن المهاجرين اليهود، يكونون ظاهريا فى المرتبة الأولى في عملية الاستيعاب، ولكن يظلون يهودا في الجيل الثاني والثالث. هذا يُفَسَّر بشكل طبيعي بما يفيد أن اليهودي لا يرغب بإخلاص في أن يتم استيعابه وذلك، خلف مقدرة مدعاة للتكيف، يخفى تعلقا عمديا وواعيا لتقاليد عرقه. الحقيقة هي العكس تماما: ذلك لأنه لا يتم قبوله باعتباره إنسانا، لكن دائما وفى كل مكان باعتباره اليهودي فلذلك اليهودي غير قابل للاستيعاب.

تنتج مفارقة جديدة من هذا الموقف: أن اليهودي غير الأصيل يريد أن يضيع ذاته داخل العالم المسيحي وعلى الرغم من ذلك يبقى ثابتا في الأوساط اليهودية. أينما قدم نفسه من أجل أن يهرب من الواقع اليهودي، يستشعر أنه يتم قبوله بوصفه يهوديا ويتم النظر له في كل لحظة بوصفه يهوديا. حياته في وسط المسيحيين لا تحقق له الاستقلالية التي يبحث عنها؛ بالأحرى، هو توتر أبدى. في رحلته تجاه الإنسانية يأخذ معه في كل مكان الصورة التي تطارده. هذا هو الذي يؤسس بين اليهود المرضى تضامنا، ليس نابعا من السلوك أو المصلحة، ولكن من الموقف. الذي يوحدهم، حتى أكثر من معاناة ألفى عام من الزمان، هو العدائية الحالية من المسيحيين. يصر[اليهودى] كما قد يفعلون أن الصدفة وحدها قد جمعتهم في المناطق السكنية نفسها، في البنايات ذات الشقق المتجاورة نفسها، في المشاريع نفسها، يوجد بينهم رابطة قوية ومعقدة تستحق التحليل.

في الحقيقة، اليهودي بالنسبة ليهودي آخر هو الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن يقول معه "نحن". المشترك بينهم (على الأقل بين كل اليهود غير الأصلاء) هو الإغراء المستمر للتفكير مليا في أنهم "ليسوا مثل الرجال الآخرين"، وحساسيتهم تجاه آراء الآخرين، وقرارهم الأعمى واليائس للهروب من هذا الإغراء. عندما، بالتالي، يكونون وحدهم في ألفة شققهم السكنية، من خلال استبعاد الشهود غير – اليهود يستبعدون في الوقت نفسه ما ينتج الواقع اليهودي. بلا شك هؤلاء المسيحيون الذي اخترقوا تلك الأمور الداخلية يجدون سكانها أكثر يهودية عما ذي قبل على الإطلاق، لكن ذلك لأنهم سمحوا لأنفسهم بالتصرف على راحتهم – والذي لا يعنى أنهم تركوا أنفسهم لمتعة "طبيعتهم" اليهودية، كما يتم اتهامهم عادة، ولكن، على

العكس، لأنهم قد نسوها. الذي قد يثبت هذا — إذا ما كان ذلك ضروريا — أنه قد لا يلاحظ أفراد العائلة نفسها السمات العرقية عند أقربائهم (أعني بالسمات العرقية الحقائق البيولوجية والموروثة التي قبلناها بطريقة لا تقبل الجدل). عرفت امرأة يهودية كان يجب على ابنها أن يقوم برحلات عمل إلى ألمانيا النازية في غضون عام 1934. هذا الابن كان يملك السمات النمطية لليهودي الفرنسي — أنفا معقوفا، أذنين بارزتين، الخ. — لكن عندما عبرنا عن قلق بخصوص ما قد يجرى له في أثناء مرة من مرات غيابه، ردت أمه: "آه، أنا لست قلقة؛ إنه لا يبدو يهوديا على الإطلاق" .

فقط، من خلال جدل (دياليكتيك) مناسب لليهودي غير الأصيل، مرجع هذا لما هو باطني، هذا الجهد لتأسيس حضور يهودي والذي من خلاله كل يهودي بدلا من أن يكون شاهدا على الآخرين، يظهر في ذاتية جماعية ويتم القضاء على المسيحي بوصفه مشاهدا، كل هذا بمثابة خداع طيران يتم اختصارها في لا شئ عبر الوجود الدائم والعالمي لغير — اليهود. حتى في أكثر تجمعاتهم حميمية لا يستطيع اليهودي أن يقول على غير — اليهودي ما قاله ساينت جون بيرس"[1] عن الشمس: "إنها لا تسمى، لكن حضورها موجود بيننا". لا يستطيعون تجاهل حقيقية أن نزوعهم ذاته للاختلاط معا يعرفهم كيهود في عقلية المسيحيين. وعندما يظهرون علانية، فإن تضامنهم مع إخوانهم في الدين يضع عليهم شارة كما لو كانوا علامة تجارية. اليهودي الذي يصادف يهوديا في غرفة رسم مسيحي، يشبه قليلا الفرنسي الذي يقابل مواطنه في خارج البلاد. وبرغم ذلك يجد الفرنسي متعة فى التأكيد للعالم على أنه فرنسي، في حين أن اليهودي، حتى ولو كان الإسرائيلي الوحيد في الشركة غير — اليهودية، قد يجبر نفسه على ألا يشعر بأنه ليس يهوديا. عندما يكون يهودي آخر معه، يشعر بنفسه معرضا للخطر أمام الآخرين، وهو الذي كان منذ لحظة لا يستطيع أن يرى حتى السمات العرقية في ابنه أو ابن أخيه ينظر الآن لإخوانه في الدين بعيون المعادى

1 - ساينت جون بيرس: شاعر ودبلوماسى فرنسى (1887-1975) حصل على جائزة نوبل فى الآداب عام 1960.

– للسامي، يتحسس بمزيج من الخوف والحتمية العلامات الموضوعية لأصلهم المشترك.

إنه خائف جدا من الاكتشافات التي سيقوم بها المسيحيون لذا يتعجل ليقدم لهم تحذيرا، يصبح هو ذاته معاديا- للسامى من خلال نفاد الصبر وفى سبيل الآخرين. كل سمة يهودية يكتشفها تشبه قوة دفع خنجر، لأن الأمر بالنسبة له يبدو بأنه يعثر عليها في نفسه، لكنها بعيدة المنال، موضوعية، غير قابلة للعلاج، ومعلنة للعالم. لا يهم كثيرا من الذي يجسد العرق اليهودي. في لحظة ما يتجسد، تضيع سدى كل جهود اليهودي لإنكاره.

نعلم أن أعداء إسرائيل[1] مستعدين لدعم رأيهم الخاص بالقول إنه "لا يوجد أحد معادٍ – للسامية أكثر من اليهودي". في حقيقة واقعية، معادة- السامية هذه عند اليهودي هي مستعارة. إنها أولا وقبل أي شئ الهوس المؤلم في العثور على آبائه، في هؤلاء القريبين منه، إنها العيوب التي يتمنى بكل قوته أن يرفضها. "ستيكل"، في الحالة التي ذكرناها في وقت سابق، يقدم تقريرا بالتالي: " في الإدارة المنزلية وتعليم الأطفال كل شئ يجب أن يكون تحت التوجيه [من الزوج اليهودي]. حتى أن الأمر أسوأ في المجتمع. إنه يلاحق [الزوجة] بعينيه وينتقدها لدرجة تفقدها رزانتها. وهى فتاة شابة، كانت معتدة بذاتها؛ أعجب الجميع بسلوكها المميز والواثق. الآن تتعثر طيلة الوقت خوفا من صنع خطأ؛ تخاف النقد الذي تقرؤه في عيني زوجها .. على أقل مستوى من الحظ العاثر، قد يلومها بالتصرف بيهودية".

يستطيع المرء أن يتخيل جيدا هذه الدراما بين شخصين: الزوج – منتقد، متحذلق غالبا، له سلوك انعكاسي دائم- يلوم زوجته على كونها يهودية لأنه يخاف لحد الموت من أن يظهر هو نفسه بهذه الطريقة؛ المرأة، مصدومة من نظرته العدائية التي بلا شفقة؛ تشعر أنها موحولة في "اليهودية" رغم أنفها، تشعر، دون أن تفهم السبب، أن كل إيماءة منها، كل عبارة، غير سليمة، وقد تكشف أصلها أمام العيون. إن الأمر جحيم بالنسبة لكليهما. لكن يجب أن نرى، أيضا، أن معادة – السامية

1 - يستمر خلط سارتر فى المصطلح بين اليهود والاضطهاد الذى وقع عليهم فى أوربا؛ وبين إسرائيل كمصطلح قدمته الصهيونية لاحتلال فلسطين تعويضا عن ذلك الاضطهاد!

هذه عند اليهودي هي جهد ليجعل من نفسه شاهدا وحكما موضوعيا، وبذلك يهرب من المسئولية للأخطاء المنسوبة إلى "عرقه".

بالطريقة نفسها، يوجد الكثيرون الذين يطبقون صرامة جلية دون شفقة حتى على أنفسهم، لأن هذه الصرامة تنتج ازدواجا في الشخصية، بواسطته يهربون من إحساس بالذنب من خلال أن يصبحوا قضاة.

التجسد الحاضر في الآخر لهذه "الطبيعة اليهودية" الذي يرفض الاعتراف به في نفسه، يساعد في خلق شعور غامض وسابق للمنطق في اليهودي غير الأصيل تجاه قرابته لليهود الآخرين. هذا الشعور بشكل إجمالي هو اعتراف بالمشاركة — "يشارك" اليهود كل منهم في الآخر؛ تطارد حياة كل واحد منهم حيوات الآخرين - وهذا التشارك الروحاني يصبح بكل الطرق أقوى كلما سعى اليهود غير الأصيل لإنكار انه يهودي.

سأعطى فقط مثالا واحدا لتدعيم هذه المقولة. نعرف أن العاهرات خارج البلاد كثيرا ما يكن فرنسيات، وليس من اللطيف لفرنسي أن يصادف امرأة فرنسية في ماخور بألمانيا أو في الأرجنتين. على الرغم من ذلك، فإن إحساس الرجل الفرنسي بمشاركته في الواقع القومي يختلف في طبيعته تماما عن إحساس اليهودي بالمشاركة تجاه قومه. إن فرنسا هي أمة؛ لذلك يستطيع الوطني أن يعتبر نفسه منتميا لواقع جماعي يتم التعبير عن شكله عبر أنشطة اقتصادية، وثقافية، و عسكرية؛ وإذا ما كانت أوجه ثانوية محددة أخرى لا تسر، فإنه يمكنه التغاضي عنها. إن ذلك ليس رد فعل اليهودي الذي يقابل يهودية تحت الظروف نفسها. رغما عنه، يرى في الموقف المهين لعاهرة الموقف المهين لإسرائيل. سمعت العديد من الحكايات النادرة في هذا الموضوع، ولكنني سأستشهد بواحدة منها فقط، سمعتها مباشرة من الشخص الذي حدثت له. يذهب يهودي إلى بيت دعارة، يختار واحدة من النساء، ويصعدان معا للأعلى. تخبره أنها يهودية. فإذا به يجد نفسه عنينا جنسيا، وسرعان ما يتغلب عليه إحساس لا يطاق بالإذلال الذي يعبر عن نفسه في موجات من التقيؤ. إنه ليس الاتصال الجنسي مع يهودية الذي يكرهه، - فعلى كل حال، يتزوج اليهود من بعضهم بعضا؛ بل بالأحرى هو الشعور بأنه يسهم شخصيا في إذلال العرق اليهودي في شخص

العاهرة، و،بالتالي، في شخصه. في التحليل الأخير إنه هو الذي يدفع للعهر، ويتم إذلاله؛ إنه هو وكل الشعب اليهودي.

لذلك، بغض النظر عما يفعلونه، اليهودي غير الأصيل يتم الاستحواذ عليه عبر الوعي بأنه يهودي. في هذه اللحظة بعينها عندما يجبر نفسه من خلال سلوكه الكلى حتى ينكر السمات المنسوبة له، يشعر انه يستطيع أن يرى هذه السمات في الآخرين، وهكذا ترتد [السمات] إليه مباشرة. هو يستشعر ويبحث عن إخوانه في الدين؛ يؤكد أنه مجرد رجل واحد من بين آخرين، ومثل الآخرين، ورغم ذلك يشعر بنفسه مفضوحا مع سلوك أول عابر سبيل، لو كان عابر السبيل هذا يهوديا. يجعل من نفسه معاديا —للسامي من أجل أن يحطم كل الروابط بالمجتمع اليهودي؛ وبالرغم من ذلك يجد مجددا المجتمع في صميم قلبه، لأنه يختبر عيانا بيانا الإذلال الذي يفرضه المعادى — للسامي على اليهود الآخرين. ما يدمغ اليهودي غير الأصيل هو بالتحديد هذا التذبذب الدائم بين الكبرياء، وإحساس بالدونية، وبين النفي التطوعي والمشحون بالعاطفة لسمات عرقه وبين المشاركة الجسدية والروحانية في الواقع اليهودى.

هذا الموقف الحتمي والمؤلم قد يؤدى بعدد معين منهم للمازوخية[1]، لأن المازوخية تبدو وكأنها تقدم حلا مؤقتا، نوعا من الإرجاء أو الراحة. ما يستحوذ على اليهودي أنه مسئول عن نفسه، مثل كل الرجال، لذلك يفعل بإرادته ما يعتقد أنه صواب، وهذا، على الرغم من ذلك، مجتمع عدائي يرى أفعاله دائما ملوثة بالسمة اليهودية. لذلك بالنسبة له يبدو الأمر أنه يجعل من نفسه يهوديا في اللحظة نفسها التي يجبر نفسه على الفرار من الواقع اليهودي؛ لأنه متورط في صراع ينهزم فيه دائما ويصبح فيه عدوا لذاته؛ وللدرجة التي يصبح فيها واعيا بكونه مسئولا عن نفسه، يبدو له أنه يحمل المسئولية الساحقة عن جعل نفسه يهوديا أمام اليهود الآخرين وأمام المسيحيين. فمن خلاله، رغما عنه، يوجد الواقع اليهودى.

الآن، المازوخية هي الرغبة في معاملة الذات كشئ. مذلولة، محتقرة، أو ببساطة مهملة. تحمل المازوخية متعة أن يرى نفسه يتحرك، يتم التعامل معه، ويتم استخدامه

1 - المازوخية: اضطراب نفسي يحدث للإنسان يتجسّد في التلذّذ بالألم الواقع على الشخص نفسه وتعذيبه لذاته، حتى يستعذب فكرة الاضطهاد والقهر الواقع عليه عامةً.

كشيء. يحاول التفكير في ذاته كشئ غير حي، وبتلك الوسيلة يتخلى عن مسئولياته. هذا التخلي الكامل يجذب بعض اليهود، مرهقين من الصراع ضد يهوديتهم غير المحسوسة، دائما متنصل وقلق رغم ذلك يولد من جديد باستمرار. يفشلون في رؤية أن الأصالة تظهر نفسها في التمرد، ولا تتحقق بكل بساطة بقبول أنهم يهود؛ إنهم يبحثون فقط على أن يكونوا يهودا من خلال نظرات، وعنف، وازدراء الآخرين، من خلال أن يكون لهم سمات ومصير مرتبط بهم- أن تكون من اليهود كما الحجر هو الحجر: لذلك للحظة قد يجدون الراحة من تلك الحرية المسحورة التي لا تسمح لهم بالفرار من حالهم، والتي يبدو أنها توجد فقط من اجل أن تفرض عليهم مسئولية إزاء ما يرفضونه بكل قوتهم.

لنكون على يقين، يجب على المرء إدراك أن هذه المازوخية لها أسباب أخرى أيضا. في فقرة مثيرة للإعجاب وقاسية لـ"أنتيجون"، كتب "سوفوكليس"[1]: "أنت تملك الكثير من الكبرياء بالنسبة لشخص غارق في سوء الحظ". قد يقال إن واحدة من السمات المهمة لليهودى هى، على العكس من أنتيجون، معرفة شخصية يومية بسوء الحظ تجعل منه متواضعا أثناء الكارثة. لا يتم استنتاج من هذا، كما يحدث عادة، أنه متعجرف حين ينجح وذليل حين يفشل. إن الأمر مختلف تماما: لقد استوعب النصيحة العجيبة التي أعطتها الحكمة الإغريقية للابنة "أوديب"[2]؛ لقد تعلم التواضع، الصمت، الصبر ملائم لسوء الحظ، لأن سوء الحظ هو بالفعل خطيئة في عيون البشر. ومن المؤكد أن مثل هذه النصيحة يمكن أن تنقلب إلى مازوخية، إلى تمتع بالمعاناة. ولكن الشئ الجوهري مازال إغراء أن يتجرد من ذاته، ومن أن توضع عليه علامة نهائية وللأبد بطبيعة ومصير يهودي، مستريحا من كل المسئولية والضرورة للصراع.

لذلك معاداة- السامية والمازوخية عند اليهودي غير الأصيل يمثلان لحد ما الشيئين المتطرفين في سلوكه الممكن: في معاداة- السامية ينكر عرقه من أجل أن

---

1 - هى مسرحية "أنتيجون" لواحد من أبرز كتاب التراجيديا الإغريقية : سوفوكليس (496-405ق.م)، أما أنتيجون فهى البطلة وأحد الشخصيات الرئيسية فى المسرحية.

2 - يقصد أنتيجون أيضا، حيث وفقا لأحداث الرواية "أنتيجون" هى واحدة من بنتين قام "أوديب" بإنجابهما؛ حيث تخبرنا أحداث الأسطورة اليونانية بمأساة أوديب الذى قتل أباه وتزوج أمه، التى أنجبت منه أربعة أبناء ولدان وابنتان.

يصبح أكثر من مجرد فرد، رجل بلا شائبة في غمار رجال آخرين؛ في المازوخية، هو يتبرأ من حريته بوصفه إنسانا ليتهرب من خطيئة أنه يهودى ومن أجل أن يسعى لراحة وسلبية أن يكون شيئا[1].

وعلى الرغم من ذلك، يضيف المعادى – للسامي لمسة أخرى للصورة: اليهودى، كما يخبرنا، هو مفكر نظري، مفكر خالص. وندرك على الفور أن المصطلحات: نظري، عقلاني، ومفكر، تأخذ هنا معنى تحقيريا، لا يمكن أن تكون خلافا لذلك، طالما يدعى المعادى –للسامي لنفسه الحق في الامتلاك الواقعي وغير العقلاني لقيم الأمة. لكن ما إذا كان يجب أن نسترجع الذكرى فإن العقلانية كانت واحدة من الأدوات الرئيسية للتحرر الإنساني، يجب أن نرفض اعتبارها دورا خالصا للأفكار التجريدية؛ على النقيض، يجب أن نصر على قدرتها الإبداعية. علق قرنان من الزمان –وليسا الأقل أهمية- آمالهما على العقلانية؛ من العقلانية انبثقت العلوم وتطبيقاتها العملية؛ كانت فكرة وشغفا؛ حاولت أن توحد البشر من خلال الكشف لهم عن الحقائق الكونية التي يستطيعون التوصل جميعا لاتفاق من خلالها، وفى تفاؤلها الساذج والمقبول خلطت الشر: بالخطأ. لن نفهم شيئا بخصوص العقلانية اليهودية إذا ما نظرنا لها بوصفها نوعا من الميل النظري للجدال، بدلا من حقيقة ما هي عليه – حب نضر ومفعم بالحياة للبشر.

وفى الوقت نفسه، على الرغم من ذلك، هي أيضا ممر طيران – يمكنني حتى القول، الطريق الملكي للطيران. عند هذه النقطة، نكون قد بحثنا في هؤلاء اليهود الذين يحاولون، في شخصيتهم الفردية، أن ينكروا موقفهم بوصفهم يهودا. لكن يوجد آخرون ممن اختاروا اعتناق مفهوم للعالم يستبعد فكرة العرق في حد ذاتها. بلا ريب هذه حقا محاولة ليخفوا عن أنفسهم الموقف الخاص بهم كيهود؛ لكن إذا ما نجحوا في إقناع أنفسهم والآخرين أن فكرة اليهود ذاتها هي افتراضية معاكسة، إذا ما نجحوا في تأسيس رؤيتهم للعالم بطريقة يصبحون فيها غير مبصرين لواقع اليهودية تماما مثلما لا

1 - فى فلسفة سارتر وتصوره للوجودية؛ يعتبر أن هناك نوعين من الوجود فى العالم؛ الوجود لذاته وهو الوجود البشرى، والوجود فى ذاته وهو وجود الأشياء والجوامد، وكأن سارتر فى تحليله هنا يعتبر هروب اليهودى من ذاته وهويته ينقله من الوجود البشرى الواعى بنفسه ومسئوليته وحريته فى الاختيار، إلى مصاف الجوامد التى تنكر وعيها ومسئوليتها.

يبصر الشخص المصاب بعمى- الألوان الأحمر أو الأخضر، ألا يستطيعون حينها الإعلان بحسن نية أنهم "بشر وسط البشر؟"

العقلانية عند اليهود هي شغف — الشغف للعالمي. إذا اختاروا هذا بدلا من شئ آخر، فإن ذلك من أجل أن يأخذوا مسار طيران أكثر المفاهيم المتخصصة التي تفرقهم. من بين كل الأشياء في العالم، العقل هو أوسع الأشياء انتشارا؛ هو لا يخص أحدا ويخص الكل. إذا ما كان العقل موجودا، فما كانت لتكون هناك حقيقة فرنسية أو حقيقة ألمانية؛ ما كانت لتكون هناك حقيقة زنجية أو حقيقة يهودية. ستوجد فقط حقيقة واحدة، وهو أفضل من يفوز بها. في مواجهة القوانين العالمية والأبدية، يكون الإنسان ذاته عالميا. لن يوجد هناك المزيد من اليهود أو البولنديين؛ يوجد بشر يعيشون في بولندا، آخرون يتم تمييزهم باعتبارهم أصحاب "عقيدة يهودية" في أوراقهم العائلية، والاتفاق ممكن دائما بينهم فورما يصل النقاش للعالمي.

استرجع صورة الفيلسوف التي يرسمها أفلاطون في محاورته السابعة "فيدون"[1]: الذي تمثل صحوة العقل بالنسبة له موت الجسد، في خصوصيات الشخصية، كيف الفيلسوف المفصول عن جسده، والمحب الخالص للحقيقة المجردة والكونية، يفقد كل سماته الفردية كي يصبح نظرة عالمية من التساؤل. إنه هذا النوع من فقدان التجسد بالضبط الذي يبحث عنه اليهود. أفضل طريقة كي يشعر بأنه لم يعد يهوديا هي إقامة الحجة بالمنطق، لأن المنطق مقبول صلاحيته عند الجميع ويمكن للجميع أن يتتبعه. لا توجد طريقة يهودية في علم الرياضيات؛ عالم الرياضيات اليهودي يصبح عالميا حينما يجادل بالمنطق. ويصبح المعادى — للسامي الذي يتتبع عقله أخا له، رغم مقاومته.

لذلك العقلانية التي يلتصق بها اليهودي بشغف شديد هي قبل كل شئ ممارسة للزهد والتطهر، هروبا إلى العالمي. اليهودي الصغير الذي يشعر بميل للجدل الذكي والنظري يشبه الطفل الذي يتحسس جسده حتى يتعرف عليه: إنه يختبر ويتفحص به حالته المسممة بوصفه إنسانا عالميا؛ عند مستوى أعلى يدرك أن التوافق

---

1 - قدم أفلاطون أفكاره من خلال محاورات أو حوار يسوق من خلاله ما يريده؛ وفيدون هى واحدة من المحاورات الثلاث التى خصصها أفلاطون لأستاذه ومعلمه الفيلسوف الإغريقى الكبير سقراط.

والاستيعاب هما اللذان ينكراه على المستوى الاجتماعي. اختيار العقلانية بالنسبة له هو اختيار المصير الإنساني والطبيعة الإنسانية. هذا هو السبب لماذا يكون من الصواب ومن الخطأ في آن واحد أن اليهودي "أكثر ذكاء من المسيحي". يجب أن نقول بالأحرى إن لديه ميلا للذكاء الخالص، إنه يحب أن يستخدمه فيما يخص أي شئ وكل شئ، وإن استعماله له لا يقاومه المحظورات (التابوهات) التي لا تعد ولا تحظى والتي لا تزال تؤثر على المسيحي، أو عبر إدراك مخصوص ينميه غير-اليهودي بإرادته. ويجب أن نضيف أنه يوجد في اليهودي نوع من الإمبريالية المفعمة بالعاطفة للمنطق؛ لأنه لا يتمنى فقط أن يقنع الآخرين أنه على صواب؛ هدفه أن يقنعهم أن هناك قيمة مطلقة وغير مشروطة في العقلانية. هو يشعر بأنه مبشر بالعالمي؛ ضد عالمية العقيدة الكاثوليكية، التي يستبعد منها، إنه يؤكد على "كاثوليكية" المنطقي، أداة يستطيع من خلالها الحصول على الحقيقة وتأسيس رابطة روحية بين البشر. ليس الأمر مصادفة أن "ليون برونشفيج"[1]، فيلسوف يهودي، يضع على المساواة في كتاباته تقدم العقل وتقدم التوحيد (توحيد الأفكار، وتوحيد البشر).

يحتقر المعادى – للسامي اليهودى لـ"عدم كونه مبدعا، أو لامتلاكه ذكاء مدمرا". هذا الاتهام السخيف قد أخذ الشكل الخارجي للصدق من خلال حقيقة أن الذكاء اليهودي يأخذ طواعية منحى خطيرا (أليس من اليهود كل من: سبينوزا – بروست – كافكا – داريوس ميلو – شاجال ، أينشتين – برجسون؟ [2]). لكن ثانية ليس الأمر مسألة طباع خلايا مخية لكنه مسألة اختيار للأسلحة. في الواقع، يجد اليهودي محتشدا ضده القوى غير العقلانية للعرف، وللعرق، للمصير القومي، وللغريزة: يتم التظاهر أن هذه القوى قد بنت صروحا، ثقافة، تاريخا وقيما عملية تحتفظ بالكثير من لا عقلانية منشئها ويمكن فهمها فقط عن طريق الحدس. دفاع الإسرائيلي يكمن في إنكار الحدس بطريقة مساوية لغير العقلاني، ليجعل القوى

---

1 - ليون برونشفيج: فيلسوف وأكاديمى فرنسى Léon Brunschvicg (1869-1944) اعتنق المذهب المثالى، تم اضطهاده من قبل النازيين وأجبر على ترك عمله الأكاديمى أثناء الاحتلال.

2 - تم تعريفهم، عدا: اسبينوزا (1632-1677) وكان فياسوفا هولنديا يهوديا من أهم مؤلفاته: "رسالة في اللاهوت والسياسة" – و داريوس ميلو الذى كان ملحنا ومعلما فرنسيا (1892-1974) وكان أحد أشهر ملحنى القرن العشرين.

الغامضة تختفي – السحر، اللا عقل، كل شئ لا يمكن تفسيره وفق مرجعية القوانين العالمية، وكل شئ يغدر بالتوجه نحو الفردي والاستثنائي. إنه يشك في مبدأ الكليات التي ينتجها العقل المسيحي من حين إلى آخر: إنه يتحدى.

بلا شك يمكن للمرء أن يتحدث عن التدمير في هذه العلاقة، لكن الذي يتمنى اليهودي تدميره أنا أحدده بشكل قاطع: إنه حصيلة القيم غير العقلانية التي تعرضهم للفهم الفوري دون دليل. يريد اليهودي دليلا لكل شئ يقدمه خصمه، لأنه هكذا يبرهن على ذاته. هو لا يثق بالحدس لأنه ليس مفتوحا للنقاش ولأنه، بالتالي، ينتهي بالتفرقة بين البشر.[1] إذا ما تحاجج بالمنطق وتنازع مع خصمه، يجب عليه تأسيس وحدة التفكير. قبل أي جدال يتمنى اتفاقا حول المبادئ التي سيثيرها المتنازعون؛ من خلال هذه الاتفاقية التمهيدية يعرض بناء نظام إنساني قائم على عالمية الطبيعة الإنسانية. إن النقد الدائم الذي يتم لومه به يخفى اعتقادا ساذجا بأن العنف ليس ضروريا بأية حال في العلاقات الإنسانية. حيث المعادى – للسامي هو الفاشي، الخ.، يبدأ بأن الحدس يمكن التعبير عنه وأن اليهودي يرغب في أن يكون غير قابل للتعبير عنه، ويجب استخدام القوة من أجل فرض التنوير الذي لا يستطيع أن يقبل معرفته، يسعى اليهودي غير الأصيل ليحل من خلال التحليل النقدي، كل ما قد يفرق البشر ويودى بهم للعنف، طالما انه سيكون الضحية الأولى لهذا العنف.

أنا أعي أن سبينوزا، وهوسرل[2]، و برجسون قد جعلوا موضعا للحدس في أنظمتهم. ولكن حدس سبينوزا وهوسرل هو عقلاني، والذي يعنى أنه مبنى على العقل، ويتم ضمانه من خلال النقد، وله حقيقة عالمية مثل موضوعه. لا يحمل أية مشابهة للرقة "الباسكالية"[3] للروح، وهذه الأخيرة – غير مسئولة، عاطفية، تقوم على

---

1 - يظهر هنا أحد جوانب فلسفة سارتر الوجودية؛ التى تقوم على وضع الحدس والعاطفة والتجربة الفردية الشخصية، فى مواجهة الذهنية والعقلانية والتاريخ والفكر الجماعى الموروث مسبقا.. فيرى سارتر فى فلسفته أن الوجود الحقيقى هو الذى يعتمد على الفرد وعاطفته وحدسه وتجربته فى اختيار مواقفه وقناعاته فى الحياة، فى حين يكون الجماعى والسائد هو مصدر استسلام وخوف الإنسان من مواجهته للعالم، حتى لا يعتمد على ذاته ومقدرته وتجربته الفردية المباشرة ومكتسباتها.. وبالتالى فهو يستخدم المقاربة نفسها فى تحليل المسألة اليهودية.

2 - هوسرل: فيلسوف ألمانى من عائلة يهودية (1859-1938) عرف بتأسيسه للمنهج والمدرسة الظاهرية.

3 - الباسكالية: نسبة إلى الفيلسوف والكاتب وعالم الرياضيات الفرنسى بليز باسكال (1623-1662)، والذى استطاع أن يسهم في إيجاد أسلوب جديد في النثر الفرنسي بمجموعته الرسائل الريفية، آمن باسكال بأن هناك

آلاف التصورات غير الحسية –تبدو لليهودي أسوأ أعدائه. الأمر مشابه عند "برجسون"، تقدم فلسفته، المظهر الغريب لمبدأ مضاد-للعقل قائم بالكامل من خلال الأكثر عقلية و التفكير الأكثر انتقادية. لأنه عبر الجدال يؤسس لوجود الاستمرارية الخالصة، للحدس الفلسفي؛ وهذا الحدس ذاته الذي يكتشف الاستمرارية أو الحياة، هو عالمي في حد ذاته، طالما انه يمكن لأي شخص أن يمارسه، ولأنه يقود للعالمي، طالما يمكن تحديد وتصور مواضيعه. أدرك أن برجسون لديه تردده تجاه استخدام اللغة، لكنه يسمح في النهاية للمفردات لتعمل كدلائل، كمؤشرات، كرسل لهم نصف-مصداقية. من الذي سيطلب المزيد منهم؟ ولاحِظ كم يكون مطمئنا بالكامل عند الجدال. اقرأ ثانية الفصل الأول من المقالة عن بيانات الشعور الفوري، النقد الكلاسيكي لـ التوازي النفسي-الجسدي، النقد لنظرية بروكا عن "الحبسة"[1].

في الواقع، كما كان يمكن القول مع "بواكناريه"[2] أن الهندسة غير- الإقليدية [نسبة إلى إقليدس] هي أمر يتعلق بالتعريف، وتظهر للوجود عندما يتقرر استدعاء أنواع معينة من المستقيم المنحنى – على سبيل المثال، محيط الدائرة الذي يمكن أن نتتبعه على سطح جسم كروي- لذلك فإن فلسفة برجسون هي عقلانية تستخدم ميزة لغة خاصة اختارها برجسون، في الواقع، لكي يطبق مصطلحات "الحياة" و"الاستمرارية الخالصة" ..الخ، على ما أسماه الفلاسفة المبكرون "الشيء"، وعملية فهم هذا الشيء قد سماه "حدسا". طالما يجب الاستعداد لهذا الفهم بالبحث والنقد، طالما يحتفظ بظرفيات عالمية ومن تلك التي لا يمكن عدم التعبير عنها، فإنه يتساوى بالأمر نفسه سواء سميناه حدسا غير عقلاني أو سببا تحليليا وظيفيا. إذا – بشكل

حدودًا للحقائق التي يمكن أن يدركها العقل، وأن الإيمان من القلب بالرسالة المسيحية هو المرشد الرئيسي للإنسان.

1 - الحبسة: aphasia هى فقد القدرة على الكلام نتيجة التعرض لإصابة، وقد وضع هذه النظرية الطبيب والجراح وعالم التشريح الفرنسى بول بروكا (1824-1880) نتيجة لأبحاثه على المخ البشرى.

2 - بواكناريه: هو هنرى بوانكاريه (1854-1912) أحد أعظم العلماء الفرنسيين في مجال الرياضيات والفيزياء النظرية كما كان من فلاسفة العلوم.

لائق تماما – وصفنا فلسفة كيركجارد[1] أو نوفاليس[2] على أنها لاعقلانية، إذن فربما نظام "برجسون" هو عقلانية خضعت لتغير في الاسم.

فيما يخصني: أراها وكأنها الدفاع الأسمى عن المضطهد: للهجوم من أجل الدفاع عن الذات، للتغلب على لاعقلانية الخصم على أرضها الخاصة- هذا هو، من أجل طلاء [تغطية وإخفاء] ضررها واحتوائها في تفكير بناء. و، في الواقع، حيث تفضي لاعقلانية سوريل[3] مباشرة للعنف، و، بالتالي، لمعاداة –السامية، إن لاعقلانية "برجسون" غير مؤذية تماما ويمكن أن تخدم المصالحة الإنسانية فقط.

هذه العالمية، هذه العقلانية النقدية، هي ما يجده المرء عادة في الديمقراطي. في ليبراليته النظرية، إنه يؤكد أن اليهود، والصينيين، والزنوج يجب أن يحصلوا على الحقوق مثل أعضاء المجتمع الآخرين، ولكنه يطالب بهذه الحقوق لهم بوصفهم بشرا، وليسوا كبوصفهم منتجات فردية للتاريخ. لذلك ينظر عدد من اليهود لشخصياتهم بعيون الديمقراطي. مطارد من شبح العنف، من البقايا غير المستوعبة للخصوصية والمجتمعات المحَاربة، يحلمون بمجتمع قائم على التعاقد والذي فيه الفكرة ذاتها قد تأسست تحت شكل من التعاقد – طالما سيكون الأمر حوارا قد يتفق المتنازعون فيه على قواعد في البداية- والذي يكون فيه "العقد الإجتماعي" هو الرابطة الجماعية الوحيدة. اليهود هم ألطف البشر، معادون بكل الشغف للعنف. ذلك العند الجميل الذي يحافظون عليه في غمرة الاضطهاد الأشد فظاعة، ذلك الإحساس بالعدل والمنطق والذي يقدمونه كدفاع وحيد في مواجهة مجتمع عدائي، وقاس، وغير عادل، ربما يكون أفضل جزء في الرسالة التي يقدمونها لنا والعلامة الحقيقة لعظمتهم.

---

1 - كيركجارد: رائد الفلسف الوجودية وفكرة التجربة الفردية والشخصية ودورها فى تحقيق الوجود والمعنى الحقيقى للإنسان، لكن فلسفة كيركجارد كانت وجودية مؤمنة، اعتمدت على شكل العلاقة الإيمانية الخاصة بكل فرد، وتمردت على الأنماط والمذاهب العقائدية التى يجتهد فى وضعها بعض أتباع الدين، واصفين إياها بصفات مقدسة ورافعين إياها لمصاف الدين نفسه.

2 - نوفاليس: فيلسوف وشاعر وكاتب ألمانى ينتمى لمرحلة الرومانتيكية الألمانية، واسمه الحقيقي فريدريش فرايهير فون هاردنبرج(1772-1801).

3 - سوريل: هو جورج يوجين سوريل (1847-1922) كان فيلسوفا ومنظرا فرنسيا، اشتهر بمفهومه عن سلطة وقوة الخرافة وتأثيرها على الناس وهو الفكر الذى أثر على الماركسيين والفاشيين الفرنسيين فى حينه، وكذلك اشتهر بدفاعه عن العنف.

في الوقت نفسه يمسك المعادى- للسامي بهذا الجهد المجاني لليهودي من أجل أن يعيش ويسود موقفه؛ يحوله لطابع ثابت يجسد عجز اليهودي في أن يتم استيعابه. بالنسبة له، لم يعد اليهودي عقلانيا إنما مجادل بالمنطق؛ مسعاه ليس البحث الإيجابي عن العالمي، لكنه دليل على عجزه عن التمسك بقيم عرقية ضرورية وقومية؛ روح النقد الحر التي يضع عليها أمله في الدفاع عن نفسه، ضد المعتقدات الخرافية والأسطورة تصبح الروح الشيطانية للإنكار، فيروسا مدمرا. بدلا من تقدير هذه الروح بوصفها أداة للنقد-الذاتي منشؤها التلقائي في المجتمع الحديث، يراها المعادى- للسامي كتهديد دائم للروابط القومية والقيم الفرنسية.

بدلا من إنكار حب بعض اليهود لاستخدام المنطق، بدت لي محاولة تفسيره أكثر صدقا وفائدة.

إنه أيضا يشبه محاولة الهروب من أننا يجب أن نفسر السلوك الذي يتخذه بعض اليهود تجاه أجسادهم.

نعلم أن السمة العرقية الوحيدة في اليهود هي الجسدية. لقد استغل المعادى — للسامي هذه الحقيقة وحولها لأسطورة: يدعى انه يستطيع أن يكتشف عدوه في لمحة واحدة. رد فعل بعض الإسرائيليين، لذلك، هي إنكار الجسد الذي يغدر بهم. بالطبع هذا النفي سوف يختلف في حدته كلما كان مظهرهم الجسدي أكثر أو أقل كشفا لهم؛ على أية حال، لا يشعرون تجاه أجسادهم بالرضا عن الذات، ذلك الإحساس الهادئ بالملكية التي يجسدها "الآريون" إلى حد أبعد.

لأن الجسد بالنسبة للآريين هو ثمرة للتربة الفرنسية؛ يمتلكونه من خلال ذلك التشارك العميق والسحري نفسه الذي يضمن لهم التمتع بأرضهم وثقافتهم. لأنهم فخورون به، فقد ربطوا به مجموعة معينة من القيم غير العقلانية تماما، لكن مقصود منها أن تعبر عن فكرة الحياة في حد ذاتها. أسماهم "شيلر"[1] بدقة "قيم ضرورية"؛ في الواقع، إنهم لا يتعلقون بالاحتياجات الأولية للجسد ولا بمتطلبات الروح، ولكنهم يتعلقون بازدهار محدد. نمط بيولوجي معين يبدو أنه تجسد للأداء الحميمي للكائن

1 - شيلر: هو ماكس شيلر (1874-1921) كان فيلسوفا ألمانيا عرف باهتمامه بالمنهج الظاهرى وبالأخلاق والقيم، واعتبره البعض مؤسس المنهج الظاهرى أو الفينومينولوجيا.

الحي، تناغم واستقلالية الأعضاء، التمثيل الغذائي على مستوى الخلية، وعلاوة على كل شئ "خطة الحياة" العمياء والمصممة بدهاء والتي تعد جوهر الحياة ذاته. الكياسة، والنبل، والحيوية من بين تلك القيم. في الحقيقة، نحن ننسبهم حتى للحيوانات: نتحدث عن كياسة القطة، عن نبل الصقر.

من الواضح أن الناس يسوقون عددا من تلك القيم البيولوجية من خلال مفهوم العرق. أليس العرق ذاته قيمة ضرورية خالصة؛ ألا يغلف بنيته الأساسية بحكم قيمة، طالما أن فكرة العرق ذاتها تشير إلى التباين؟ من ثم يشعر المسيحي، الآري، بجسده بطريقة خاصة. لا يملك وعيا بسيطا وصافيا، تأتى التغيرات الضخمة في أعضائه: الرسائل والمناشدات التي يرسلها جسده، مصحوبة بشهادة اعتماد من المثالية، ودائما ما تكون أكثر من أو ترمز للقيم الضرورية. إنه حتى يكرس قسما من نشاطه لإدارة فهمه لذاته متمشيا مع نموذجه الأعلى الضروري: لا مبالاة الأناقة، الحيوية و"الإثارة" اللتين تمثلان أسلوبا مميزا في بعض العصور، الجو المؤذى للفاشي الإيطالي، كياسة امرأة – كل ذلك يسعى للتعبير عن أرستقراطية الجسد. ويرتبط بهذه القيم بطبيعة الحال بعض القيم– المضادة، التعلق المخزي بـ"الوظائف الدنيا" للجسد، أو بأنماط معينة من السلوك ومشاعر التواضع، على سبيل المثال. مشاعر التواضع، بشكل مؤكد، هي بكل بساطة إحساس بالعار من إظهار عرى المرء وهى أيضا طريقة لجعل الجسد نفيسا، رفض لرؤية الجسد كمجرد أداة: الجسد مختبئ في قدسية ملابسه مثل شئ محط إعجاب.

إن اليهودي غير الأصيل يحرم من قيمه الضرورية بواسطة المسيحي. إذا ما أصبح واعيا بجسده، يظهر على الفور مفهوما للعرق ليسمم مشاعره الحميمية. قيم النبل والكياسة قد استحوذ عليها "الآريون"، الذين يرفضونها له. إذا ما قبل هذه القيم فربما قد يكون مرغما على إعادة التفكير في فكرة التفوق العرقي بكل تبعاتها. باسم الإنسان العالمي ذاته، يرفض أن يعطى أذنا للرسائل الخاصة التي يرسلها له جسده الحي؛ باسم العقلانية يرفض قيما غير عقلانية ويقبل فقط قيما روحية. العالمية بالنسبة له هي محصلة ميزان القيم، إنه يتخيل نوعا من الجسد العالمي والعقلاني. إنه لا يملك احتقارا صوفيا لجسده، إنه لا يسميه "خرقة" أو "حيوانا"، لكنه كذلك لا

يراه موضعا للتبجيل. إلى هذا الحد وبينما لا ينساه حقيقة، يعامله كأداة، يشغل نفسه بها فقط من أجل أن يكيفها بإحكام مع غاياته.

وفى الحين الذي يرفض فيه التفكير في القيم غير العقلانية للحياة، يرفض أيضا إعداد نظام هرمي تراتبى (هيراركى) بين الوظائف الطبيعية. هذا الرفض له غرضان: من جهة، أنه يستوجب إنكارا للخصوصية العرقية لإسرائيل، وعلى الجهة الأخرى أنه سلاح هجومي موجه للمسيحيين يفيد بأن أجسادهم هي مجرد أدوات. وأن "افتقاد الخجل" الذي يلوم به المعادى- للسامي بعض اليهود ليس له منشأ آخر. إنه بشكل مبدئي جهد لمعاملة الجسد بشكل عقلاني. إذا كان الجسد عبارة عن نظام آلي، لماذا نرمى بالتحريم احتياجاته من الظهور؟ لماذا نمارس سيطرة أبدية عليها؟ يجب أن تنفذ، بنظافة، باستمرارية بلا متعة، بلا حب، وبلا خجل — مثل الآلة.

وأحيانا، في واقع الأمر، يوجد أيضا نوع من اليأس خلف افتقاد الخجل هذا، ما هو الستار الجيد، جسد قد استنكرته نظرة الآري المحدقة وللأبد؟ لتكون يهوديا فى عيون العالم- أليس ذلك أسوأ من أن تكون عاريا؟ بالطبع، العقلانية ليست محجوزة لليهود: يوجد العديد من المسيحيين — الأطباء، على سبيل المثال- الذين يفترضون مثل هذه النظرة تجاه أجسادهم، أو تجاه أجساد أطفالهم. ولكن في مثل تلك الحالات الأمر مسألة انتصار، مسألة تحرر تتعايش، عادة، مع العديد من الباقين على قيد الحياة بيولوجيا. اليهودي، من جهة أخرى، لا يحاول أن ينتقد القيم؛ لقد وصل للدرجة التي ليس لديه إحساس بها.

يجب أن يُضَاف، على الرغم من ذلك، كنقطة ضد المعادى- للسامي، أن اضطرابه الجسدي الذي يحدث بين اليهود قد يكون له نتائج معاكسة للغاية وتؤدى للخجل من الجسد، رويت أنماط كثيرة عن العديد من اليهود الذين يذهبون لأبعد من المسيحيين في الاحترام والذين يكون اهتمامهم الدائم هو إخفاء أجسادهم. وهناك آخرون ينشغلون مسبقا بإضفاء المسحة الروحية على أجسادهم، هذا هو، القيام بإلباسهم في دلالة روحية، طالما أنهم ينكرونها كقيمة ضرورية؛ بالنسبة للمسيحي وجوه وإيماءات بعض اليهود عادة ما تكون محرجة بسبب ما تدل عليه — إنها تمثل الذكاء، الطيبة، الاستسلام، أو الألم الواضح جدا ولمدة طويلة جدا من الزمن.

إنه من المألوف السخرية من الإيماءات السريعة والمعبرة التي يقوم بها اليهودي بيديه عندما يتحدث- برغم أن هذه الحيوية التي يتم محاكاتها هي في حقيقة الأمر أقل انتشارا مما يعتقد الناس. إنه من الأهمية القصوي أن نميز هذه السمة عن السلوك الذي يشابهها في الظاهر، مثل ذلك الذي يخص المواطن التقليدي من "مارسيليا"[1]، على سبيل المثال. محاكاة أهل "مارسيليا" — مبالغ فيها، متعجلة، متواصلة بلا انقطاع- تتماشى مع نيرانه الداخلية، عصبيته المستمرة، رغبته في أن يذيب مع الجسد إجمالا ما يراه وما يشعر به. يوجد في اليهودي رغبة أساسية في أن يكون معبرا بشكل كامل، أن يشعر بالكائن الحي باعتباره وسيطا في خدمة فكرة، أن يتجاوز الجسد الذي يكبله ويذهب لما هو أبعد منه نحو أشياء أو حقائق تخضع للعقل. دعوني أتعجل لأضيف أنه في مثل هذه المواضيع الحساسة يجب أن نحمي أنفسنا بكل أنواع التحفظات. ما قلناه للتو لا ينطبق على كل اليهود غير الأصلاء؛ علاوة على كل شئ، إنه يختلف في أهميته عن السلوك العام لليهودي، متوقف الأمر على تعليمه، ومنشئه، وتحديدا على النمط العام لسلوكه.

يبدو لي أن المرء يمكن أن يفسره على نفس طريقة "افتقاد البراعة" اليهودية الشهيرة (بالطبع، يوجد مقدار يأخذ في الاعتبار من الضغينة في هذا الاتهام). ما أسميناه في التحليل الأخير براعة يتصل ب"رهافة الروح"، شئ لا يثق به اليهودي. لتعمل ببراعة هو أن تضع تقديرا لموقف في لمحة، أن تحيط به ككل، أن تشعر به بدلا من أن تحلله، لكن في الوقت نفسه إنه إدارة تصرف المرء بالإحالة إلى حشد من المبادئ غير الواضحة، التي يتعلق بعضها بالقيم الضرورية ويعبر بعضها الآخر عن طقوس وتقاليد من الأدب والتي كلها غير عقلانية. لذلك أن تتصرف "ببراعة" يدل ضمنا على أن الفاعل للتصرف قد تبنى مفهوما معينا للعالم، والذي هو تقليدي، وطقوسي، وتركيبي لأنه لا يستطيع أن يقدم منطقا. إنه يلمح أيضا لإحساس خاص بالمحصلات النفسية، إنه ليس نقديا بأي معنى، ويمكن أن نضيف أنه يأخذ معناه الكامل فقط في مجتمع محدد بدقة بأفكار مشتركة، وعادات، وأعراف. يحظى اليهودي

---

1 - مارسيليا: مدينة ساحلية فرنسية تقع على البحر المتوسط، وتعد ثانى اكبر مدن فرنسا بعد العاصمة الفرنسية باريس.

بالقدر من البراعة الطبيعية مثله مثل أي أحد، إذا فُهم من ذلك إدراك أساسي للآخرين، لكنه لا يسعى لامتلاكه.

لكي يوافق على أن يبنى تصرفه على البراعة سيكون اعترافا بأن المنطق ليس مرشدا كافيا في العلاقات الإنسانية وأن القوى الغامضة والتقليدية للحدس يمكن أن تتفوق عليها عندما يتعلق الأمر بتكييف الذات مع أناس آخرين أو عند التعامل معهم. ذلك قد يعني الاعتراف بنوع من الفتوى في قضايا الضمير، بأخلاقية بعض الحالات، وهكذا للتبرأ من فكرة الطبيعة الإنسانية العالمية يتطلب ذلك علاجا عالميا؛ قد يكون اعترافا بان المواقف الواقعية، مثل الرجال الواقعيين، لا يمكن مقارنتها؛ قد يكون ردة إلى الخصوصية. ومن خلال هذا قد يساعد اليهودي في سقوطه الخاص، لأنه باسم هذه البراعة ينتقده المعادى — للسامي كحالة خاصة ويستبعده من المجتمع القومي.

لدى اليهودي نزعة ملحوظة للاعتقاد أن أسوأ الصعوبات يمكن أن تحل من خلال المنطق؛ إنه لا يرى غير العقلاني، السحري، الفارق البسيط المحدد والملموس؛ هو لا يؤمن بتفرد الإحساس. من خلال رد فعل دفاعي مفهوم، هذا الإنسان الذي يعيش من خلال الرأي الذي يملكه الآخرون عنه يحاول أن ينكر قيم الرأي. هو يقع في إغراء تطبيق المحاججة بالمنطق الذي يناسب الأشياء، على البشر؛ إنه يتحرك صوب العقلانية التحليلية للمهندس والعامل: ليس لأن الأشياء قامت بتشكيله أو اجتذابه لكن لأنه يتم رفضه من جانب البشر. البنية النفسية التحليلية التي يشيدها تسمح له بسهولة باختصار الأسس التركيبية للوعي في لعبة مصالح، في مركب من الشهية، في "الحاصل الجبري" للأهواء. فن السيطرة، الاختصار، أو الإقناع يصبح حسابات عقلانية. فقط، إنه يستتبع حتما أن هذا التفسير للتصرف الإنساني عبر الأفكار العالمية يستلزم مخاطرة التجريد.

في الواقع، إنها الرغبة في التجريد التي تفسر علاقة اليهود الخاصة بالنقود. يحب اليهود النقود، يتم إخبارنا. ورغم ذلك هذا الوعي الجماعي الذي يتلهف ليصور اليهودي باعتباره شرها تجاه المكسب، نادرا ما يخلط بينه وبين الخرافة الشعبية الأخرى عن البخيل: الكرم وافر السخاء عند اليهودي يجعلهم حتى أكثر قابلية لاتهامات

المعادى – للسامي. بكل تأكيد، إذا كان اليهودي يحب النقود، فإن ذلك ليس لأنه له شهية خاصة للنحاس أو الذهب أو الأوراق النقدية: بالنسبة له تتخذ النقود دائما الشكل المجرد للأسهم والسندات البنكية، والودائع البنكية – إنه يصبح متعلقا بشكلها المجرد وليس بتعريفها الملموس.

في الحقيقة إنها قوة الشراء التي ينشدها، وإذا كان يفضل هذا النوع من الملكية على كل ما سواها فذلك لأنها عالمية. الاستحواذ عبر الشراء لا يعتمد على عرق المشترى؛ إنه لا يتعارض مع خصوصياته. سعر الشئ يتحدد بالنسبة لأي مشتر، والذي يتميز فقط بأنه يمتلك القيمة المكتوبة على بطاقة السعر. وعندما يتم دفع هذا المبلغ، يكون المشترى المالك شرعيا للشئ. لذلك الملكية من خلال الشراء هي مجردة وشكل عالمي للملكية. على النقيض من الامتلاك الفردي وغير العقلاني من خلال المشاركة.

توجد هنا حلقة مفرغة: كلما كان اليهودي غنيا، كلما زاد نزوع المعادى–للسامي التقليدي في الإصرار على أن الملكية الحقيقة ليست ملكية شرعية، لكنها تأقلم من الجسد والروح مع الشئ المملوك. بهذه الطريقة، كما رأينا، يستعيد الرجل الفقير الأرض والأشياء الروحية لفرنسا. يزخر الأدب المعادى–للسامية بإجابات متباهية موجهة لليهودي من خلال يتامى أتقياء ونبلاء قدامى محطمين، الخلاصة منها أن الشرف، الحب، الفضيلة، والذوق، الخ. "لا يمكن شرائهم". ولكن كلما زاد إصرار المعادى – للسامي على هذا النوع من الملكية – والذي يهدف لاستبعاد اليهودي من المجتمع– كلما أصبح اليهودي أكثر عرضة للإغراء ليؤكد أن الشكل الوحيد للملكية هو الملكية الشرعية التي تكتسب عبر الشراء. في مواجهة ذلك الامتلاك السحري الذي رفضه وحرمه حتى من الأشياء التي امتلكها، يصبح متعلقا بالنقود بوصفها القوة الشرعية للاستحواذ من قبل الرجل العالمي والمجهول الذي يسعى ليصبح عليه. إذا ما أصر على قوة النقود، فذلك للدفاع عن حقوقه بوصفه مستهلكا في مجتمع يطعن فيهم، وفى الوقت نفسه ليجعل العلاقة عقلانية بين المالك والشئ المملوك، من أجل أن يضع الملكية في إطار المفهوم العقلاني للعالم. في الواقع، الشراء، باعتباره تصرفا تجاريا عقلانيا، يضفى الشرعية بشكل لائق والذي يصبح وفق هذه

الشروط ببساطة حق استخدام وفي الوقت نفسه، قيمة الشئ، بدلا من أن تظهر كسلوك غامض يكون في متناول الحدس فقط، تصبح مُعرفة بسعره، الذي هو معلن ويمكن لأي أحد معرفته على الفور.

وهكذا نفهم كل الخلفية لميل اليهودي المزعوم تجاه النقود. إذا ما كانت النقود تحدد القيمة، إذن فالقيمة عالمية وعقلانية؛ إنها لا تنبعث من مصادر اجتماعية غامضة، تكون متاحة للجميع. ولا يمكن إذن استبعاد اليهودي من المجتمع: يصبح جزءا منه بوصفه مشتريا مجهولا وبوصفه مستهلكا. النقود هي عامل دمج. بالنسبة للمعادلات الرائعة الخاصة بالمعادى- للسامي – "لا تستطيع النقود أن تفعل شيئا"- هناك أشياء لا يمكن أن تشتريها النقود"- يجيب اليهودي أحيانا من خلال التأكيد على القوة المطلقة للنقود: يمكن شراء أي شخص، إذا استطعت التوصل فقط لثمنه". هذا ليس تهكما أو خسة؛ إنه مجرد هجوم مضاد. قد يود اليهودي إقناع المعادى- للسامي أن القيم غير العقلانية هي مجرد مظهر خارجي ولا يوجد أحد غير مستعد لمبادلتهم في مقابل النقود السائلة. وإذا ما ترك المعادى – للسامي نفسه ليتم شراؤه، فهنا البرهان – البرهان بأنه أيضا في صميم قلبه يفضل الاستحواذ الشرعي من خلال الشراء، على الاستحواذ الغامض من خلال المشاركة. في ضربة واحدة يصبح اليهودي مجهولا؛ هو ليس أكثر من إنسان عالمي يتم تعريفه بروية من خلال قدرته على الشراء. وهكذا يفسر دفعة واحدة وفى الوقت نفسه "تلهف اليهودي على المكسب" وكرمه الحقيقي في حد ذاته. إن "حبه للنقود" يشير بالكاد لقراره المدروس بأن يعتبر الذي له صلاحية فقط هو العقلاني، والعالمي، والروابط المجردة التي تكون بين الناس والأشياء؛ اليهودي هو نفعي لأن الرأي يحرمه كل التمتع بالأشياء عدا الاستخدام. في الوقت نفسه يتمنى أن يحصل من خلال المال على الحقوق الاجتماعية التي حرم منه كفرد. هو ليس مصدوما من كونه محبوبا بسبب ماله؛ احترام الأغنياء وتملقهم تسبب له في أن يصل للمخلوق المجهول، الذي يمتلك مثل هذه القوة للشراء. إنها حالة المجهولية تلك التي يسعى لها، لأنه، بشكل متناقض، يتمنى أن يصبح غنيا ليهرب من أن يتم ملاحظته.

هذه التعليقات قد تسمح لنا بأن نرى السمات الرئيسية للوعي اليهودي. إنه، يشك المرء، يُحَدَد بشكل عميق من خلال الاختيار الذي يقوم به اليهودي إزاء نفسه، ومن خلال كيفية فهمه لموقفه. ولكننا لا ننوى أن نرسم صورة شخصية هنا. نحن سنستدعي فقط الصبر الطويل لليهودي وتوقعه للاضطهاد، ذلك الشعور المسبق بالكارثة الذى يسعى لتخبئته عن نفسه أثناء السنوات السعيدة، ولكن الذي ينفجر فجأة في رؤية تنبؤية فورما تصبح السماء ملبدة. سوف نشدد على الشكل الخاص لإنسانيته، تلك الرغبة في الإخوة العالمية التي تتصادم مع أكثر الخصوصيات عنادا، والخليط الغريب من الحب، والكراهية، والإعجاب والريبة الذين يشعر بهم تجاه البشر الذين يتمنون ألا يكون لهم به أي شان.

لا تصدق أنك إذا ما ارتقيت له وذراعاك مفتوحان على وسعهما، سوف يمنحك ثقته. لقد تعلم اكتشاف معاداة- السامية في ثنايا أكثر الاحتجاجات الليبرالية صخبا. يكون مستريبا في المسيحيين بالقدر الذي يكون العمال فيه مستريبين في الأعضاء الصغار من الطبقة الوسطي الذين يملكون "حبا للشعب". بنيته النفسية النفعية تقوده للسعي للمصلحة — الذاتية، والحسابات، والتظاهر بالتسامح فيما وراء تمثلات التعاطف التي يجود بها بعض الناس تجاهه. ونادرا ما يكون مخطئا. وعاى الرغم من ذلك يسعى بتلهف لتلك التمثلات؛ يعشق الساعات التي يَرْتَاب فيها؛ يريد أن يكون على الجانب الآخر من الحاجز الاجتماعي- مع الآخرين، يعانق بين الآخرين الحلم المستحيل بأن يتم إنقاذه فجأة من الشك العالمي من خلال شعور حقيقي، براهين واضحة على النية الحسنة.

يجب أن نفهم عالم النقيضين هذا، هذه الإنسانية المشقوقة إلى نصفين؛ يجب أن نفهم أن كل عاطفة يهودية لها سجية مختلفة، انطلاقا مما إذا كانت موجهة للمسيحي أو لليهودي. حب يهودى ليهودية ليس له الطبيعة نفسها التي تماثل الحب الذي قد يشعر به لامرأة "آرية". يوجد ازدواج أساسي في الوعي اليهودي يختفي أسفل الإنسانية العالمية الخارجية.

أخيرا، يجب أن نلاحظ الطزاجة منزوعة السلاح والعفوية غير المنماة بالثقافة للمشاعر اليهودية. يتم التخلي عنها بالكامل من أجل عقلنة العالم، الإسرائيلي غير

الأصيل يمكنه بلا شك أن يحلل عواطفه، لكن لا يمكنه أن ينميهم: يمكنه أن يكون بروست، ولكن ليس بارس[1]. هذا لأن ثقافة الوعي وثقافة الذات يفترضان مسبقا تقليدية عميقة، نزوعا للخاص وغير العقلاني، لجوءا للأساليب التجريبية، المتعة الهادئة للامتيازات المستحقة: كل تلك المبادئ التي تخص الوعي الأرستقراطي.

من هذا سوف يستقي المسيحي الميل لمعاملة نفسه كنبتةٍ مترفة، أو مثل تلك البراميل من الخمر الفاخر والتي ترسل للهند فقط لكي تعود على الفور لفرنسا، من أجل أن يتخللها نسيم البحر ويعطى الخمر مذاقا لا يقارن. ثقافة الغرور سحرية بالكامل وتقوم على المشاركة، برغم ذلك تحويل الاهتمام باستمرار نحو الذات يحمل في النهاية بعض الثمار. اليهودي الذي يفر من ذاته والذي يتخيل العمليات النفسية كوظائف ميكانيكية أكثر منها ازدهارا لكائن حي، لا يشك في مراقبة دور نزعاته، لأنه قد وضع نفسه عند مستوى انعكاسي، لكنه لا يقوم بتنميتها؛ هو ليس متأكد حتى من أنه يفهم معناها الحقيقي: التحليل الاستبطاني ليس أفضل أداة للاستقصاء النفسي، لذلك ينغمر العقلاني باستمرار في حشد طازج وقوى من المشاعر والانفعالات. إنه يقوم بإلحاق وعي خام بتنقية الثقافة الفكرية. يوجد إخلاص، وشباب، ودفء في تمثلات الصداقة عند اليهودي التي نادرا ما سيجدها المرء عند المسيحى، حيث يكتسب المسيحي القسوة من خلال التقليد والطقوس. هذا أيضا هو ما يعطى مثل هذه السمة منزوعة السلاح للمعاناة اليهودية، الأكثر انغماسا في المعاناة.

ليس من الضروري أن نعمل على هذه النقطة. من الكافي الإشارة للتبعات التي قد تكون لعدم الأصالة اليهودية. سوف نقنع أنفسنا ختاما بالإشارة من خلال سكتة دماغية واسعة لما يسمي القلق اليهودي. لأن اليهود عادة ما يكونون قلقين. الإسرائيلي لا يكون على يقين أبدا من موقعه أو من ممتلكاته. لا يستطيع حتى القول إنه فى الغد سيكون ما زال فى البلد نفسه الذي يسكنه اليوم، لأن موقفه، وسلطته،

1 - بارس: هو موريس بارس (1862-1923) روائى وصحفى وسياسى فرنسى، كان من المعادين لليهودية ومن أشد المتحمسين للقومية خصوصا فى أثناء قضية درايفوس، وأخذت وجهته السياسية اتجاها واضحا نحو اليمين الفرنسى.. والمقصود هنا من تشبيه سارتر والمقارنة بين بروس وبارس؛ أن اليهودى فى تلك الفترة لم يكن قادرا على الدفاع بعاطفية وتشدد (وربما بعنف كما أوضح سابقا فى سياق حديثه عن جدلية العبد والسيد عند هيجل) عن فكرة أو حس ما يعتريه أو حتى يتعلق به وبوجوده مع أقرانه اليهود.

وحتى حقه في الحياة قد يكون معرضا للخطر ما بين لحظة والتي تليها. إلي جانب، كما رأينا، تطارده الصورة غير المحسوسة والمهينة التي يملكها الغوغاء العدوانيون عنه. تاريخه هو تاريخ تجوال على مدار عشرين قرنا؛ عند أى لحظة يجب أن يكون مستعدا ليحمل عصاه ومخلاته. مصابا فى راحته حتى تحت جلده، العدو غير المتصالح مع جسده الخاص، يتتبع الحلم المستحيل عن استيعاب يتضاءل، لا يستطيع أن يحظى أبدا بأمان "الآرى"؛ معترف به بشكل راسخ فوق أرضه ومتيقن للغاية من ملكيته، بما يجعله قد ينسى حتى إنه مالك ويرى الرابطة التى توحده مع بلاده بوصفها طبيعية.

على الرغم من ذلك، لا يجب أن يسود الاعتقاد بأن القلق اليهودي ميتافيزيقي. سيكون من الخطأ تعريفه بالقلق الذى يحركنا للاهتمام بوضع الإنسان. سأقول بالأحرى إن القلق الميتافيزيقي هو حالة لا يمكن لليهودي –بشكل ليس أكثر من العامل– أن يسمح لنفسه بها اليوم. المرء يجب ان يكون على ثقة من حقوق الفرد وأن يكون متجذرا برسوخ فى العالم، يجب أن يكون المرء متحررا من الخوف بأن كل يوم سَتُهَاجَم الأقليات أو الطبقات المضطهدة بعنف، قبل أن يتجرأ المرء ويثير الأسئلة حول مكان الإنسان في العالم ومصيره النهائي. في عالم، حيث الميتافيزيقا هى امتياز خاص للآرى الذي يحكم الطبقات. لا تترك أى شخص يرى فى هذا محاولة لتشويه الميتافيزيقا؛ عندما يتحرر البشر، ستصبح مرة ثانية موضع اهتمام جوهري للبشرية.

حالة قلق اليهودي ليست ميتافيزيقية؛ إنها اجتماعية. موضع اهتمامه الاعتيادي ليس بعد مكان الإنسان فى الكون، إنما مكانه فى المجتمع. لا يستطيع أن يتخيل عزلة كل إنسان في غمار عالم هادئ. إنه بين البشر يشعر بذاته منعزلا؛ تَحِدُّ المشكلة العرقية من أفقه. وليس قلقه من النوع الذي يبحث عن الخلود؛ إنه لا يستمتع به – هو يبحث عن الاطمئنان.

لقد استرعي انتباهي أنه لم يكن هناك سرياليون يهود في فرنسا. ذلك لأن السريالية، بأسلوبها الخاص، تثير سؤال المصير الإنساني. أنشطتها المخربة والجلبة الكبيرة التى أثيرت حولهم، كانت ألعابا مترفة لأعضاء صغار فى الطبقة الوسطي، مستريحون بالكامل فى بلد منتصر كان ملكهم. لا يحلم اليهودي بالتخريب، أو بالاهتمام بحالة الإنسان فى عريها. إنه الرجل الاجتماعي الممتاز، لأن عذابه

اجتماعي. إنه المجتمع، وليس حكم الله، الذي جعل منه يهوديا وخلق المشكلة اليهودية فى الوجود. بينما يتم إجباره على القيام باختياراته بالكامل من داخل المنظور الذي حددته هذه المشكلة، فإنه في ومن خلال الاجتماعي يختار حتي وجوده الخاص. جهده البناء ليدمج نفسه في المجتمع القومي هو اجتماعي؛ الاجتماعي هو الجهد الذي يبذله ليفكر في ذاته، وهذا هو، ليحدد ذاته، بين الرجال الآخرين مسراته ومآسيه تكون اجتماعية؛ ولكن كل ذلك لأن المسار الذي فرض عليه كان اجتماعيا. إذا بالتبعية تم ازدراءه لعدم أصالته الميتافيزيقية، فإن الذهن يتجه لواقع أن قلقه المستمر يكون مصحوبا بيقين جذرى، دعونا لا ننسي أن هذا اللوم يلقي على عاتق الذين صنعوه: اليهودي اجتماعي لأن المعادي- للسامي جعله هكذا.

لهذا الحد، إذن، يكون هذا الإنسان مطاردا، مدانا ليقوم باختياره لذاته على أساس مشكلات زائفة وفي موقف زائف، محروما من الشعور بالميتافيزيقا من جانب عدوانية المجتمع الذي يحيط به، يتم دفعه لعقلانية اليأس. حياته ليست سوى رحلة طويلة بعيدا عن الآخرين وبعيدا عن ذاته. لقد أصبح مغتربا حتى عن جسده الخاص؛ تمزقت أوصال حياته العاطفية إلي نصفين؛ تم إجباره علي ملاحقة الحلم المستحيل للإخوة العالمية في عالم يرفضه.

لمن يعود هذا الخطا؟ إنها أعيننا التي تعكس له الصورة غير المقبولة التي يتمني إخفاءها. إنها كلماتنا وإيماءاتنا — كل كلماتنا وكل إيماءاتنا- ومعاداتنا — للسامية، لكن على قدم المساواة ليبراليتنا المتعالية — التي قد سممته. إنه نحن الذين أرغمناه علي اختيار أن يكون يهوديا سواء من خلال ابتعاده عن ذاته أو من خلال التأكيد علي الذات؛ إنه نحن الذين وضعناه في معضلة الأصالة أو عدم الأصالة اليهودية. لقد خلقنا هذا الاختلاف من رجال ليس لهم معنى إلا كمنتجات صناعية لمجتمع رأسمالي (أو إقطاعي)، والذي السبب الوحيد لوجودهم: هو أن يُقَدَّموا ككبش فداء لمجتمع مازال فيما قبل المنطقي- هذه النوعيات التي تؤدي الشهادة في سبيل إنسانية جوهرية أفضل من غيرها، لأنها ولدت لتفاعلات ثانوية فى داخل جسد الإنسانية- هذا الجوهر الإنساني، موصوم بالعار، مجتث، محكوم بالقضاء والقدر من البداية بإما عدم

الأصالة أو بالاستشهاد. في هذا الموقف لا يوجد واحد منا إلا وليس مذنبا كلية او حتى مجرم؛ الدم اليهودي الذي سفكه النازي يقع في أيادينا كلها.

يبقى الواقع، قد تجيب، بأن اليهودى حر: يمكنه اختيار أن يكون أصيلا. هذا صحيح، ولكن يجب أن نفهم قبل أي شئ أن ذلك ليس شأننا. يملك السجين الحرية دائما ليحاول الهروب، إذا فهم بوضوح أنه يغامر بالموت بالزحف تحت السلك الشائك. فهل يكون سجانه أقل ذنبا في هذا الشأن؟

تكمن الأصالة اليهودية في اختيار نفسه بوصفه يهوديا، هذا هو، في تحقيق حالة المرء اليهودية. اليهودى الأصيل يهجر خرافة الإنسان العالمي؛ يعرف نفسه ويرث ذاته داخل التاريخ باعتباره مخلوقا تاريخيا وملعونا؛ يتوقف عن الهرب من نفسه وعن أن يشعر بالعار من صنفه الخاص. يفهم أن المجتمع سيئ، يستبدل أحادية اليهودي غير الأصيل الساذجة بتعددية اجتماعية. يعلم أنه شخص يقف منعزلا، لا يمس، محتقرا، منفيا - وأنه بمثل هذا يؤكد وجوده. يتخلي على الفور عن تفاؤله العقلاني؛ يفهم أن العالم يتشظى عبر تقسيمات غير عقلانية، وفي قبول هذا التشظى - علي الأقل فيما يخصه- في الإعلان عن ذاته بوصفه يهوديا، يجعل من بعض هذه القيم وهذه التقسيمات ما يمتلكه. يختار إخوانه وأقرانه؛ إنهم اليهود الآخرون. إنه يراهن بكل شئ علي عظمة إنسانية، لأنه يقبل الإجبار بأن يعيش في موقف يعرف بدقة من خلال واقع أنه لا يمكن أن يعاش؛ يستقي عزته من ذله.

اللحظة التي يتوقف فيها عن كونه سلبيا، ينزع كل القوة والأذى من معاداة - السامية. يهرب اليهودي غير الأصيل من الواقع اليهودي، ويجعل المعادي-للسامي منه يهوديا رغم أنفه؛ لكن اليهودي الأصيل يجعل من نفسه يهوديا، في مواجهة الجميع وضد الجميع. يقبل كل شئ، حتى الاستشهاد، والمعادي -للسامي، مجردا من أسلحته، يجب أن يكون مقتنعا لينبح على اليهودي بينما يمر، ولا يستطيع أن يلمسه بعد ذلك. في ضربة واحدة اليهودي، مثل أي إنسان أصيل، يهرب من الوصف. السمات الشائعة التي ننسبها لليهود غير الأصلاء تنبعث من عدم أصالتهم الشائعة. لن نقابل صدفة أيا منهم في اليهودي الأصيل؛ إنه ما يجعل ذاته عليه، هذا هو كل ما يمكن أن يقال. في هذا الانعزال الذي قبل به، يصبح مجددا إنسانا، إنسانا كاملا، مع

الآفاق الميتافيزيقة التي تناسب حالة الإنسان. لكن ذلك لا يعني أننا نستطيع أن نُهَدِّئ ضمائرنا من خلال القول: "حسنا، طالما أن اليهودي حرا، دعه يكون أصيلا، وسنحظى بالسلام". اختيار الأصالة ليس حلا من المنظور الاجتماعي للمشكلة اليهودية؛ إنه ليس حتى حلا فرديا. بلا شك اليهود الأصلاء اليوم أكثر انتشارا مما يظن المرء. المعاناة التى يعاني منها اليهود خلال السنوات القليلة الماضية فعلت الكثير لتفتح عيونهم، ويبدو لي حتي من الأرجح أنه يوجد يهود أصلاء أكثر من المسيحيين الأصلاء. وعلى الرغم من ذلك الاختيار الذي اتخذوه لأنفسهم لا يجعل طريقهم أكثر نعومة كأفراد، إنه بالأحرى على العكس.

خذ مثالا يهوديا فرنسيا "أصيل"، بعدما حارب في عام 1940[1]، أدار مجلة دعائية فرنسية في لندن أثناء الاحتلال. كتب تحت اسم مستعار، لأنه رغب في تجنب المتاعب لزوجته "الآرية"، التي بقيت في فرنسا. هذا ما قام بها العديد من اللاجئين الفرنسيين، وعندما قاموا بذلك، كان الأمر على ما يرام. لكن بما أنه يهودي حرم من هذا الحق: "أها" يقول الناس،"يهودي آخر يحاول ان يخفي أصله". مرة ثانية، اختار المقالات التي نشرها مستندا بشكل قاطع إلى جدارتها. إذا ما مصادفة كانت نسبة المقالات اليهودية تأخذ في الاعتبار، سخر القراء بصوت كالنخير؛ كتبوا له: احرص على أن تجتمع العائلة السعيدة مجددا". علي جهة أخرى، إذا رفض مقالا يهوديا، اتهم بالتصرف بوصفه معاديا- للسامي. "أه، حسنا"، قد تقول ،"دعوه يتجاهل كل ذلك، ما دام هو أصيل". هذا يقال بسهولة، لكنه لا يستطيع تجاهله، تحديدا لأنه معني بتطبيق سياسة دعائية وبالتالي يجب عليه الاعتماد على الرأى. "حسنا، إذن؛ ذلك يعني ببساطة أن هذا النوع من النشاط مغلق أمام اليهود: سيكون لزاما عليهم التخلي عنه". ها نحن قد وصلنا: قد تقبل الأصالة إذا ما قادت مباشرة لل"جيتو". وهو أنت من يرفض أن يراها حلا للمشكلة.

1 - 1940: هو العام الذى شهد "معركة فرنسا" او سقوط فرنسا فى يد الاحتلال النازى بعد الحملة العسكرية التى قامت بها القوات الألمانية أولا على هولندا ، بلجيكا، ولوكسمبورج، مستدرجة القوات الفرنسية والبريطانية هناك، لتقوم بعدها بهجوم مفاجئ على الأراضى الفرنسية وتلتف حول خط ماجينو العسكرى الفرنسى، وتحتل باريس.

الأمور اجتماعيا، علاوة علي ذلك، ليست بحال أفضل. الملابسات التي خلقناها هي تودي في النهاية لأن يُخْلَق الانقسام بين اليهود. اختيار الأصالة يمكن، في الواقع، أن يؤدي لقرارات سياسية متعارضة. يمكن لليهودي اختيار ان يكون أصيلا عبر التأكيد علي مكانه بوصفه يهوديا في المجتمع الفرنسي، بكل ما يصحبه من حقوق واستشهاد؛ يمكن أن يشعر أن أفضل طريقة ليكون فرنسيا هي أن يعلن عن نفسه كيهودي فرنسي. ولكن قد يتم توجيهه من خلال اختياره للأصالة للسعي لخلق أمة يهودية تمتلك أرضها الخاصة وحكمها الذاتي؛ قد يقنع نفسه أن الأصالة اليهودية تتطلب أن يتم تعزيز اليهودي بواسطة مجتمع يهودي قومي.[1]

ليس من المستحيل أن هذه الاختيارات المتعارضة قد تتصالح وتصنع تكاملا كمظهرين اثنين للواقع اليهودي. لكن من أجل ذلك قد يكون من الضروري ألا يتم التجسس علي السلوك اليهودي باستمرار، ويجب ألا يتضمن المخاطرة المستمرة بتقديم الأسلحة لأعداء اليهودي ليستخدمها ضده. إذا لم نكن قد خلقنا لليهودي موقفه بوصفه يهوديا، لكان من الممكن له أن يمارس اختيارا بين القدس وفرنسا[2]؛ الأغلبية الضخمة من يهود فرنسا قد تختار أن تبقي في فرنسا، عدد صغير قد يذهب ليزيد نمو الامة اليهودية في فلسطين. ذلك قد لا يعني أن اليهودي الذي كان مدمجا في المجتمع القومي الفرنسي قد يحافظ علي روابط مع تل أبيب[3]؛ على الأغلب، يمكن لفلسطين أن تمثل في نظره نوعا من القيمة المادية، رمزا، التأكيد على وجود مجتمع يهودي يتمتع بالحكم الذاتي قد يكون أقل خطورة بشكل مطلق على وحدة المجتمع

---

1 - نلاحظ توجيه سارتر هنا فى مقاربته للمسألة اليهودية واختياراته الخاصة؛ حيث يرى انه فى نهاية المطاف تصب معاداة السامية فى صالح وطن قومى لليهود بالمفهوم الصهيونى! وان الأصالة بمعناها الوجودى الحقيقى المتوحد مع ذاته والمتشبع بموقفه وبحرية اختياراته ومسئولياته فيها؛ ستفضى لفكرة وجود: الجماعة القومية اليهودية.. التى ربط بينها وبين الصهيونية كحل لمشكلة يهود اوربا والعالم التاريخية وعلى حساب العرب، ودون ان يضع حق الفلسطينى فى الوجود والذى سلب منه.

2 - يؤكد سارتر هنا على الصهيونية واحتلال فلسطين كحل لاضطهاد اليهود فى أوربا! ويجعل الاختيار الوحيد العادل والمنطقى من وجهة نظره: هو الصهيونية أو القدس! هو يقدم الموقف التاريخى لليهود فى أوربا وكأن الحل المباشر له يتمثل فى احتلال فلسطين لإنشاء وطن قومى لليهود! وذلك ربط غير منطقى على الإطلاق.

3 - تل أبيب: فى ذلك الوقت عام 1944 كانت المستوطنة الصهيونية المسماة تل أبيب قد نمت وتوسعت وقاربت ان تلتهم مدينة يافا العربية التى أقيمت على ضفافها قديما وقت إنشائها عام 1909.. وذلك الالتهام حدث بالفعل عام 1950 عندما استولت المستوطنة والمدينة الصهيونية على المدينة العربية التاريخية وأصبحا مدينة واحدة تحمل الاسم الصهيونى: تل أبيب.

الفرنسي من، علي سبيل المثال، وجود كهنة بسلطة باباوية، نتسامح معها برباطة جأش كاملة.

لكن أجواء عصرنا تحول اختيارا شرعيا جدا لمصدر نزاع بين يهودنا[1]. في عيون المعادي- للسامي، يقدم تأسيس مجتمع يهودي فقط برهانا آخر على أن اليهودي في غير مكانه في المجتمع الفرنسي. ذات مرة، تم ازدراؤه بسبب عرقه؛ يتم النظر له باعتباره قادما من بلد أجنبي: إنه لا ينتمي إلى هنا، دعوه يذهب إلي القدس. لذلك الاصالة، عندما تؤدي للصهيونية، تكون مضرة لليهود الذين يريدون البقاء في أرض آبائهم الأصلية، طالما أنها تعطي حججا جديدة للمعادي- للسامي. يصبح اليهودي الفرنسي غاضبا من الصهيونية، التي وجودها يعقد بشكل أكبر موقفا حساسا بالفعل، والصهيوني غاضب من اليهودي الفرنسي، الذي يتهمه بداهة بعدم الأصالة.

لذلك اختيار الأصالة يبدو قرارا أخلاقيا، يقدم تأكيدا لليهودي على المستوي الأخلاقي لكنه لا يخدم بوصفه حلا علي المستوى الاجتماعي أو السياسي: موقف اليهودي يصل للمدى الذي ينقلب فيه كل شئ يفعله ضده.

1 - نلاحظ إضفاءه صفة: الشرعية بكل وضوح على الصهيونية واحتلال أرض فلسطين؛ وربطه إياه باضطهاد اليهود فى اوربا وفرنسا! وهو الربط الفاسد فى أساسه، والذى أهمل الحق الفلسطينى من كل جوانبه.

4

الملاحظات السابقة بالطبع لا تقدم زعما بتقديم حل للمشكلة اليهودية، لكن ربما تعطينا أساسا للتعبير عن الأوضاع التي يمكن تخيل حلا بها.

في الواقع، لقد رأينا للتو ، علي النقيض من رأي واسع الانتشار، أن الشخصية اليهودية ليست هي ما يثير معاداة- السامية لكن، بالأحرى، إنه المعادي- للسامي الذي يخلق اليهودي. الظاهرة الأساسية، بالتالي، هي معاداة- السامية، قوة اجتماعية رجعية ومفهوم مشتق من عالم ما قبل المنطق. مع المشكلة التي قررت هكذا، ما الذي سنفعله بشأنها؟ من الواضح، أن حل المشكلة يتضمن تعريفا لكل من الهدف المراد تحقيقه ولوسائل تحقيقه. في كثير من الأحيان ما يناقش الناس الوسائل، حينما يكونون مازالوا غير موقنين من هدفهم.

باختصار، ما الذي يمكن أن نسعى إليه؟ الاستيعاب؟ ذلك حلم؛ الخصم الحقيقي للاستيعاب ليس اليهودي إنما المعادى للسامي، كما أوضحنا سابقا. منذ تحرره – هذا يكون، منذ حوالي قرن ونصف- حاول اليهودي أن يكتسب القبول في مجتمع يرفضه. إنه أمر بلا جدوى بالنسبة له أن يستعجل هذا الدمج، والذي دائما ما يتضاءل أمامه؛ طالما وجِدَت معاداة – السامية، لا يمكن تحقيق الاستيعاب.

صحيح أن بعض الناس يدافعون عن تطبيق وسائل عنيفة. هناك يهود يقترحون حتى أن يجبر كل اليهود على تغيير أسمائهم. لكن هذا الإجراء سيكون غير كاف؛ قد يكون من الضروري أن نلحقه بسياسة من الزيجات المختلطة وتحريم صارم للممارسات الدينية اليهودية – على وجه الخصوص، الختان. أقول ببساطة شديدة: تلك الإجراءات ستكون غير إنسانية. ربما يمكن أن يكون نابليون[1] قد فكر في مثل هذه

---

1 - نابليون: هو الإمبراطور والقائد العسكرى الفرنسى الشهير نابليون بونابرت (1769-1821) والذى شهدت فى عهده فرنسا أوج توسعها العسكرى ونفوذها السياسى فى أوربا، كما أن موقفه من اليهود يتسع لأبعد مما ذكره سارتر؛ حينما حاول توظيف اليهود سياسيا ودعاهم للعودة كتكتل سياسى لأرض فلسطين والسيطرة عليها فيما عرف: برسالة نابليون لليهود.

الإجراءات، لكن الذي بحث عنه نابليون كان بالتحديد التضحية بالناس من أجل المجتمع. لا توجد ديمقراطية يمكن أن تبحث عن دمج اليهود بمثل هذا الثمن.

علاوة على ذلك، يمكن أن يتم الدفاع عن مثل هذا الإجراء من قبل اليهود غير الأصلاء الذين هم فريسة لأزمة معاداة- السامية؛ بأنه لا يهدف لشئ أقل من تذويب العرق اليهودي. إنه يمثل شكلا متطرفا لنزعة لاحظناها عند الديمقراطي، نزوعا بوضوح وبساطة لقمع اليهودي لصالح الإنسان. لكن الإنسان غير موجود؛ يوجد يهود، بروتستانتيون، كاثوليكيون؛ يوجد فرنسيون، إنجليزيون، ألمان؛ يوجد البيض، السود، الصفر. اختصارا، هذه الإجراءات القسرية قد تعني تدمير مجتمع روحي، تأسس على العرف والعاطفة، لصالح المجتمع القومي. معظم اليهود الواعين قد يرفضون الاستيعاب إذا قدم لهم تحت هذه الواجهة. بالتاكيد يتمنون دمج أنفسهم في الأمة، لكن بوصفهم يهودا، ومن قد يجرؤ علي لومهم بسبب ذلك؟ لقد أجبرناهم على أن يفكروا فى أنفسهم بوصفهم يهودا، لقد جعلناهم واعين بتضامنهم مع يهود آخرين. هل نكون مدهوشين لأنهم يرفضون الآن سياسة قد تدمر إسرائيل؟[1]

إنه إضاعة للوقت الاعتراض على أنهم يشكلون أمة داخل أمة. لقد حاولنا أن نبين أن المجتمع اليهودي ليس قوميا ولا عالميا، ليس متدينا، ولا عرقيا، ولا سياسيا: إنه مجتمع شبه-تاريخي. الذي يصنع اليهودي هو موقفه الملموس؛ الذي يوحده مع اليهود الآخرين هو هوية مواقفهم. هذا القوام شبه-التاريخي لا يجب اعتباره عنصرا أجنبيا في المجتمع. على العكس، إنه ضرورى بالنسبة له.

إذا ما تم التسامح مع وجود الكنيسة في وقت عندما كانت الكنيسة في كامل- قوتها، ذلك لأنها اضطلعت ببعض الوظائف الاقتصادية التى جعلتها لا يمكن الاستغناء عنها. اليوم تلك الوظائف مفتوحة للجميع، لكن ذلك لا يعني أن اليهودي، بوصفه عاملا روحيا، لا يسهم في الطبيعة الخاصة وتوازن الأمة الفرنسية. لقد وصفنا بموضوعية، ربما بصرامة، سمات اليهودى غير الأصيل. لا توجد واحدة

1 - يستمر سارتر فى ربطه المشوه وغير المنطقى بين أزمة اليهود التاريخية فى أوربا، وبين الصهيونية وإقامة دولة إسرائيل على حساب الفلسطينيين! وكان على العرب ان يدفعوا ثمن الذنب والخطيئة النازية الأوربية فى حق يهود أوربا.

منهم تعارض استيعابه في المجتمع القومي. على العكس، عقلانيته، روحه النقدية، حلمه بمجتمع تعاقدي وبإخوة عالمية، وإنسانيته- كل تلك السمات تجعل منه خميرة لا يستغنى عنها في ذلك المجتمع.

ما نقترحه هنا هو ليبرالية صلبة. نعني بذلك أن كل الأشخاص الذين من خلال عملهم يشاركون في رفعة بلدهم لهم الحقوق الكاملة بوصفهم مواطنين لهذا البلد. الذي يعطيهم هذا الحق ليس امتلاك "طبيعة إنسانية" إشكالية ومجردة، لكن مشاركتهم النشطة في حياة المجتمع. ذلك يعني، إذن، أن اليهود- وبطريقة مماثلة العرب والزنوج- منذ اللحظة التي يشاركون فيها في مشروع الأمة، لهم حق في ذلك المشروع؛ إنهم مواطنون. لكنهم يملكون هذه الحقوق بوصفهم يهودا، وزنوجا، وعربا- هذا هو، كأشخاص ملموسين[1].

في المجتمعات التي تصوت فيها النساء، لا يطلب منهم تغيير جنسهم عندما يدخلون كشك التصويت؛ صوت امرأة يساوي تماما مقدار ما يساويه صوت رجل، إنما هي تصوت باعتبارها امرأة، بحدسها واهتماماتها بوصفها امرأة، بكامل شخصيتها كامرأة. عندما يكون الأمر مسألة الحقوق القانونية لليهودي، والحقوق الأكثر غموضا ولكن التي لا يمكن الاستغناء عنها علي حد سواء والتي لم تكتب في أي قانون، يجب أن يتمتع بتلك الحقوق ليس بوصفه مسيحيا محتملا ولكن علي وجه الخصوص باعتباره يهوديا فرنسيا. يجب أن نقبله بشخصيته، وعاداته، وذوقه، وبدينه إذا كان عنده دين، وباسمه، وبسماته الجسدية. وإذا ما كان هذا القبول كليا ومخلصا، ستكون النتيجة، بداية، أن نيسر اختيار اليهودي للأصالة، وحينئذ، رويدا رويدا، أن نجعل الاستيعاب الذي يتمنى بعضهم أن يسوقه إليه بالقوة ممكنا، بدون عنف ومن خلال مسار التاريخ ذاته.

لكن الليبرالية الصلبة التي وصفناها للتو هي غاية؛ إنها معرضة لخطر أن تصبح لا أكثر من مجرد مثالية إذا لم نحدد الوسائل لتحقيقها. كما أوضحنا، لا يمكن أن يكون

---

1 - نلاحظ موقف سارتر الغريب من العرب؛ حين يذكرهم فى سياق تعداده للأعراق التى قد تكون معرضة للاضطهاد، ولكنه يسقطهم من حساباته تماما باعتبارهم الطرف الذى تم الجور على حقه فى مشروع إقامة دولة قومية لليهود على أرض فلسطين! هنا وقع سارتر تحت تأثير فكرة "العامل الواحد" فكان رد فعل مجردا وخالصا لموقف يهود فرنسا الذين تعرضوا لأحداث اضطهاد وإعدام فى أفران الغاز من قبل النظام النازى.

الأمر مسألة تصرف على عاتق اليهودي. المسألة اليهودية مولودة من معاداة- السامية؛ وبالتالي معاداة- السامية هي ما يجب أن نقمعه من أجل حل المشكلة. لذلك يعود السؤال لهذا: ما الذي سنفعله بخصوص معاداة-السامية؟

الإجراءات الاعتيادية، علي وجه التحديد الدعاية والتعليم، ليسوا بأية حال من الأحوال بلا أهمية. يجب الأمل في أن الطفل سيتلقى في المدرسة تعليما يسمح له بتجنب أخطاء العاطفة؛ لكن نتائج مثل هذا التعليم قد تكون لها مرجعية فردية فقط. وبطريقة مماثلة، يجب ألا نخاف من أن نمنع من خلال قانون رئيسي الأفعال والأقوال التي تميل لتشويه سمعة أية فئة من الفرنسيين. لكن دعونا لا نعلق أوهاما حول فاعلية تلك الإجراءات: القوانين لم تحرج أبدا ولن تحرج أبدا المعادي —للسامي، الذي يتخيل نفسه منتميا لمجتمع روحي خارج القيود القانونية. يمكن أن نكدس الأحكام القضائية والمحظورات، لكنهم سيستمدون دائما من فرنسا الشرعية، يدعي المعادي- للسامي أنه يمثل فرنسا الحقيقية.

دعونا نتذكر أن معاداة — السامية هي مفهوم نابع من الديانة المانوية ومن العالم البدائي، الذي تتصاعد فيه كراهية اليهودي بوصفها خرافة تعليلية كبرى. لقد شهدنا أنها ليست موضوع رأي منعزل، لاختيار كلي يقوم به الإنسان في موقف، بخصوص نفسه وبخصوص معنى الكون. إنها تعبير لإحساس ضار وروحي معين عن الملكية الحقيقية. إذا ما أردنا ان نجعل مثل هذا الاختيار مستحيلا، فلن يكون كافيا أن نوجه لانفسنا دعاية، وتعليما، وموانع قانونية ضد حرية المعادى- للسامي. طالما أنه، مثل كل البشر، يوجد باعتباره عاملا حرا بداخل موقف، إنه موقفه الذي يجب أن يتغير من أعلاه إلى أسفله. اختصارا، إذا استطعنا أن نغير منظور اختيارٍ، إذن سيتغير الاختيار نفسه. لذلك لا نهاجم الحرية، لكن نغيرها لنجعل الحرية تأخذ قراراتها وفق قواعد أخرى، وطبقا لأسس أخرى.

الحركة السياسية لا يمكن أن توجه أبدا ضد حرية المواطنين؛ طبيعتها في حد ذاتها تمنعها من أن تهتم بالحرية إلا بنمط سلبي، هذا هو، بالعناية بها ليس بانتهاكها. إنها تعمل فقط في مواقف. لقد أوضحنا أن معاداة-السامية هي جهد عاطفي لتحقيق الوحدة القومية في مواجهة تقسيم المجتمع لطبقات. إنها محاولة لقمع تشظي المجتمع

إلى مجموعات معادية بعضها لبعض من خلال الوصول بعواطف مشتركة لمثل تلك الحالة التي تشكل فيها حاجزا أمام التفكك. وعلى الرغم من ذلك تستمر الانقسامات في الوجود، طالما أن أسباها الاقتصادية والاجتماعية لم تمس، تجري محاولة لتجميعهم معا في وحدة واحدة- الاختلافات بين الغني والفقر، بين العاملين والطبقات المالكة، بين القوى القانونية والقوى الخفية، بين سكان-المدينة وسكان-الريف، الخ..الخ. — يتجمعون جميعا في الاختلاف بين اليهودي وغير-اليهودي. ذلك يعني أن معاداة- السامية هي تمثل خرافي وبرجوازي للصراع الطبقي، وأنها لا يمكن أن توجد في مجتمع بلا طبقات. تظهر معاداة —السامية الانفصال بين البشر وبين عزلتهم في غمار المجتمع، تضارب المصالح والتيارات المتضادة للعواطف: يمكن أن توجد فقط في مجتمع حيث على الأصح يوحد التضامن المهلهل تعدديات مشيدة بقوة؛ إنها ظاهرة لتعددية اجتماعية. في مجتمع يشعر أعضاؤه بروابط مشتركة للتضامن، لأنهم مشتركون جميعا في المشروع نفسه، لن يكون لها مكان.

أخيرا، تشير معاداة-السامية لصلة وثيقة تشاركية للإنسان تنشأ من نظام الملكية الحالي. مجددا، قد لا يكون لمعاداة-السامية وجود في مجتمع بلا طبقات وقائم على الملكية الجماعية لأدوات العمل، والتي فيها الإنسان، متحرر من هلوساته الموروثة من عالم قديم، سيلقي بذاته بكل جوانح قلبه في مشروعه- الذي هو خلق مملكة الإنسان وحيئذ ستقتلع معاداة-السامية من جذورها.

لذلك اليهودي الأصيل الذي يفكر في نفسه بوصفه يهوديا؛ لأن المعادي — للسامي قد وضعه في موقف اليهودي، ليس معارضا للاستيعاب بشكل أكثر مما يعارض العامل ذو الوعي-الطبقي لإذابة الطبقات. على النقيض، إنه مدخل للوعي سيعجل من قمع كل من الصراع والعرقية. اليهودي الأصيل ينكر لنفسه ببساطة استيعابا مستحيلا اليوم؛ إنه يترقب التصفية الجذرية لمعاداة-السامية من أجل أبنائه. يهودي اليوم في حرب شاملة.

ماذا يوجد هناك لقوله سوى أن الثورة الاشتراكية ضرورية وكافية لقمع المعادي-للسامي؟ إنه من أجل اليهود أيضا سنصنع الثورة.

وبينما ننتظرها؟ بعد كل شيء، إنها طريقة كسولة لنضع على عاتق ثورة مستقبلية عبء تصفية المسألة اليهودية.

معاداة-السامية مشكلة تؤثر فينا بكل مباشرة؛ نحن جميعا نرتبط باليهود، لأن معاداة — السامية تؤدي مباشرة للاشتراكية القومية. وإذا لم نحترم ذات الإسرائيلي، من الذي سيحترمنا؟ إذا كنا واعين لهذه المخاطر، إذا ما عشنا في العار بسبب تواطئنا غير التطوعي مع المعادين-للساميين، الذين جعلوا منا جميعا جلادين، ربما سنبدأ في أن نفهم أننا يجب أن نحارب من أجل اليهود، لا أكثر ولا أقل مما هو من أجل أنفسنا.

تم إخباري أنه تم إعادة تشكيل تحالف يهودي في مواجهة معاداة-السامية. أنا مسرور، ذلك يثبت أن إحساس الأصالة يتطور بين اليهود. لكن أيمكن لمثل هذا التحالف أن يكون مؤثرا حقا ؟ العديد من اليهود، وبعض من الأفاضل فيما بينهم، يترددون في المشاركة بسبب نوع من التواضع: "ذلك سوف يكون قضما لما هو أكثر من اللازم"[1]، قال أحدهم لي مؤخرا. وأضاف، بالأحرى بشكل أخرق ولكن بإخلاص لا شك فيه وتواضع: "معاداة- السامية والاضطهاد ليسا مهمين".

الأمر يسير بما يكفي لفهم هذا التنافر. لكننا نحن من لسنا يهودا، هل سنتشارك إياه؟ ريتشارد ريت[2]، الكاتب الزنجي، قال مؤخرا: "لا توجد مشكلة زنوج في الولايات المتحدة، توجد مشكلة بيض". بنفس الطريقة، يجب أن نقول إن معاداة- السامية ليست مشكلة يهودية. طالما أننا لسنا مذنبين وعلى الرغم من ذلك نقوم بمخاطرة أن نكون ضحايا- نعم، نحن أيضا- يجب أن نكون عميانا بشدة حقيقة، كي لا نرى أن همنا لأقصي درجة لا يعود لليهود قبل اي شئ لتشكيل نضال ضد معاداة — السامية؛ إن الأمر منوط بنا.

---

1 - المقصود هنا من قول سارتر؛ أن يأكل الإنسان في فمه أكثر مما يستطيع أن يمضغ ويبتلع، أو أن يبالغ في قدراته عموما.

2 - ريتشارد رايت: شاعر وروائي أميركي(1908-1960) من أصل أفريقي، اشتهر بروايات تتناول حياة الأميركيين السود خلال النصف الأول من القرن العشرين، يصورهم فيها كضحايا للفقر والسياسة.

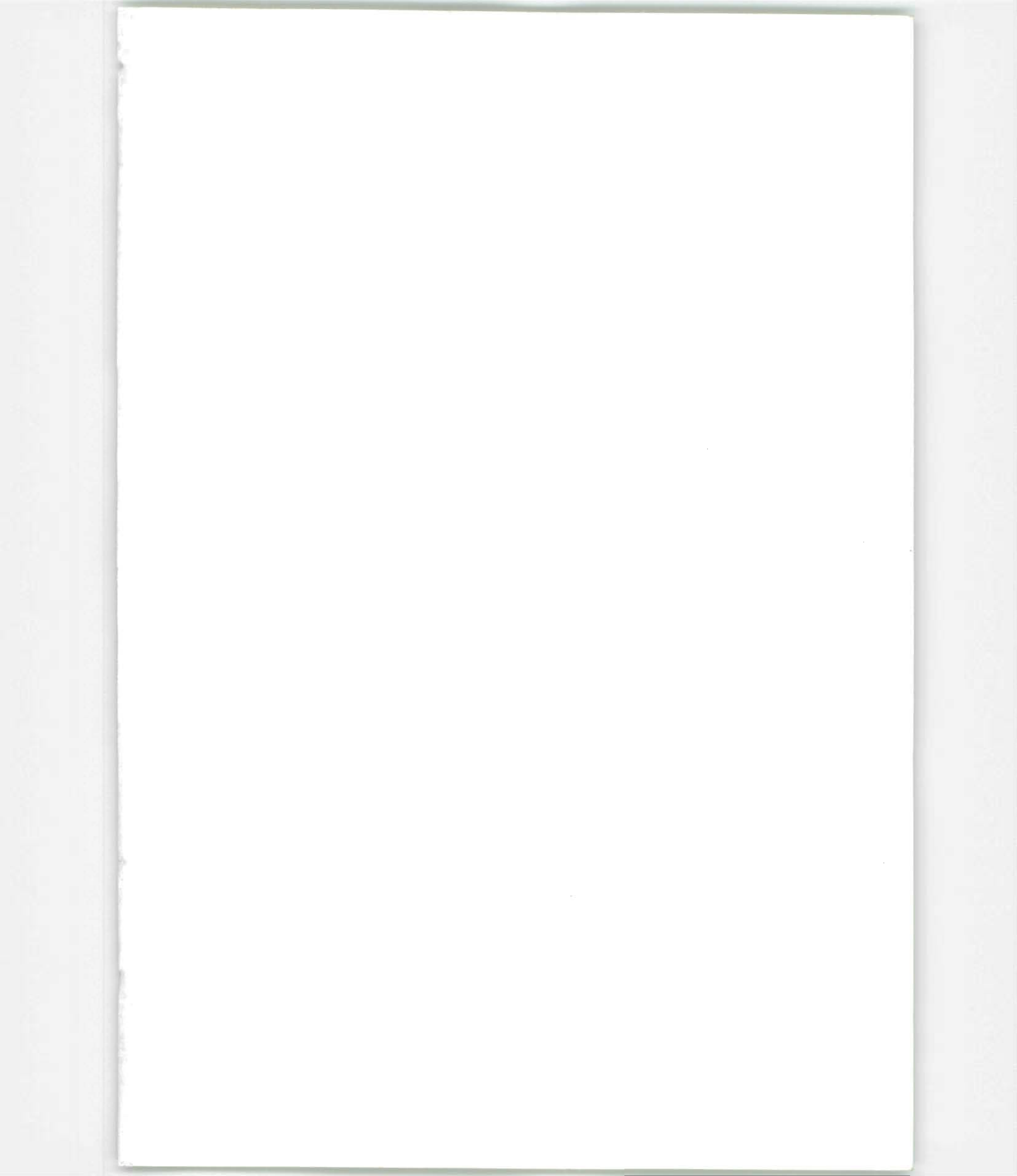
إنه واضح أن مثل هذا التحالف لن يقض على المشكلة. على الرغم من ذلك إذا ما انتشر في جميع أرجاء فرنسا، إذا ما أدى وجوده لظهور تحالفات مماثلة في بلدان أخري يمكن أن يتحد معها ليشكل في النهاية مؤسسة دولية، إذا ما تدخل بنجاح حيثما يسترعي الظلم انتباهه، إذا ما عمل من خلال الصحافة، من خلال الدعاية والتعليم، سوف يحصل على نتيجة ثلاثية: أولا، ستسمح لخصوم معاداة-السامية بأن يعرفوا قدرتهم على التوحد في جماعة نشطة؛ ثانيا، أنها ستحشد الناس المترددين، الذين ليس لديهم اقتناع بالمسألة اليهودية، من أجل جماعة منظمة تمارس دائما قوة جذب تُأخذ في الاعتبار؛ أخيرا، بالنسبة للخصم المستعد دائما لمقارنة البلد الحقيقي بالبلد القانوني، ستقدم مشهد مجتمع ملموس، مشغول بمعركة بعينها وغير معني بالتجريد العالمي للالتزام بالقانون. هذا سوف ينزع من المعادي-للسامي حجته المفضلة، التي تعتمد على خرافة [الشئ] الملموس. سيتم قطع نصف الطريق نحو الفوز بقضية اليهود إذا ما استحضر أصدقاؤهم فقط بعض العاطفة والمثابرة التي يستخدمها أعداؤهم لهزيمتهم.

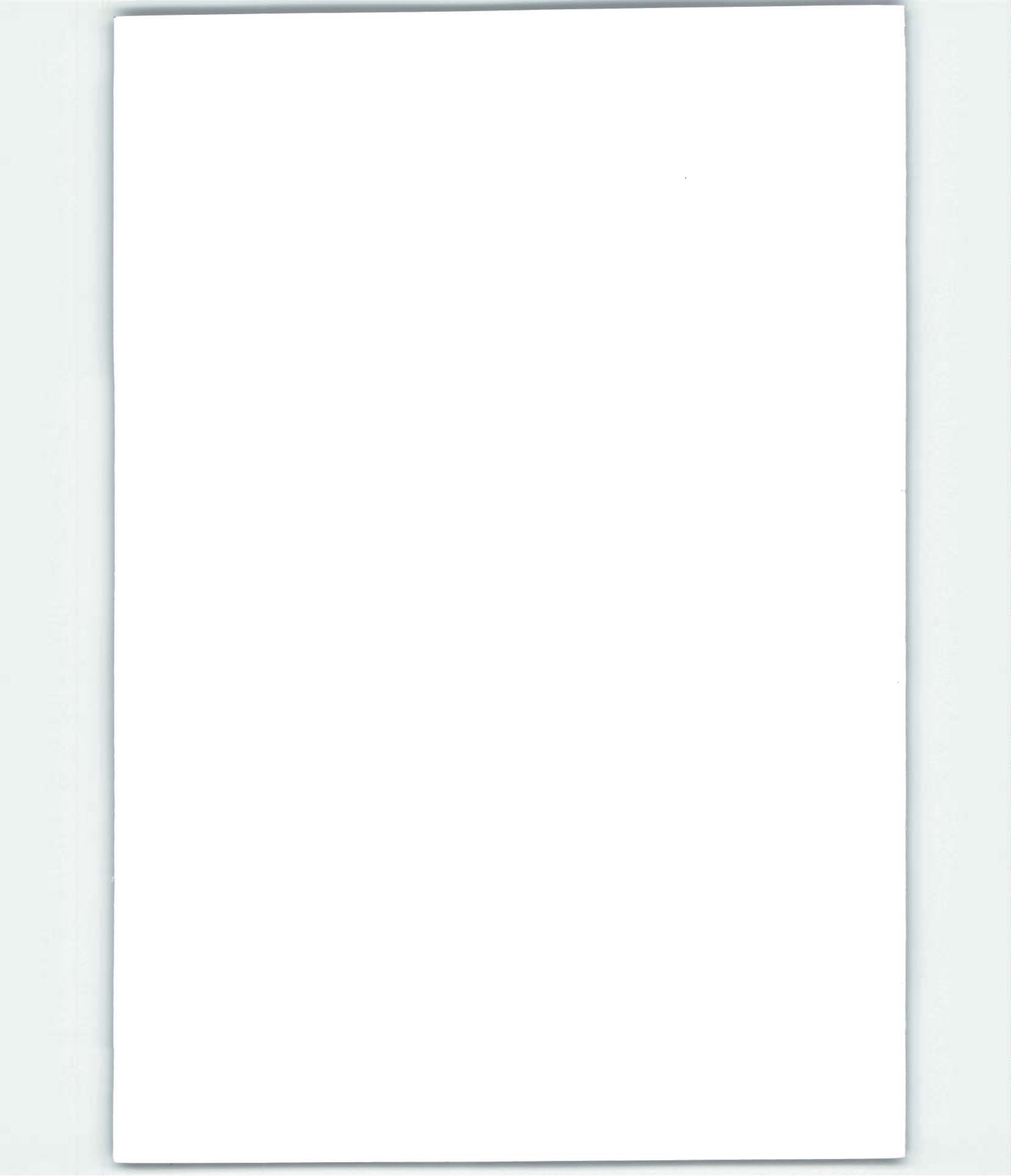
من أجل إيقاظ هذه العاطفة، ما هو ضرورى ليس مناشدة كرم "الآريين" — حتى عند الأفضل ممن بينهم، هذه الفضيلة في حالة كسوف. ما يجب فعله هو أن نشير لكل فرد بأن مصير اليهود هو مصيره. لن يكون هناك فرنسي واحد حر طالما لم بتمتع اليهود بكامل حقوقهم. لن يكون هناك فرنسي آمن طالما يهودي واحد — في فرنسا أو في العالم على اتساعه- يمكن أن يخاف على حياته.

المترجم:

- د.حاتم الجوهرى، شاعر ومترجم وباحث أكاديمى، حاصل على درجة الدكتوراه فى النقد الأدبى– جامعة عين شمس.
- عضو اتحاد كتاب مصر، عضو أتيليه القاهرة، عضو جمعية اللغات الشرقية، عضو مركز الدراسات البينية.
- صدر له كتاب: المصريون بين التكيف والثورة: بحثا عن نظرية للثورة، سلسلة كتابات الثورة، الهيئة العامة لقصور الثقافة **2012**.
- صدر له كتاب: أغنيات البراءة والتجربة (ترجمة عن الإنجليزية للشاعر وليم بليك)، ضمن مشروع ترجمة أفضل مائة عمل أدبى فى العالم– الهيئة العامة لقصور الثقافة، **2013**.
- صدر له كتاب: "خرافة التقدمية فى الأدب الإسرائيلى: فى نقد أسطورة الاحتلال التقدمى"، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة **2014**ط**2**. ط**1** عن دار الهداية **2012**.
- صدر له ديوان شعر: "الطازجون مهما حدث" عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، **2015**.
- صدر له كتاب: "نبوءة خراب الصهيونية: العدمية فى الأدب الصهيونى بين الأزمة الوجودية وصحوة العربى"، دار روافد، **2016**.
- حصل على جائزة ساويرس فى النقد الأدبى عام **2014**، عن كتاب: خرافة الأدب الصهيونى التقدمى ط**1**.
- وصلت ترجمته لديوان أغنيات البراءة والتجربة للقائمة القصيرة لجائزة الترجمة التى يقدمها المركز القومى للترجمة **2015**.
- نشرت كتاباته في عدة صحف ومجلات مصرية منها: مجلة "مختارات إسرائيلية"، مجلة "الثقافة الجديدة"، جريدة "الأهرام المسائي"، جريدة "البديل"، جريدة "القاهرة"، مجلة "الهلال"،...

فهرس الكتاب





لقد أحسن د.حاتم الجوهري وهو المختص فى الأساس فى الدراسات العبرية والواعي بتاريخ اليهودية والصهيونية العالمية، أحسن صنعا حينما بحث عن هذا النص الذي ربما أهمل عن عمد من المتخصصين فى الفلسفة المعاصرة عموما، وفى الفلسفة الوجودية على وجه الخصوص وترجمه إلى العربية ليسد بحق فراغا فى المكتبة الفلسفية السياسية؛ فهذا الكتاب من شأنه أن يدفع كل المختصين فى الفلسفة عموما وفى سارتر خاصة أن يعيدوا النظر فى رؤاهم له، ومدى اتساق مبادئه الفلسفية مع تطبيقاته الاجتماعية والسياسية، ففي هذا الكتاب ما يدل على التوظيف السياسى للفلسفة للوجودية ولدعوتها إلى الحرية والتحرر وحق الشعوب فى نيل استقلالها وحريتها! وفيه ما يدل أن سارتر استخدم مقولاته الفلسفية لتبرير الاحتلال الصهيوني للأرض العربية رغم كل محاولاته للتغطية على ذلك بالمطالبة بحق الفلسطينيين فى حياة أمنة داخل دولة "مستقلة مسالمة".

ولابد من تحية المترجم على جهده فى نقل هذا النص المهم إلى العربية وبهذه اللغة الفلسفية الرصينة، وعلى الدراسة القيمة التى صدر بها الترجمة: "سارتر بين الصهيونية وسلب الحق الوجودى للفلسطينيين" وهي دراسة ضافية ومهمة اكتملت بها ترجمته للكتاب، وهما معا إضافة فى غاية الأهمية للمكتبة العربية عموما وللمكتبة الفلسفية السياسية فى الفلسفة المعاصرة على وجه الخصوص .

د.مصطفى النشار


9789777511711



